اللهم فك
قيد أسرانا

# المرأة في المسرح الكويتي

دكتورة فوزية مكاوى

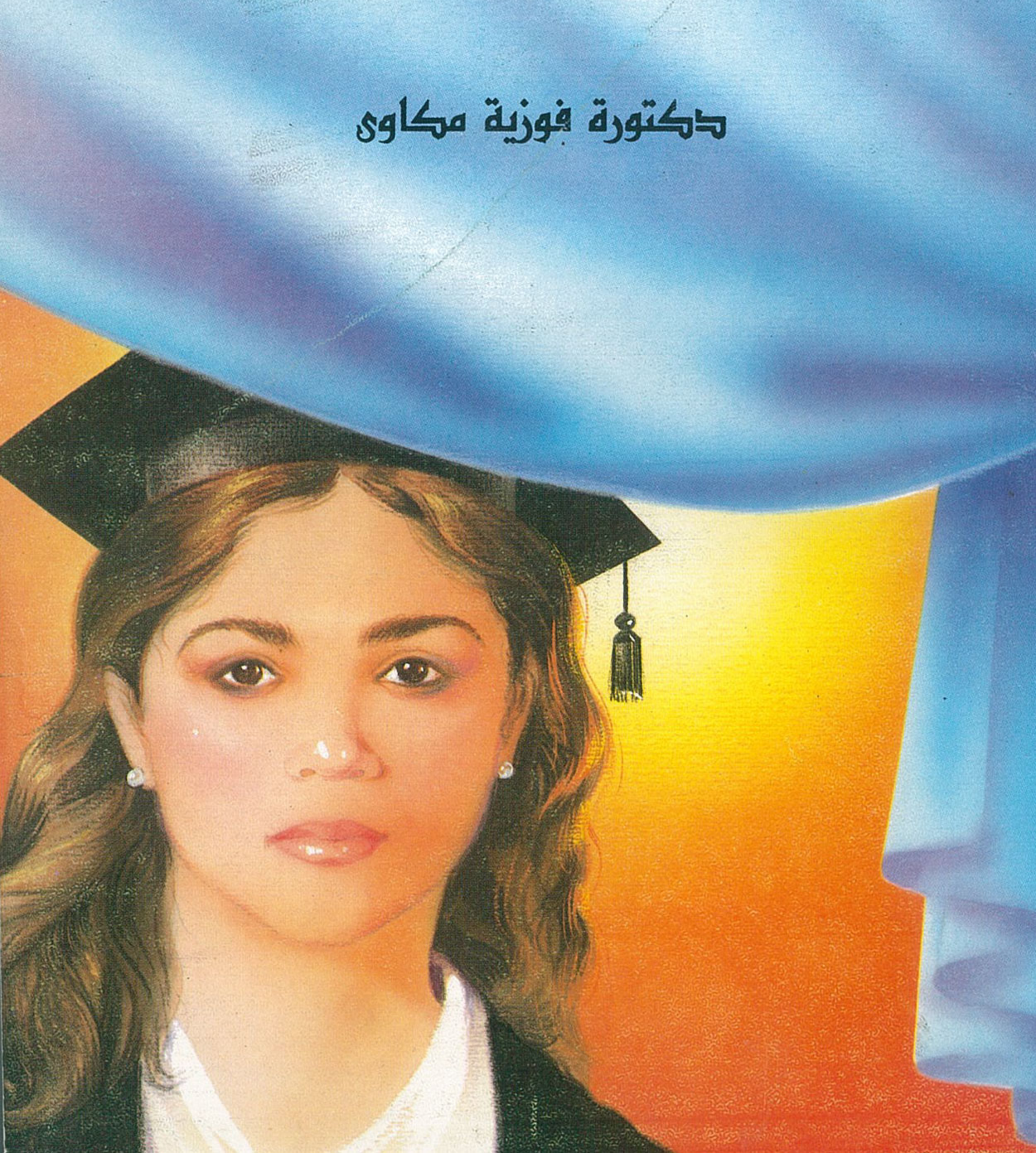

# المرأة فى المسرح الكويتى

دكتورة فوزية مكاوى

الناشر
ذات السلاسل

بسم الله الرحمن الرحيم

# اعطني مسرحا

# أعطيك حضارة

# اهـــداء

إلى ... الأم ... الأخت ... الابنة

إلى المرأة في الكويت .. إلى التضحية والتفاني

من أجل جيل الطلائع .. إلى الأسيرات من أجل الوطن .. إلى ابنتي نسرين التي أسرت في حرب التحرير.

أهدي هذا الكتاب

دكتورة فوزية مكاوى



مريم الغضـــبان



مريم الصـــانح

# مقدمة

إن الفنون عادة تكون صدى وترجمة وتسجيلا لواقع معاش تحت ظروف معينة ، وهذا الواقع تتضح معالمه من خلال تلك الفنون مع اختلاف دروبها ... ومن تلك الفنون وأهمها يبرز المسرح الذى كان ومازال عاكسا لحضارات على مر التاريخ مسجلا نشاطات اندثر أثرها ولكنها باقية فى أعمال كبار الكتاب .. يمكن أن يلجأ إليها الباحثون والمؤرخون إذا ما أرادوا تقييم حقبة من الزمن من كافة زواياها .. سواء الاقتصادية، أوالاجتماعية والسياسية .ذلك أن الحوار يجسد تلك المعانى كافة .

وإذا كان هذا شأن المسرح .. فإن عليه وظيفة هامة ، ألا وهى نقل الواقع بأمانة وبمعالجة القصور اذا ما وجد ، والأساليب متعددة لن ينضب محيطها .. وعلى الكاتب المسرحى أن يعطى كل ذى حق حقه وإن زاد فلا بأس .. لكن أن يبخس الناس حقهم فهذا هو الأمر الذى يجب اعادة النظر فيه ...

واذا كان المسرح عامة قد بنى على صراع بين اثنين وليكونا قيمتين يندرج تحتهما مسميات كثيرة «الخير والشر ، الجمال والقبح ، الحق والكذب ، الأمانة والخيانة ..إلخ » فإنه من الغالب أن يكون مؤدى هذين الاثنين أكثر من شخص ... فلنقل اثنين أو اكثر وغالبا ما تكون المرأة إحدى هاتين الشخصيتين .. أى أن المرأة شريكة فى أى صراع ، وهى كذلك فى الحقيقة وفى الحياة منذ خلق الله آدم وشريكته حواء .

وإذا كان المسرح كما ذكرنا يجب من خلال كتابه المسرحيين أن ينقلوا الواقع كتسجيل أو يجسدوا ما به من نقائص بغية التغيير .. فإن المرأة فى هذا الواقع لها حضور ووجود لا يقل أهمية عن الرجل ... واذا كان المسرح منذ إنشائه قد اعطى المرأة الدور الحقيقى لها مهما كان حجمه أو قيمته ابتداء من « إلكترا وميديا وأندروماك وفيدر .. إلخ » فإن المرأة بعد ذلك قد نالت حظها كاملا من خلال المسرح على مر العصور ، بل وسجل لها أمجادها وهناتها كبطولة فى كلتا الحالتين .

وقد استمر المسرح العالمى كامتداد لهذا المفهوم لا يغفل دور المرأة الإيجابى ، ولكن المسرح العربى والكويتى على وجه الخصوص قد انتقص المرأة حقها وسلب إيجابياتها بعض الشئ . وربما ذلك مرجعه لأن المرأة عامة أهمل وضعها على الخريطة العربية حيث كانت السيادة للرجل . وهذا ما انعكس فى المسرح الكويتى ... وكانت المرأة دائما مغلوبة على أمرها . رغم أنها لم تكن كذلك منذ نشأة الكويت حتى ما قبل النصف الثانى من القرن العشرين بسنوات قليلة .. حيث كانت المرأة تعمل وتتحمل مسئولياتها كاملة .. وكان وجودها بارزا .هذا الوجود الذى اختفى تماما من المسرح الكويتى.

وعلى ذلك فقد لجأت آملة أن أكشف النقاب عن تلك الصورة للمرأة من خلال المسرح الكويتى .. وذلك بدراسة وتحليل مجموعة من المسرحيات المتنوعة لكتاب مسرحيين كويتيين قامت النهضة المسرحية فى الكويت على مجهدواتهم وأثروا الحركة المسرحية بنشاطات ملموسة ، ولكنهم ربما اغفلوا الحجم الحقيقى لدور المرأة والذى ينبغى أن يكون ، ولم أقل المرأة بصفة عامة .. ولكن المرأة التى برزت على الساحة ولمع اسمها ومن هذه التوعية الكثير ولسنا هنا بصدد رصد لتلك الاسماء .. ولكن اعلم أن الزملاء الكتاب المسرحيين هم أكثر منى علما بهؤلاء اللائى شاركن بمجهودات جبارة جنبا إلى جنب مع الرجال . إن صورة هؤلاء غير واردة فى المسرح الكويتى وغيرها كثير من النساء اللائى يكرسن وقتهن لدفع عجلة التقدم فى الكويت

إن صورة المرأة فى المسرح الكويتى كانت باهتة تماما ، وهذا من واقع تلك المسرحيات التى تمت دراستها وتحليلها تحليلا فنيا دقيقا لكى يمكن استخراج الصورة .. تلك الصورة التى إتحدت فى الشكل واختلفت فى المضمون ، فالشكل غالبا ما غلبت عليه سمة عدم الوضوح أما المضمون فكان متنوعا بقدر ما للحياة من تنوع

وإنى أترك للقارئ الفاضل الحكم بعد التأمل فى شكل ومضمون هذه الصور وأناشد كتابنا المسرحيين إنصاف المرأة من خلال كتاباتهم التى تعد مصدرا من مصادر التاريخ فيما بعد .

# الباب الأول

## ( على الصعيد الإجتماعى )

# الفصل الأول

## ( تربيــة المــرأة )

إن المرأة فى المسرح الكويتى كما صورها لنا كل من سعد الفرح وحسين عبد الرضا فى مسرحية ضحية بيت العز التى عرضت عام ١٩٧٥ وعبد العزيز السريع فى مسرحية ضاع الديك التى عرضت على مسرح كيفان من ١١/٧ إلى ١٩٧٢/١١/٢٣ ثم عرضت فى البحرين لمدة اسبوع وأعيد عرضها فى الكويت لمدة ثلاث ليال . يصور الفرج والسريع المرأة على أنها مخلوق جميل يطلب للمتعة ولزينة المكان يجب أن يتمتع ويستمتع به الرجل مادامت تحتفظ بمنظرها الجميل .. وقد اغفلا الجانب الإيجابى الذى يمكن أن تقوم به فى بناء المجتمع على مستوى الواقع الفعلى .

ومن هنا نجد أن المرأة فى المسرح الكويتى ظلت جامدة وسلبية بالرغم من أن حركة التقدم والرقى فى الواقع أخذت تخطو خطى سريعة واسعة شارك فيها كل من الرجل والمرأة . وهذا مالم نجد صداه فى المسرح الكويتى بالصورة التى كنا نتمناها .. واضعين فى الإعتبار الدور الريادى الذى يمكن أن ينهض به المسرح الكويتى فى هذا المجال .

وبما أن المسرح مرآة الشعوب ومقياس حضارتها فإنه يتحتم أن ينعكس من خلاله صورة الواقع كحد أدنى ثم إبراز مايجب ان يكون ، وهو الصورة المثالية التى تنشد لإنتقال الفرد أو الجماعة من حياة عادية إلى اخرى متكاملة من خلال نظرة الفنان المسرحى المبدع الذى يرى مالايراه سواه .

فى ضحية بيت العز وضاع الديك .. يتعرض الكاتبان لقضية عامة يمكن أن تندرج تحت مضمون تعدد الزوجات ولكن بشكل مختلف .. فالزوج يتزوج من امرأة ثانية تحت ظروف الحاجة حينما يجد نفسه فى بلد آخر « الهند » بعد رحلة طويلة الهدف منها الحصول على الرزق .

وكان ذلك يحدث آنذاك ماقبل ظهور النفط فى الكويت ، حيث كان المصدر الوحيد لعمل الرجال هو الصيد والغوص بحثا عن اللؤلؤ ، وكانت فى العادة تتم عن طريق رحلات تستغرق شهورا طويلة حتى تتسني العودة ثانية إلى ارض الوطن .. تتحطم السفينة ويجد الزوج نفسه فى بلاد الهند وقد فقد الأمل فى العودة إلى الوطن .. ويلتقى بتريزة ويتزوجها . ثم تتاح له فرصة العودة ، يعرض على الزوجة مرافقته ولكنها لا توافق فيتركها ويعود وحده إلى الكويت وطنه دون أن يبوح لزوجته الأولى فى الكويت بشىء عن ذلك الزواج .. ثم يعود فى رحلة ثانية إلى الهند ولكن لا يجد زوجته بسبب الحرب ويعلم أنها قد هاجرت إلى إنجلترا وطنها الأصلى .. وتمر السنون وينجب سالما وعليا وفاطمة .. ثم يفاجأ الأب بأن ابنه من تريزة على وشك الوصول للكويت بعد أن قضى شبابه فى لندن .. ومن هنا يبدأ الصراع بين الزوجة الأولى «شريفة» والزوج .. نجد ذلك فى الحوار الذى يدور فى بداية المسرحية بين الأم وابنتها حينما تعلم بوصول «يوسف» ابن الزوجة الثانية ، ومن خلاله تتضح السذاجة التى تكون السمة البارزة للمرأة الكويتية :

شريفة : شلون يتزوج علىٌ ... لايقولى ولا يعلمنى .. يبه منه ابوك هذا .

فاطمة : يمه علامك

شريفة : عيل .. يتزوج ويخلف ولد .. ويسميه يوسف ويطلق وتروح الدنيا بأهلها وأنا ما أدرى .

من هذا الحوار نتبين التفكير المسيطر على المرأة الكويتية .. فالأم هنا تعتب على الزوج أنه اخفى عنها مسألة هذا الزواج .. وكأن المشكلة هنا كتمان هذا الزواج أو الحدث لا الحدث نفسه .. وان كانت بعد ذلك قد إعترفت لإبنتها أنها فى حالة المعرفة كانت ستطلب الطلاق .

فصورة المراة هنا تجسد التفكير السطحى المبنى على الاعتراف بواقع قد تم وفرض نفسه .. وهنا نجد شريفة الأم والزوجة لا تستطيع ان تستقل بفكرها عما هو راسخ فى البيئة ، حتى مرور زمن طويل ، وتطور نسبي فى حقوق الزوجة أو المرأة انها لا تستنكر هذا الزواج الذى تم وأثمر من وراء علمها ، لأن البيئة لا تعده خطأ ، ولا تجعل الحكم عليه متوقفا على رضاء الزوجة الأولى أو عدم رضائها . ومن هنا نجد ان هذا الإحتجاج

البليد الفاتر .. وإذا كانت المرأة الأم لا تتملكها غيرة الزوجة فلا تهب للدفاع عن بيتها ، ولا تثور لخدعة قديمة تكتشف فجأة ، فإن المرأة - الابنة - الفتاة التى يفترض أنها تمثل الوعى الجديد ، لا تبدى دهشة أو اعتراضا بدرجة ما ، وأكثر ما تبديه هو دهشة العجب وليس الرفض لوجود أخ لها .. ولكن الزوجة تصر أن تعيش احداثا مضى عليها دهر بأكمله . ويتضح ذلك فى الحوار الذى يدور بين الأم والزوج مؤكدا هذا المفهوم :

شريفة : شيدريني عنك وعن سـوالفك .. تبينى بعد أصدقك عقب اللى شـفته منك .. تو احنا متزوجين وبأول شبابنا .. تروح تاخد علىّ زوجة وتحرينى ليَش .

هذا الحوار موجه للزوج مؤكدا أن الزوجة التى لم تعلم عن هذا الزواج إلا بعد مرور ثلاثين سنة تقيم محاكمة للزوج معلنة أن ذلك الزواج قد ارتكب خطأ فى الماضى البعيد وأذابته السنون الكثيرة وسقط الحكم عن مرتكبيه .. إلا أن الزوجة الآن تستعيده ولم تكن قد عاشته أصلا وتصر على إقامة الحد والقصاص منه .

ولم يقف الصراع الذى أوجدته الأم شريفة بينها وبين زوجها عند هذا الحد ، بل نجدها فى الفصل الثانى حيث يكون الابن يوسف قل وصل من لندن تستقبله العـــائلة ما عدا الأم استقبالا حارا مبهورين به من حيث يقوم كل من افراد الأسرة بتقديم المساعدة للأخ الجديد .

نجد الأم تصعد هذا الصراع ليشمل الابن سالم بالإضافة إلى الأب :

الأب : روح ناد أخوك هذا .. روح ( تدخل شريفة غاضبة )

شريفة : إنت شوف .. أنا ماأقدر أصبر أكثر .. إما أنا .. وإما ولدك فى هالبيت

الأب : شفيك انت بعد « لا حول الله »

شريفة : قلت لك - كلمة واحدة - إما أنا وإما ولدك

الأب : ( غاضبا ) انت خابلة .. تبينى أطرد ولدى غريب والله .. تبينى أصير مضحكة بين الناس .

شويفة : ما على أنا .

سالم : يمه وسعى بالك - شصاير قايل لك شىء

الأب : أهى يمه تكرهه - ماتحبه - كأنه شريك لها

سالم : لا .. لازم صاير شىء - قولى يمه - فيه شىء

شريفة : لا ماكو شىء .. بس أنا ما أبيه فى بيتى .

هذا الحوار يثبت إلى أى مدى تبرز المرأة شخصيتها وتؤكد ذاتها فى نصرة العادات القديمة على أى شىء مستحدث أو متطور حتى فى الشعور الباطن الذى لا يحسه سوى الشخص ذاته . فهى هنا تغضب وتثور .. إنها ليست الغيرة التقليدية . فهى ام لثلاثة كلهم فى سن الشباب المتفتح .. ولكن يمكن أن يقال أن سيطرة الفكرة المتولدة عن شعور بهزيمة كأن نتيجتها (يوسف) الذى يجسد لها الماضى المندثر فى صورة حية .هكذا تقوم الأم فى محاولة مميتة كى تبيد هذا الماضى الذى تجسد أمامها ثانية .

وهى هنا تقيم الصراع بين طرفين بعد أن كان واحدا .. الزوج والأبن الأكبر .. ولا يقف الصراع عند هذا الحد بل يشمل ايضا الابنة فاطمة .. حينما تعترف الأم وتخرج ما بداخلها فى ثورة . يطلب الأب من ابنه يوسف الخروج حتى يمكنه مواجهة الأم دون حرج للإبن : -

الأب : ماتطيع كلامى ..روح ويا أخوك

سالم : أبشر يبه .. يللى يايوسف

فاطمة : أرجوك أخوى - روح علشانى - روح الحين وبعدين كل شىء يصير زين

يوسف : طيب ..طيب .. أنا أروح

الأم : روحه جوى .. اللى راح مارجع

فاطمة : هو يمه

الأم : كلكم على قلبه .. مصيبة .. ماكأنكم عيالى ، سحرهم ولد هالهندية

هنا نرى الأم وقد وصلت بها الثورة إلى حد جعلها تقف وحدها فى حلبة الصراع فى طرف ، بينما الجميع فى طرف آخر وقد توافقت مشاعرهم .

وتزداد ثورة الأم حينما تعلم أن يوسف أرسل فى إستدعاء أمه حيث ترى فى هذا الموقف إهدارا لكرامتها، بل سببا فى إقصائها نهائيا من حياة الأسرة التى أنفقت على وجودها وتنميتها وازدهارها ثلاثين عاما هى عمر شبابها الذى ضاع فى سبيل ماوصلت إليه هذه الأسرة .. وهاهو الابن الذى ظهر فجأة يريد أن يحطم كل ذلك بتصرف اهوج . هذا بالطبع ما توصلت إليه بفكرها الذى هيأ لها البركأن القادم من بلاد الغرب لكى يحطم كل شىء ، لكن هل تستسلم للواقع الذى يفرض عليها دون أن تفعل شيئا ، فالخطر يداهمها ويحطم كل ماشيدته طوال الفترة غير القصيرة التى مضت ، وبعد أن علا البناء واكتملت الصورة وأصبحت واضحة يأتى من يهدم البناء ويمزق ويشوه ملامح الصورة ، فمن غير المنطقى أن تستسلم بسهولة وتسير مع التيار ليقذفها فى أى إتجاه كيف يشاء ولو كانت النتيجة غير متوقعة . وهذا ما دار فى خلدها عقب الحوار الذى دار بينها وبين يوسف بالإشتراك مع فاطمة وسالم ، فهى ترى أن الجميع وقد جمعهم هدف واحد وهو يوسف والعمل على إبقائه بأى شكل ، فالأخت تعمل قصارى جهدها لكى تلقنه دروسا فى اللغات والعادات ، ويساعدها سالم ، والأم تلاحظ كل ذلك غير راضية ، لأنها اقامت بفكرها حسابا آخر لم يتوقعه احد من افراد الأسرة ، فهى ترى فى وجود هذا الابن إنهيارا لمكأنتها فى الأسـرة .. ثم قدوم الزوجة الثأنية تريزة يمكن أن تنزع منها السـلطة والسلطان .. يتضح ذلك كله فى الحوار الذى يفتتح به الكاتب الفصل الثالث حيث تكون الأم قد تحولت إلى النقيض مع الأب .. تحادثه وتداعبه وتجعله ضاحكا وكأن الأمور قد اصبحت هادئة تماما :

الأب : الله يسلط عليك

الأم : الله يهديك يا ابو سالم . اقعد بس استريح

الأب : ( يتجه إلى أحد الكراسى ويجلس ) وبعد

الأم : ( تداعبه ) كبرنا ياابو سالم

الأب : ( يقاطعها ) ،لله هداك للحين

الأم : الله هدأنى - الحمد لله والشكر

الأب : ليش تسمينى ابو سالم

الأم : ليش لا .. سالم ولدك

الأب : طول عمرى الناس يسمونى أبو يوسف وإنتى منهم حتى قبل ماييجى يوسف ونشوفه

ويستمر الحوار الذى يعاتب فيه الأب زوجته على أنها قد غيرت من معاملتها له .. حيث أصبحت تناديه أبا سالم بعد أن كانت طوال السنين التى مضت تناديه بأبي يوسف وهذا أمر لا يثير غرابة لأن اسم الأب يعقوب ، وقد جرى العرف بكنية يعقوب بأبى يوسف ولكن الزوجة الأم كانت تطلق هذا الاسم من باب التدليل حتى ظهر يوسف واصبح للإسم مغزى آخر ، وهذا مارفضته الأم وامتنعت عن مداولته ووجدت فى أبى سالم إثباتا لوجودها كأم ، وهو هنا أنسب وأوقع من ابى يوسف .

ويستمر الحوار لتصعد الأم الصراع ولاتترك فرصة إلا واقتنصتها لصالحها ضد الابن العائد فلم تهدأ منذ بداية الفصل الثانى وعلمها باستقدام تريزة ذلك الوحش الذى إن حضر لسوف يلتهم كل مافى طريقه عدا يوسف بالطبع . يصل بها الحوار إلى نقطة كانت قد هيأت لها منذ بداية الفصل الثالث ، حيث نجد الكاتب يصف دخول الأب مع زوجته ضاحكا منشرح الصدر راضى النفس .. وهذا الشعور لم يأت من فراغ فلابد من نتيجة حوار طويل بدأته الأم قبل بداية هذا الفصل .

واذا كانت الأم قد وصلت بزوجها إلى هذا الحد ونجحت فى أن تكسب ثقته .. فهى قد مهدت الطريق حتى يمكن لها أن تخطو ودون أن تتعثر ، ومن هذه النقطة التى وصلت إليها كانت قد تأكدت أن الكلمة بعد ذلك سوف تأتى ثمارها كما تريد وكما اعدت فهى تعترف للأب بأن علاقتها بيوسف اصبحت عادية وأنها لاتكن له سوى كل خير حيث تقول :

الأم : أنت على بالك «أنا اكرهه» والله ماكرهته ولدها.. وأخو عيالنا.. ولكن .

هكذا تمهد .. تمهد ثم تنفض .. فقد بدأت حوارها السابق وكأن شيئا لم يكن بينها وبين يوسف.. كذلك من قبل كأن الحديث بينها وبين الأب ضاحكا ثم تختتم هذا كله بكلمة يعقبها حوار .. كلمة لها وقع الصاعقة فقد هدمت كل شىء بهذه الكلمة «ولكن»

هذه الكلمة تجعل الأب يتحول إلى النقيض .. ويستمر الحوار بينه وبين الزوجة التى تكشف عن الوجه الآخر .. الوجه الحقيقى للمرأة التى نشأت وتشبعت من حياة لم يكن من السهل أن تعدل عنها حتى النهاية ومهما تكن النتيجة .. تهاجم الأم يوسف ويدافع الأب عن ولده من وجهة نظره ، فهو ابنه كباقى أبنائه ولكن الأم تنجح فى أن تنفذ من خلاله ماتريد ، وما تريد هنا هو التحدى الذى أقامته بينها منذ البداية وبين باقى أفراد الأسرة وكلهم أولادها بالإضافة إلى الزوج .. فهى تسخر كل امكاناتها حتى تلتقط أى هفوة أو موقف كى تنسج منه مشكلة والتى تكون بمثابة الركيزة التى تتكىء عليها وتدافع عن وجهة نظرها من خلالها ، بل تجعلها محور الصراع الذى لابد أن يتطور ليصل إلى نقطة تحسب لها .. فهى ترى أن الجميع متفقون لوجود يوسف .. بل يبذلون الجهد ليثبتوه ، وهى الوحيدة الرافضة لهذه التصرفات فلابد أن تجد لنفسها نقطة تنطلق منها لتصل إلى ماتريد .

وفى الحوار السابق نجدها بكل براعة قد مهدت الجو النفسى للزوج ، وقد اختارته هو دون بقية افراد الأسرة لدرايتها بتركيبته النفسية والدينية ، وكذلك فهو أى الزوج يعد من جيلها .. إذن فالتفاهم معه سوف يكون سهلا والنتيجة المرجوة من وراء ذلك ستكون مأمولة .. بكلمة واحدة تحول الأم زوجها من جو المتعة والمرح إلى حالة مختلفة تماما .. بدايتها التساؤل « شلكن بعد » وكأنه يعتب عليها هذه النقلة الخاطفة التى حولت هذه الجلسة .. وترد الأم بحوار هادىء كى لا تتحول صورتها من البراءة إلى الاتهام :

الأم : طباعه ماهى مثل طباعنا

الأب : معلوم تبنيه يصير مثلنا

الأم : لازم مادام يعيش معانا لازم يصير حاله حالنا أنت أبوه ولازم تنصحه .

وكأن الأم تريد أن تصل إلى هدفها دون أن تشعر الزوج بما فى داخلها من ثورة ودرن أن يرتاب من تصرفاتها .. فقد عارضت فى البداية عودة يوسف من لندن ليعيش فى الكويت .. بل إنها قد عاتبت الزوج على أنه لم يخبرها بزواجه الثانى فى حينه ، ثم رفضت بإصرار إقامة يوسف فى بيتها .. ولكن فى هذا الموقف تتنازل ولو مؤقتا عن كل هذه التصرفات حتى تثبت للزوج - وهو المطلوب - حسن نيتها ، كى تحصل على النتيجة التى ارادتها دون إثارة ذرة واحدة من الشك .

وتخطو خطوة نحو تصعيد الصراع لصالحها .. فقد بدأ الزوج يرتاب من هذا الحوار الذى يرى فيه من قبل الزوجة الهدوء وعدم إثارة أى أنفعال فيبادرها سائلا :

الزوج : شمسوى

الأم : ماأدرى والله ، خاف أقول .. تقولى تكرهينه وتفتنين عليه .

تقول الأم ثلاث جمل قصيرة تبدؤها « ماأدرى »وكأنها أرادت أن تزيد مساحة دائرة الانقلاب النفسى الذى يسيطر عليه ، وقبل أن يسترد تفكيره الذى بدأ فى التشتت تبادره بالجملة الثانية « خاف أقول » تمهيدا لإلقاء الاتهام الذى مازال مجهولا .. فهى لم ترد أن تقول مابداخلها مباشرة حتى لا تدع له الفرصة للدفاع فاتبعت فكرة التشتت حتى اذا القت بما تريد أن تقوله لاتجد دفاعا أومقاومة من الزوج .. وهكذا تعقب الحوار بالجملة الثالثة « تقول تكرهينه وتفتنين عليه »ثم تصمت لترى رد الفعل ، فهى إلى الآن لم تصرح بشىء بل إنها فى كل ذلك تمهد .. وعلى ذلك تثير فى نفسه قمة التساؤل الذى يحوى داخله الثورة والغضب وهو يقول « ماانتى متكلمة » فسكوت الأم اثار شكوكه فهو ينتظر بقية الحوار المعلق حتى يصل إلى ما تخفيه ، ولكن الأم حتى تلك اللحظة تريد لثورته أن تشتعل ولغضبه أن يفيض حتى اذا ألقت ماعندها احدثت فى نفسه ما ترجوه ، وعلى ذلك تماطله وإن بدى فى حوارها بذرة الإتهام .. ولكن الزوج لم يكن فى قمة وعيه حتى يمكنه تحليل هذا الحوار ويستنبط من ثناياه ماترمى إليه الأم فى حوارها .

الأم : إحنا عندنا عيال .. وفاطمة مرة .. ماودى يفتحون على هالعمايل اللى يسويها يوسف الله يهديه

فى هذا الحوار تقحم الأم أولادها وتخص من بينهم فاطمة على وجه الخصوص وتلقى بالإتهام غير الواضح على يوسف ، ولم يفتها أن تهدىء الموقف حيث تقول فى آخر حوارها « الله يهديه » فقد استطاعت أن تدير الحوار كما يحلو لها ونجحت فى أن تجعل الزوج مشدودا إليها حيث يطلب منها مزيدا من الإيضاح .. فقد اشعلت نار الثورة تدريجيا وببطء شديد فى نفس زوجها وهى تزوده بالكلمات التى تدين ابنه يوسف . وقد أدركت أن الزوج قد بلغت به الثورة قمتها نتيجة ذلك الحوار حتى الآن وقد وصل إلى حالة لا يمكن لفكره الذى تشتت التكهن بما يدور بداخلها فيسألها « إيه شمسوى » وتفاجىء الأم زوجها دون أنتظار بالاتهام فى كلمتين فقط يكون لهما وقع الصاعقـة :

الأم : يدخل بنات

الأب : ( ينهض ) شنهو

الأم : ويه .. خلف الله عليك .. وينك فيه

الأب : أى بنات

الأم : أول امس دخل البيت ومعاه واحدة ماأدرى من وين

الأب : تكلمى عدل

الأم : لاتاكلنى .. أنا مالى دعوة

الأب : تقولين بنت .. أى بنت .. مين بنته

إلى هذا الحد تكون الأم قد أشعلت نار الثورة داخله ، وقد اطمأنت أنه قد وصل إلى حالة لايمكن معها التراجع وأن أية اضافة سوف تزيد الاشتعال .. فقد بدأ يفقد سيطرته على نفسه ويكرر مايقول ، إنه لايستطيع أن يستوعب ماتقوله الأم حتى إنه يريد مزيدا من الإيضاح .. والأم تبخل عليه إلا معلومة واحدة عن هذه الفتاة :

الأم : أنجليزية مثله .. يوم سألته عنها قال أنها بشتغل معاه فى الأحمدى

الأب : عيب

الأم : ماادرى والله اقولك .. بس أنت اجبرتني

توضح الأم للزوج مايريد معرفته ويستنكر ماتقول وإن كان مصدقا له .. يستنكر ما يفعله ابنه الأكبر الذى بنى أملا كبيرا على وجوده فى الكويت ، فهو يريد أن يبقيه معه عربيا فهو من صلبه .. وتصر الأم على أنه غير عربى .. وتصفه فى حوارها بأنه أنجليزى ، ولا يعترض الزوج وكأن المعنى لم يصله كاملا وتصل الأم إلى نقطة ثابتة من الصعب أن تتلاشى .. حتى توجه إلى الزوج حيث إنها لم تكن تريد أن تقول شيئا وأنه أى الزوج هو الذى الح عليها سرد كل هذا الحوار حتى تكون هى بعيدة عن تلك القضية.. فقد اطمأن قلبها على أنه لا رجعة عند هذه النقطة .. فالأمور تسير كما خططت لها تماما والغضب والثورة فى تصاعد .

ولكن الأم مع ذلك وبالرغم من هذا التوتر الذى خلقته لا تترك الزوج عند هذا الحد فهى تريد أن تصل به إلى أقصى درجة ممكنة من الغضب .. تريده أن يتخذ قرارا يحقق لها ماتريد ويصل الأب بالفعل إلى ثورة الغضب :

الأب : لا ياقليل الحيا

الأم : الشعر الأشقر .. والعيون زرق .. والتفتوت قصير وشفاف ، وكل شىء باين منه

لم تترك الأم لفظا يمكن أن يثير أنفعال الأب إلا وذكرته بتفاصيل تجعله يزداد ثورة ..فهى تراه وتشعر به وهو فى قمة انفعاله رافضا لما حدث يصب اللعنة على ابنه حتى تضيف له محاسن ومفاتن هذه الفتاة كى يتخيلها ويصل بفكره إلى مايمكن أن يكون قد حدث أمام فتاة بهذا الوصف ولاسيما أنه رجل محافظ متدين وذو مكانة مرموقة بين أهله وعشيرته.

لم تقصد الأم بالطبع من وراء ذلك سوى خلق جَدار من الكراهية بين الأب ويوسف حيث تتظاهر أمامه بالأنثى التى تبغى مصلحة ولده كما أنها تحافظ فى نفس الوقت على سمعته حتى تنشطر عاطفته بينها وبين الأبن .. ويدخل الابن سالم والأب فى قمة الغضب حتى أنه يجد فى دخول سالم متنفسا يمكن أن يلقى إليه ببعض همومه ويطلب من الأم مغادرة المكان حتى يمكنه الإنفراد بولده سالم ومن العجيب أن الأم سرعان ماتستجيب لهذا الأمر دون تردد على غير عادتها .. فهى قد أفضت بكل مافى نفسها :

الأب : روحى أنت داخل

الأم : ( وتبتسم وهى تتجه للداخل دون أن يلاحظها الأب ) أن شاء الله

ومن ذلك الموقف تبدو الأم وقد حققت كل ماكأنت ترجوه تجاه الابن يوسف، وهاهى قد أنتصرت .. ومالابتسامة التى خرجت بها إلا دليل التفوق .. ثم خروجها دون مناقشة كسابق عهدها معه يعكس الصورة البريئة لدى الزوج الذى يكن لولده قدرا كافيا من الغضب والكراهية .. تخرج الأم على أمل رد فعل من الزوج يهدأ من روعها ويعيد إليها الهدوء الذى عاشته طوال السنين الماضية .. وإذا كان هذا موقف الأم من الزوج فهى على العكس تماما فى موقف لاحق حين يطلب منها مغادرة المكان كى يمكنه التحدث مع ولده

سالم أيضا فى شأن من الشئون المتعلقة بيوسف ، والحوار هنا يجمع بين الأم والأب وسالم والابنة فاطمة :

الأب : الحين .. قومى داخل

الأم : ليش

الأب : ( بغضب ) لاتقولين ليش

الأم : ( فزعة ) هو .. ماانت صاحى

الأب : روحى داخل أقولك ( تذهب فاطمة )

الأم : ماأروح

الأب : ليش .. تعاندين

الأم : أنا .. إيه .. مالى مالك

الأب : يمكن الكلام خاص بينى وبينه

الأم : ماأروح

من ذلك الحوار يكون مدى التغيير الذى طرأ على شريفة الأم وتتضح صورتها .. فهى المرأة التى تربت تربية بدائية حيث استقرت بداخلها بعض العادات التى كانت سائدة فى الماضى .. ورغم تغيير الحياة فى الكويت ، متمسكة بتلك العادات التى تعد غريبة عن الحياة المعاصرة ، فهى فى الحوار السابق تعاند وتكابر وتصر أمام رغبة الزوج .. هو يريد منها الخروج وبدورها ترفض بشدة وتصعد الحوار وتقف منه موقفا متشددا .. وإذا عقدت مقارنة بسيطة بين الحوار السابق حين طلب منها أيضا مغادرة المكان وتغادره دون تفوه بلفظ واحد بل وتزيد الابتسامة التى تعلو شفتيها .. فإن معنى ذلك اثر التربية المتأصل بداخلها والرافض لأى تغيير موجود وبحضور مذهل .. فهى ترى أن مؤامرة تحاك ضدها والطرف الآخر يوسف فالاجتماع الأن بين الأب وسالم لأمر متعلق بالابن الوافد وماأدراها فهى تفترض أن يكون لمصلحة يوسف فكيف تجعل فرصة واحدة تفوتها دون أن تفعل شيئا يمكن أن يعكر الصفو اذا كان سيصل إلى هذا .

وعلى ذلك كان الرفض والإصرار .. ترفض الأم الخروج منتظرة بشوق نتيجة هذا الحوار الذى يدور بين سالم وأبيه وهى متأكدة أن الطرف الأخر هو يوسف لاغيره .. والحوار يكشف أن سالما يفكر فى أن يتزوج ، ولكنه يصرح بذلك بعد محاورات .. حينئذ تنفرج اسارير الأم معلنة عن سعادتها .. ويكون التغيير السريع أيضا فى موقف الأم وأنقلاب الشعور لأن الطرف الثانى هذه المرة لم يكن يوسف ولكنه زواج ابنها سالم .

ولكن هذا الشعور مرة آخرى يتلاشى امام تطور الأحداث حينما تشترك الأم فى حوار يخص يوسف وسالم وبينهما الأب .. تعرف أن سالما يريد يوسف لأمر هام وهو بيع سيارة الأخير التى اشتراها منذ أربعة شهور ويصر سالم بأن تلك الصفقة لن تتم وهو يرمى الى امر يتعلق بيوسف وسارة ابنة عمه التى غرر بها يوسف ويريد أن يتخلى عنها .

تكشف الأم فى هذا الحوار أن يوسف فى موقف ضعف مغلوب على أمره .. مماجعلها راضية النفس .. يبرز ذلك الحوار القصير الذى يدور بينها وبين الأب فى حضور شقيق الأب « أبو عبد الله » والد سارة :

الأب : روحى داخل يا أم سالم

الأم : زين لا تطردنى .. بروح ( تخرج )

تخرج الأم دون مناقشة فالطرف الآخر هذه المرة ليس يوسف التى تكن له الأم كل الكراهية وتشعل الصراع من حوله .. ويظل التناقض فى موقف الأم فى كل مشهد ومع ابنائها .. أنعكاسا لوجود يوسف العدو اللدود لها من عدمه .. فهو بالنسبة اليها جسم غريب يجب نزعه لتعود السلامة إلى الكل .. وتتطور الأحداث لتصل إلى الذروة مع وصول نبأ الحديث المثير الذى كان طرفاه يوسف وسارة ابنة العم إلى أبيها الشيخ عبد الله الذى ينقله بدوره إلى الأب حيث يكون الأخير على علم بهذه الكارثة من ابنه سالم .

تلتقى الأم بزوجها عقب خروج الشيخ عب الله وتراه على غير عادته فهو ثائر منهار الأعصاب ، وتحاول الأم أن تتعرف على نتيجة ذلك اللقاء وسر التحول الذى طرأ عليه .. يرفض الأب الإفصاح وهو الذى يعلم زوجته ويعرف مقدار ماتكنه لابنه يوسف الذى يعد الأن فى موقف الاتهام .. وأية جريمه التى ارتكبها، فهى تفوق كل الجرائم المتعارف عليها .. وتصر الأم على المعرفة ويرفض الأب فى دخول الابن يوسف ومأأن

يراه حتى يكاد يفقد اعصابه .. ويريد أن يصفى هذا الموقف المخجل ، ولكن فى غير وجود الأم حيث يتكرر الموقف ويطلب منها مغادرة المكان :

الأب : روحى داخل

الأم : شصاير

الأب : بتروحين ولا شلون ( ويخاطب شريفة التى وقفت بعيدا ) أقول روحى .

تغادر الأم المكأن ولكن بعد تردد ، ويعيد لها الزوج الأمر وقد أحست أن رغبة الأب فى ابعادها وبعد لقائه بأخيه بأن يوسف هذا طرف ثالث ولهذا أرادت أن تتشفى فيه بحضورها مناقشة نابعة من غضب وسوف يكون لها اثر مقبول فى نفسها ويمكن أن يؤدى إلي طرد هذا الفريب ..الأمر الذى تنشده وتعمل جاهدة على تحقيقه .. هذا احتمال وارد ..ثم إنها غادرت المكان راضية أيضا وهى متأكدة أن ماتود أن تراه بعينيها وتسمعه بأذنها سوف يتحقق فى عدم وجودها أيضا . اذن فالنتيجة واحدة ، وعلى هذا أطاعت الأمر وخرجت . وهذا أيضا يعد تناقض منها فى موقف واحد بالنسبة لها ، فنتيجة لقاء الأب وابنه لن تتغير فى وجودها من عدمه .

ولكن سرعان ما تكون شريفة الأم التى أطاعت الأمر قد اتخذت لنفسها مكانا تسمع وترى من خلاله دون أن يراها أحد . وهذا واضح من الحوار الذى يدور بين الأب ويوسف حينما يطلب منه أن يتزوج سارة ويكون رد يوسف فى دهشة من هذا المطلب :

يوسف : ليش

( شريفة تظهر وكأنها كأنت تسترق السمع قبلها ، تبدو دهشة ولكنها تحاذر أن يراها )

وتظل شريفة فى موقعها حيث تفاجأ بحوار لم تكن تتوقعه فهى من قبل كانت تسعى كى تزوج ابنها سالم من سارة . وهذا كان أملا بل حلما أرادت له أن يتحقق . وهكذا ترى بعينيها هذا المشهد وتسمع الحوار الذى يحطم أملها ومن من ؟ من يوسف عدوها ، لقد صدق حدســها . لقد جاء إذن لتغيير كل شىء إلى الأسوأ وهدم كل بناء فى محيط الأسرة .. بل وخارجها .

( شريفة تبدو واضحة وتشهق وتقع مغشيا عليها فى الزاوية البعيدة ) .

إن الأم لا يمكنهاان تفعل شيئا تجاه هذا الموقف ، ولكنها تستسلم مرغمة لا تملك إلا أن تصرح بكلمات ترجمة لشعورها الدفين . وذلك فى المشهد الأخير من المسرحية حيث يكون الزواج قد أوشك .

عمليات تنظيف وتنسيق فى منزل الأب استعدادا لإقامة العرس .. الخادمة تنشد أغانى الفرح وفاطمة تساعدها فى التنسيق غير راضية عما تصدره الخادمة ولكنها لا تستطيع أن تبوح لها عما يجول بخاطرها .. وتستمر فاطمة فى التنسيق وحتى تدخل عليها الأم :

الأم : ( تدخل بهدوء وحزينة ) لا تكلفين نفسك

فاطمة : ليش يمه

الأم : مهى ليلة بتمر عليك يافاطمة .. زوجة ولدى بتروح منه بدقيقة واحدة .

فاطمة : كله واحد يمه .. يوسف أخوه مهوشين

الأم : والله يا فاطمة فينى قهر عليه .. لو أقطعه بسكين وصل وصل مايروح هالقهر .

وتختتم الأم حوارها بقولها : الله ياخده .. الله ياخده

الأم هى الوحيدة من بين أفراد الأسرة التى أبرزت هذا الموقف السافر حينما تتضح صورتها وقد انعكست النشأة الأولى على تصرفاتها .. ومما زاد شعورها بالمرارة أن الضحية هنا هى سارة التى كانت املا تنشده الأم فى أن يكون لابنها سالم .. أملا عاشت عليه ومن اجله سنين طويلة تراه يقترب كلما نضج ابنها حتى أصبح الحصاد قاب قوسين أو أدنى ليقتلعه يوسف فى اللحظات الأخيرة .. لذلك تكون الأم فى قمة الصراع النفسى وهى تتمنى له الموت .

من خلال تلك المشاهد التى تم تحليلها والتى كانت الأم شريفة طرفا أساسيا مع معظم شخصيات المسرحية ، فإن صورتها كأنت تتطور دراميا من خلال حركتها الدءوب بهدف إبعاد يوسف من حياة الأسرة .

هذه كانت صورة المرأة فى مسرحية ضاع الديك والتى وضح من خلالها أثر التربية الأولى فى نفسها ومن خلال تحركاتها وتفكيرها .

ولننتقل إلى العمل الآخر وهى ضحية بيت العز لسعد الفرج وعبد الحسين عبد الرضا . ولو فتشنا فى شخصية المرأة فى هذا العمل فسوف نجد للمرأة صورة تختلف بعض الشيء عن صورتها فى المسرحية السابقة . تتجسد فيها طبيعة التربية وإن كانت بالسلب وليس بالإيجاب .

ففى هذه المسرحية يتعرض الكاتبان لقضية أخلاقية من كل زواياها . فهى تحمل فى طياتها اكثر من قضية تتلخص فى شخصية « أبو طبر » رجل الأعمال الثرى الذى جمع هذه الثروة من كافة الأعمال المتناقضة وبكافة الأساليب غير المشروعة والعمل علي تنمية هذه الثروة بشتى الطرق ومهما كان الثمن أو الضحايا .. سواء كان إهدارا للمال العام أو شراء ضمائر البشر من المسئولين .. أو اطلاق العنان لتصرفاته الشخصية.. أنعكس ذلك كله على أسرته المكونة من الأم والابنة « هيفاء » فى حين لا توافق على هذا الأسلوب الابنة الثانية « طيبة »

وسوف نلقى الضوء على شخصية الأم فى هذه المسرحية لنصل إلى تحديد صورتها كامرأة ، والصراع الذى نشأ بين العادات القديمه والمكتسبة نتيجة حتمية لظهور النفط، وكيف أن العادات الأخيرة كانت لها الغلبة فى تحطيم الموروث من العادات ، ولكن بصورة عكسية غير إيجابية .ففى حين كانت المرأة فى الماضى تدير شئون المنزل من الناحية الاقتصادية على خير وجه فى غياب الرجل الذى كان دائم السفر معظم شهور السنة وامكنها أن تكسر الازمات بحكمة بالغة وأن تصل بأسرتها إلى غد مطمئن بالقليل الذى تملكه .. تراها بعد ظهور النفط قد أنتقلت إلى حياة مغايرة لحياتها الأولى .. وذلك من الحوار الذى يدور على لسان الأم التى تستعد للسفر فى الغد إلى دولة أوربية للترفيه والسياحة وقد عادت لتوها من السوق :

( تدخل الأم وهيفاء وطيبة )

الأم : ويه هديتو حيلى من هالسوق .. مايسوى غلينا هالسفر نشترى قبل السفر .. ونشترى بعد السفر .

هيفاء : عيل .. اشلون يمه .. تبنه نسافر جذيه بدون هدوم

طيبة : والله يمه اللى قاعدين نسويه أنه اسمه تبذير ماله داعى .

من الحوار السابق يبدو من الوهلة الأولى صورة صادقة لكل من الثلاث : الأم التى تعيش فى الكويت والتى تستعد للسفر إلى دولة أوربية ذات الصناعة المتقدمة والبضائع المتوفرة .. هذه الأم رغم ذلك تقضيى وقتا طويلا فى شراء أغراض لدرجة أنها تعود إلى البيت متعبة من كثرة ماحملت من المتاجر وكأنها ستحج إلى مكان ناء .. برغم إنها تعلن أن عملية الشراء هذه سوف تتكرر فى البلد الآخر الذى يزورونه ، ثم تنتقل إلى حوار قصير فى نفس المشهد بعد رنين جرس التليفون :

الخادم : ألوه .. نعم .. إيه منزل أبو طبر .. تبين المدام ..حاضر عمتى .. عمتى ..تليفون

الأم : هو .. إشفيهم مااتصلوا بالرقم السرى .. اكيد غريب ( تأخذ التليفون ) ألوه .. أمل .. أملوه هوليش ما اتصلتى بالرقم السرى .. هو .. مااسرع معلوم بتنسيه لو إنه رقم اللى علمى علمج جان حفظتيه .

هذا الحوار يؤكد الصورة الصادقة التى رسمت خطوطها الأولى للأم التى أنتقلت من حياة عادية إلى النقيض .. وكيف أن الثروة التى جمعها الزوج والتى تأتيه عن طرق غير مشروعة .. هذه الثروة قد أضاء ت فى حياة الأم طرقا لم تكن مألوفة من قبل وتؤدى إلى ضياع الأصالة الموروثة لتحل محلها مدنية خربة مظلمة .. فهى فى أول حوارهاتعتب على السائل عدم استعمال التليفون السرى ، ثم تدخل فى حوار مع صديقة نعرف منها ألوانا من الإنحراف والانحلال اللذين لم يكونا معروفين من قبل .

هذا ملمح مبسط فى البداية للأم ، والذى ينعكس بدوره على إحدى الاثنتين وهى هيفاء وكأن عامل الوراثة قد لعب دوره الإيجابى فى اتخاذ الابنة طريقا موازيا لطريق الأم وإن اختلف الأسلوب نتيجة فارق السن .. وهذا يتضح فى الحوار الذى يدور بينهما وكيف أن الثروة يساء استعمالها وإذا كان المصدر غير مشروع ، وفى أى شىء تنفق ؟ هذا ماسوف يتضح فى الحوار بعد أن تقاطع الابنة هيفاءامها اثناء محادثتها :

هيفاء : أبى ١٠٠ دينار

الأم : هو اشحقه .. مهو أمس معطينج ٥٠ دينار

هيفاء : يمه أنا الحين ابى ١٠٠ دينار

الأم : إيه اشحقه

هيفاء : لا تحرجينى يمه ..

وتتدخل الأخت الثانية طيبة وهى تحأول إقناع الأم بعدم تلبية هذه الرغبة المدمرة . ولكن الأم تعلم إن هيفاء تريد المال لشراء هدية لأكرم عامل المصبغة اللبنانى الجنسية بمناسبة عيد ميلاده . تحتج الأم وهى مازالت تتذكر أن ابنتها قد قامت بإعطاء هذا المدعو أكرم هدية عيد ميلاده من شهر تقريبا .

الأم : ليش يابنتى قبل شهر ماقلتى إنه عيد ميلاده وشريتى له طقطاقة ..

هيفاء : يمه بتعطينى ولا إشلون

ويتأزم الحوار .. الأم تحاول الرفض وطيبة تهاجم الوضع وتعترض وهيفاء تصر وتهدد بالإنتحار اذا لم تحصل على المبلغ .. وبنفس الأسلوب الذى تتبعه الأم تشفق على الابنة فهى هنا تمهد لها الطريق ..طريق الضلال والضياع .. فتستجيب رغم معارضة طيبة وتعطيها المال :

الأم : هاج .. طلعتى روحى .. كله هاتى هاتى .. فلوس فلوس والله عجزت من هالصرف والحظ كله معاكسنى لابالبوكر ولا بالهند

(هيفاء تأخذ النقود وتقوم بحركة تغيظ بها أختها طيبة وتخرج )

الصورة واضحة المعالم .. المرأة قد تغير شكلها وعاداتها وأنعكس ذلك على الجيل اللاحق لها . وهذا واضح من الحوار السابق برغم أن الأخت الثانية وهى تمثل هنا جانب الاعتدال حتى تسير الاحداث ولا تتوقف وحتى ينبع الصراع ويتطور .

والأم من الحوار السابق يتضح أنها لا تقوى على منع ابنتها من طريق هى نفسها تسلكه ومقتنعة به .. وفاقد الشىء لا يعطيه .. كذلك الحوار يكشف هواية محببة لنفس الأم وهى لعب الورق والخسارة المستمرة فى أى لعبة تقدم عليها .. فهى ترى اذن فى

طلب ابنتها هذا المال رغم أنها قد حصلت عليه بالأمس القريب وربما قبله وقبله ..الخ ..

وليس ذلك بالصواب فى شىء .. وبالرغم من رفضها فى بادىء الأمر إلا أنها تستسلم فى النهاية لرغبة الابنة متحدية فى ذلك الأخت الثانية .. فالباطل هنا ينتصر على حكمة الحق المتمثل فى طيبة .. وكيف لا وهى نفسها - أى الأم - قد خاضت فى هذا الطريق راضية النفس ، ومازالت تقطع منه اشواطا غير نادمة بل تدافع عن مسلكها ضد من يقول كلمة حق :

طيبة : يمه أنتى تعتقدين أن اللى قاعدة تسويه اختى هيفاء عدل

الأم : بس هذا اللى أنتى شاطرة فيه .. هذا عدل وهذا غلط .. وهذا يصير ..وهذا لا يصير .

ربما كان هذا الهجوم على طيبة دفاعا عن شرعية ماتسلكه الأم نفسها .. فهى تتخذ من تصرف الابنة هيفاء منفذا تقتحم به ما تريد و خاصة أن الأب لا يفضلهم فى شىء وأن زاد عليهم ، وهنا يصبح فى هذا البيت ثلاثة فى جانب وواحدة فى الجانب الآخر .

فالأم لا تنشد سوى مصلحتها فى حياة قد اختارتها ، وجدت فيها صورة مختلفة عن الماضى ، فهى تؤكد ذاتها وسط مجتمع متجانس وجد المال سهلا ورأى فى إنفاقه وسيلة لضياع الوقت والتسلية مهما تعددت أوجه إنفاقه .. وبالرغم من أن مصدر هذا المال هو التجارة التى يديرها الزوج فإن مجرد رؤية الزوجة لمشروع تجارى يتم فى المنزل سرعان ما تستنكره ، واذا تقبلته فبنفس غير راضية ، يتضح ذلك من خلال الحوار الذى تصدره الأم حينما ترى زوجها مع « سيف » مدير اعماله يدخلان المنزل لإنهاء صفقة :

الأم : وأنتم الله يهديكم هم مشاكل الشغل يابينها معاكم البيت .. ماتكفينه مشاكل ؟

وإذا كانت الأم قد اختارت لنفسها طريقا تسلكه دون النظر للعاقبة فإن المال هو الدافع هنا لهذا المسلك .. وبالتالى لابد أن ينعكس هذا الأسلوب فى الحياة على الابناء وأن تعثرت واحدة . فالابنة هيفاء التى اعتادت كأمها على الأنفاق ببذخ واتخذت من شاب غير كويتى وسيلة لكى تنفق مالها عليه .. فإن هذه الابنة وهى تهوى إلى القاع ..

قاع الخطيئة والأم تعلم وكذلك الأخت طيبة ويكون الأب هو آخر من يعلم أو الذى لا يعلم شيئا .

ابو طبر : عيل هيفاء وينها

الأم : سبقتنا لبيت خالتها

طيبة : يمه هيفاء ما راحت لبيت خالتى .. هيفاء راحت الجمعية

الأم : أى جمعية ( هامسة لطيبة ) يعنى لازم تفضحين البنت

الأم تعلم مسلك ابنتها وعلاقتها بأكرم ، وهذا المال الذى تحصل عليه شبه يومى يكون من نصيبه سواء على شكل هدايا أو بطرق أخرى ..كذلك الأخت لا يخفى عليها تصرفات هيفاء وهى تستنكره ولا تدخر وسعا فى أى مناسبة لأن تقول كلمة حق موجعة خوفا عليها من نهاية مؤلمة بلا شك ، ولكن دون نتيجة مرجوة .. والأم فى هذا الموقف تدافع عن ابنتها أمام الأب .

وتكاد صورة الأم تكتمل ، فهى لا تحفل بأى شىء سوى حياتها الخاصة ورحلاتها بالداخل والخارج وإنفاقها المال والوقت دون حساب ولو كانت الضحية هى الأسرة بأكملها، فالأب قد اتخذ حياة خاصة ويمكن أن يكون ذلك نتيجة طبيعية لاهمال الأم حقوقه ، والابنة التى أنحرفت فى غفلة من الأب غير الموجود فى البيت إلا نادرا .. والأم التى لا تعلم عن أسرار البيت شيئا ، فهى أى الابنة لم تكن أقل منها فقد اتخذت لنفسها حياة خاصة .. اذن فالأسرة على شفا هاوية .

ووسط محيط اليأس يمكن أن تبرز صخرة تكون بمثابة طوق نجاة لمن يريد .. وهذا قد وضح أيضا فى هذه المسرحية فالأسرة هنا مكونة من أربعة .. وكأنهم أعمدة بناء .. تصدع منها ثلاثة وكان الرابع صلبا وكأنه وحده الذى تقوم عليه الأسرة وهى الفتاة طيبة التى تمثل جانب الخير فى هذه الأسرة التى جرفها التيار للضياع.

وتتوالى الأحداث فى منزل أبو طبر ، وفى الفصل الثالث تكون هيفاء قد التقت بأكرم فى عقر دارها وفى وقت متأخر من الليل حيث الأم بالخارج كعادتها .. وذلك حتى يمكنها أن تنال منه ماتريد . أى أن البيت يتصدع من الداخل والأب والأم كل فى شأنه

لا يدرى مايدور .. وفى قمة الصراع النفسى للابنة هيفاء التى تريد أن تخرج أكرم من المنزل بعدماحصلت على ما تريد .. تصل الأم من الخارج وهى لا تقوى على أن تفرق بين الأبيض والأسود ، تصل فى وجود سيف مدير أعمال الزوج حيث أن عنبر الخادم بالخارج حتى ذلك الوقت المتأخر من الليل لقضاء حاجة سيدته هيفاء تدخل الأم وقد أعياها السهر والقمار :

الأم : عنبر سوى لى جاى راسى ترى بينط بسرعة شفيكى منك ياأملوه .. ألفين أولة امبارح وألفين وخمسمائة الليلة .

هكذا تترجم الأم ماحدث فى السهرة وما أنفقته الليلة وما قبلها وهى هنا من كثرة الإجهاد لا تقوى على أن تفرق بين عنبر الخادم وسيف مدير أعمال زوجها .. فقد عادت لتوها من ممارسة القمار الذى لابد أن يصاحبه بعض الشراب حتى تكتمل الصورة ، وهاهى تعود فاقدة الرأس بالاضافة إلى مبلغ ٢٥٠٠ دينار هذا حصاد الليلة غير ألفين بالبارحة وماقبلها وماقبلها ...الخ الكثير بالطبع .

وإذا كانت تلك صورة الأم فلابد أن تكون الابنة طبعة آخرى من هذه الصورة التى بدأت ملامحها تظهر فى هذه الليلة .. فهى تلمح لأمها فى رغبتها بالزواج من اكرم بل تقولها صريحة والأم لا تعى مارمت إليه الابنة فما زال بعض الحياء بداخلها يمنعها من الاعتراف الكامل . ولو أنها بإلاصرار علىّ ذلك المطلب كان يجب على الأم أن تستشف من معانى الكلمات وطريقة إلقائها لتصل إلى الحقيقة ، لكنها فى هذه اللحظة وفى هذا الموقف أبعد ماتكون عن معنى الأمومة الحقة .فهى قد شغلت كل حياتها بملذاتها الشخصية حتى أنها لم تترك ثغرة من وقتها لبيتها حيث تكون النهاية مصرع أكرم فى بيت الأسرة وبيد سيف مدير أعمال الزوج ، والذى كان بدوره يأمل فى الزواج من طيبة حيث كانت هى بدورها تتقبل هذا الشعور ولكن بأسلوب مهذب من الطرفين ، الأمر الذى يرفضه الأب للفارق المادى الكبير ، كما سبق أن رفضت الأم اكرم زوجا لابنتها هيفاء لنفس السبب ، فهى لا تعنى الزواج لذاته ، قدر اهتمامها بالمستوى المادى والعائلى ....وبهذا التفكير والسلوك يهدم البيت .. يقتل واحد ويسجن الآخر .

وإذا كانت تلك هى النهاية ، فالأم مسئولة بل وشريكة فى كل الأحداث ؛ أنحراف الابنة وتحول الزوج واتخاذه حياة خاصة مع فتاة أجنبية . فهنا نجد أن صورة المرأة قد

تغيرت إلى النقيضين .. فالمفروض أن تكون هى بقعة الضوء التى يلتفت حولها بقية افراد الأسرة فى آخر كل يوم .. نجدها هنا سبب تفرق شمل الأسرة وأنصراف كل فرد للبحث عما يناسبه .

ومن خلال العرض الذى تتبعنا من خلاله صورة الأم أو المرأة نجد أن هذه الصورة مبالغ فيها . فالواقع أن المرأة فى الكويت قد وقفت بجانب الرجل مشاركة إياه فى البناء.. بناء الأنسان الكويتى الذى اثبت وجوده فى وقت قصير فى ميادين التعليم والثقافة والصناعة.

ثم تشييد صروح الصناعات والمؤسسات على اختلاف أنواعها . ولكن يبدو أن هدف الكتاب المسرحيين كان وضع سلبيات المرأة المعاصرة تحت مجهر قادر على تكبيرها عشرات المرات حتى يضع جمهور القراء والمشاهدين - و خاصة النساء منه - على تلك السلبيات التى تعوق طريق النهضة النسائية فى الكويت .

# الفصل الثـانى

## ( المراهقـــة )

فى هذا الفصل تدور دراستنا التطبيقية على بعض المسرحيات الكويتية الذى كان النموذج النسوى فيه يعيش مرحلة المراهقة . ونحن نعرف من دراستنا النفسية والتربوية أن المراهقة فترة اضطرابات نفسية وفسيولچية وسلوكية ، فبين طفولة الإدراك العقلى ومحدودية الخبرة ، وبين نمو الجسد وإكتمال الإحساس بالأنوثة ، أو الرجولة ، يحدث الجزر والمد فى الفكر والشعور والسلوك ، ونحن نعرف أيضا أن التقاليد الاجتماعية والأعراف الموروثة تميل إلي معاملة المراهق على انه قاصر ، او ليس ثقة ولا يصح الوثوق به ، ونعرف ايضا ان تكوين الأسرة العربية ، وبخاصة فى ظل التركيب القبلى والبدوى للمجتمع بصفة عامة ، لا يستقل المراهق بنفسه ولا بتصرفاته ، وهذاأمر مترتب على نظام الاقتصاد ،أو العلاقات الإقتصادية ، ونظام توزيع العمل والسلطة فى بناء الأسرة ، فالأب ، او الجد الأكبر فى الأسرة والقبيلة المصغرة هو صاحب القرار ، لا ينازع ، وكلمته على الأسرة لا ترد ، أما سائر الرجال ،فضلا عن المراهقين ، فما عليهم إلا الطاعة .

لقد عاش المجتمع الكويتى - بشكل عام - هذه الصورة فى العلاقات الأسرية ، ولكنه بعدأن ظهرت عائدات النفط ، وتعددت المدن ، وعرف الأبناء الاغتراب طلبا للعلم أو السياحة ،أو التجارة ، مالبث شكل الأسرة الحديثة ان ظهر ، ومالبث المراهق أن اكتسب شكلا من الاستقلال الفكرى والنفسى ، ترتيبا على « حقوق » مادية مكتسبة أيضا ، وهكذا يمكن القول ان صورة المراهق ، ووضعه فى المرحلة الراهنة قد اختلف كثيرا ، فإذا خصصنا النموذج النسائى بالعناية فإننا سنجد قدرا من سطوة الموروث من الأفكار عن المرأة ، وعفتها ، وعزلتها ، ولكننا سنجد - أحيانا - تمرداعلى هذه السطوة، ورفضا للوصاية من الرجل لمجردأنه « رجل » .

لقد تم إختيار مسرحيتين لكي يجرى من خلالهما تكوين صورة للمرأة أو الشخصيات المراهقة ، لنرى إلى أى مدى توافقت رؤى الكاتب المسرحى مع النموذج الاجتماعى الواقعى الذى نجده ماثلا فى حياتنا ، وتدل عليه الدراســات النفسية والتربوية ، ثم لكى نرى - فيما بعد - مدى توافق هذه الشخصيات المراهقة لمطالب الصناعة المسرحية ، وما تستلزم من شروط وأصول فى الشخصية المسرحية . والمسرحيتان هما « ضحية بيت العز لسعد الفرج وعبد المحسن عبد الرضا » و « ضاع الديك » لعبد العزيز السريع .

وبالرغم من أن هذين النصين قد تعرضنا لهما فى الفصل السابق ولكن من زاوية تختلف تماما عن تعرضنا لهما فى هذا الفصل ، وهذا بالتأكيد إن دل على شىء فإنما يدل على ثرائهما فنيا .

ففى المسرحية الأولى « ضحية بيت العز » سيكون التركيز على شخصية واحدة تمثل الفتاة المراهقة وإن شاركتها بعض الشخصيات الأخرى حتى نصل من خلال الحوار إلى صورة واضحة لهذا النموذج .

والشخصية فى هذا النص هى هيفاء التى نشأت فى بيت مفكك يعيش الأب فيه حياة خاصة ، فهو مشغول دائما بحياته التجارية وصفقاته وتعاملاته . والبيت يمثل فى حياته مأوى لقضاء الليل والراحة المتأخرة ، ثم على الجانب الآخر الأم التى لاهم لها سوى الوقوف على أخر ماوصلت إليه بيوت الأزياء الراقية ، والسهرات التى لا يعلم أحد مايدور فيها سوى لعب القمار والخسارة المستمرة ثم العودة إلى المنزل فى أوقات متأخرة من الليل ، ولا يتبقى فى البيت سوى ابنتين إحدهما طيبة ، والأخرى هيفاء موضوع الدراسة فى هذا الفصل . نقول إذا كان هذا حال الأب والأم فى البيت ، فالباب مفتوح على مصراعيه أمام الأبناء دون رقابة أو توجيه ، فكل يتصرف كما يحلو له ، ولنترك الابنة طيبة ويكون التركيز على هيفاء التى تعد نقيضا لأختها . فهى الفتاة التى تمر بسن خطرة يصعب فيه الاختيار بين أكثر من طريق . وترجح العاطفة أحدهما ويصمت العقل أمام إرادة العاطفة التى تضىء طريقا بدايته ممهدة فى هذا البيت .

إن هيفاء صورة مصغرة من الأم فى الطباع والتصرفات . فالأسرة تعتزم السفر وتستعد له . وقد جرى العرف على أن الإنسان يشترى حاجاته من البلد الذى يســافر

إليه . هذا هو المنطق، ولكن تكون الأم فى وضع استعداد للسفر ورغم ذلك تجمع ما فى السوق من ملابس وأشياء مختلفة حتى المأكولات .

الأم : ويه .. هديتو حيلى من هالسوق .. مايسوى علينا ها السفر .. نشترى قبل السفر .. ونشترى بالسفر ..

هيفـاء : عيل ..شلون يمه .. تبينه نسافر جذيه من غير هدوم

الأم : ( وهى تنشف العرق عن وجهها ) يللى عاد روحوا رتبوا اغراضكم ولا تقولون قاصر علينا جذيه وجذيه ترى ما بقى شىء ماشريناه

طيبـة : والله يايمه اللى قاعدين نسويه آنه أسميه تبذير ماله داعي

هيفـاء : هو كل شىء عندك اسمه تبذير .

هذه بداية تصرف هيفاء أردنا أن نوضح وجه الشبه الذى يكاد يتطابق بينها وبين الأم ، حيث ان الأخت طيبة بينهما تمثل الاتجاه المضاد تماما ، لقد اعتادت هيفاء إذن ان تكون رغباتها كلها مجابة .. فكل شىء يؤثر عليه المال يحضره بلا تردد .. وذلك المال الذى فقد دلالته إلا أن يكون فى هذه الحال محققا لرغبة.. من هنا كانت رغباتها كلها جامحة ومقاومتها ضعيفة ، والتى تعيش فى اسرة حالها كذلك ويترك لها حرية الحياة والتصرف دون رقابة أو توجيه . فهى لابد ان تهوى فى أول منزلق يصادفها ، والحوار الذى يدور بينها وبين الأم التى تكون مشغولة فى حديث مع صديقة تليفونيا وهى تبوح لها بما خسرته فى القمار والرهان تدخل هيفاء بسرعة :

هيفاء : يمه ..يمه..يمه

( تضع الأم يدها على سماعة التليفون )

الأم : هو ياهيفاء .. الله يهديج .. ماتشوفينى احجى بالتليفون

هيفاء : يمه انا مستعجلة أبّى اقولك شىء

الأم : هو مافيج صبر . ما يعلمونج فى المدارس أدب المكالمات الهاتفية .. لحظة يا أمل – اشعندج .. اشتبين ..

هيفاء : يمه انا الحين .. الحين ابى ١٠٠ دينار

الأم : هو ١٠٠ شحقه .. مهو أمس معطينج ٥٠ دينار

هيفاء : لاتحرجيني يمه

الصورة واضحة تماما .. الأم تخسر فى القمار والرهان والابنة تحصل على المال دون رقيب أو حسيب يراجعها واذا أرادت الأم مجرد نقاشها عن سبب احتياجها للمال ترد الابنة « لا تحرجينى » أى أن سبب الطلب للمال غير مشروع مادامت نتيجته الإحراج ورغم ذلك تتمنع الأم فى بادىء الأمر ولكنها ترضخ فى النهاية حيثما تهدد الفتاة بالانتحار وبرغم تدخل الأخت طيبة موضحة السبب الحقيقى لطلبها النقود . إلا أن الأم تقف حيال ذلك بالسلب ، وهذا فى الموقف السابق يعد أمرا طبيعيا فكيف تمنعها عن شىء هى نفسها مقتنعة به ، فقد أباحت لنفسها الحرية ، فى كل شىء مهما كانت عواقبه ، وهاهى الابنة تقولها صراحة دون خجل فى مجتمع عربى شرقى تحكمه شرائع سماوية.. فبعد مناقشات ثنائية بين الأختين تكون طيبة بمثابة عامل مهدىء وهاد وموضح لطريق الصواب ومحذرة إياها من ذلك الطريق الذى تسلكه والذى لن تحمد عقباه تثور هيفاء على مسمع ومرإى من الأم :

هيفاء : انا حرة بتصرفاتى وما أحد له أمر علىَّ

وتحاول الأخت ان تهدىء من روعها والأم لا تدرى ماذا تقول أو تفعل ولكن هيفاء تبادرها :

هيفاء : يمه بتعطينى البيزات ولاأشلون

إن هذا الحوار يجعل الصورة تكتمل للفتاة هيفاء من تطابق الشبه بينها وبين الأم من ناحية ، ومن تصرفاتها الغامضة ، والتى تكتشف عن طريق الأخت ولكن دون تأثير . وتعلم الأم من طيبة الهدف الذى تصل إليه تلك الدنانير الكثيرة وهو الشاب اللبناني أكرم صاحب مصبغة تتعامل معه الأسزة أحيانا برغم وجود البديل فى البيت .

تعلم الأم وتستنكر ولكن بدعابة غير مكترثة ، ورغم ذلك تحصل هيفاء على ماطلبت وهى المائة دينار متحدية الجميع بما فيهم الأم نفسها التى لم تكن غاضبة من داخلها فهى ترى فيها نفسها .

وهكذا فقد رسمت الابنة لنفسها عالما وارتضت العيش والتعايش معه وفيه . معلنة التحدى لكل من يحأول التشويه لهذا العالم . فالأم من قبلها أيضا قد أوجدت لنفسها دنيا توافق مستواها المادى ، ولا نغفل هنا دور الأب الذى ارتضى لنفسه حياة

خارج البيت يمارس من خلالها رغباته ونزواته ، ألا يجدر بالابنة التى تكون فى أمس الاحتياج لمن يكون لها قدوة أن تسلك هى الأخرى مسلكا تفرضه عليها العاطفة الجامحة كفيضان بدون ساتر يمنعه من إغراق ماحوله .. لقد ارتضت وسارت فى الطريق ، وقطعت شوطا يصعب الرجوع عنه ، واقتنعت بالنتائج التى كانت بمثابة بداية لأخطار تتهددها دون أن تدرى.

ينتهى الفصل الثانى بعد ان تحصل هيفاء على الدنانير التى تشترى لها هدايا لأكرم الذى أصبح فتى أحلامها .. وتتطور العلاقة التى تصل مداها فى الفصل الثالث وبعد مرور أيام والوقت ليلا والكل يستعد للسفر فى الفجر .

البيت خال تماما إلا من الفتاتين والخادم عنبر .. وهذا أمر طبيعى فالأم لم تتعود قضاء ليلها فى البيت أو نقل سهراتها الممتدة إلى ما بعد منتصف الليل .. رغم أنها سوف تسافر فى الفجر .. والأب له حياته الخاصة خارج البيت فعودته للنوم لا أكثر .

والأخت طيبة هى النموذج الوحيد الذى يدل على ان العالم وإن غلب عليه الشر فإن الخير بنسبته الضئيلة موجود حتما كما أنها - كنقيض - لابد أن تعين على تكثيف الصراع فى المسرحية .

الخادم عنبر يرد على التليفون فى البداية .. ولكن أحد لايتكلم ويغلقه .. ليدق مرة ثانية ويرد أيضا ، ودون جدوى ، فلا يجيب وكأن الطالب لا يريد هذا الصوت ، ويتكرر ذلك مرات ويرد عنبر بصفته الخادم فلا مجيب ثم بصفته الأب ثم الأم والهدف هنا لا يزيد عن كونه تقديم مشهد كوميدى يكسر حدة الصراع الأخلاقى فى هذا البيت .. حتى تدخل هيفاء مسرعة وكأنها لم تكن تسمع فى المرات السابقة:

هيفاء : التليفون من له

عنبر : عمتى ماأحد يرد

هيفاء : وانت ليش ترفع السماعة

عنبر : شمسوى صار له مدة يذق .

وتطلب منه هيفاء أن ينصرف ولا شأن له بهذا التليفون وكأنها تعلم من يكون الطالب وتقوم هي بطلب الرقم :

هيفاء : ( ترفع السماعة وتدير القرص وتتكلم بعد أن تطمئن أن ليس بقربها احد )

ألوه أكرم أنت اللى دقيت تليفون .. أنا قلت أكيد أنت .. بالله ليش اتأخرت أنا كنت أنتظرك عند الباب لاماكو أحد ... إلخ

يستمر حوار هيفاء وهى تحثه على سرعة الحضور كى تودعه قبل السفر .. اذن فالسفر فى تلك الليلة وهى لا تحتمل الفراق دون أن ترى فتاها وتبادله الحوار فى غياب أختها الموجود الوحيد بالبيت والتى تكون قد آوت إلى فراشها .. أما الخادم عنبر فأمره هين فيمكن أن تبعده عن البيت وهذا من حقها كأحد أفراد الأسرة الأمرة . ورغم أن أكرم يهاب الموقف ويخشى لقاءها فى مثل ذلك الوقت المتأخر من الليل .. إلا أن هيفاء تذلل له كل صعاب . وتوجد له البدائل فى كل الأحوال .. ويوافق أكرم ... وتستعد هى لهذا اللقاء التى خططت له وهى لا تدرى مايمكن أن تحصد من ورائه . أن طيبة الأخت الكبيرة قد أتمت صلاتها ونامت والخادم عنبر هو الذى يؤرق تفكيرها .. اذن لابد من التخلص منه حتى يمكنها التصرف بحرية بعد ذلك .

ولكن الإرادة إذا أصرت لايقف في الطريق أية عقبات .. فتنادى عنبر وتطلب منه إحضار « هنبة » ، وهي تعلم أن هذا الصنف من المأكل يصعب وجوده فى هذا الوقت من الليل وفى تلك المنطقة التي يقيمون فيها « .. وهى بالطبع تعى ماتفعل وتقول ».. فهى تريده أن يغيب عن البيت أطول فترة ممكنة حتى يتسنى أن تكون وحدها مع أكرم دون أن يعكر صفوهما أحد . وينصرف عنبر رغما عنه يعد أن تدس فى يديه دينارا .

هكذا اهتدت هيفاء إلى تلك الحيلة للتخلص من عنبر ، وهى إلى هذا الحين على يقين من أن أختها قد نامت .. ولكن الأخت تفاجئها يعد ماأعدت هي كل شئ وهي تقوم بمراقبة الموقف ايذانا بوصول أكرم ..

( تظهر طيبة وهي تنادى ) :

طيبة : عنبر .. عنبر .

هيفاء : اشتبين بعنبر

طيبة : حبيت أقوله أن أمى نسيت تأخذ مفتاح البيت معاها وأخاف إذا رجعت يكون هو نايم .. إلخ .

هيفاء : لا .. لاتخافين .. روحي نامي إنت مطمنة أنا موجودة إنت صليتى ؟ ..

طيبة : الحمد لله .. صليت على النبى

هيفاء : روحى بعد .. صلى ونامى

طيبة : وأمى مين يبطل لها الباب .. أخاف أنتي تروح عليكى نومة

هيفاء : هوة إنا أنام ..« والله ماتشوف عيني النوم وأمى برة إنت متدينة وتعرفين أن أنتظار البنات لعودة أمهاتهم عند الفجر لهن أجر عظيم .

إن الحوار السابق يؤكد ويبرز عمق التفكير لدى هيفاء وذلك مصدره قوة ارادتها فى الحصول على شئ أيا كان .. فهى ذكية حقا تعرف ماذا تريد ، ومتى تريد ، والوسائل التى تنفذ بها إرادتها .. فقد فكرت فى التخلى عن عنبر بطريقة لاتدع مجالا للشك ..تريد أن تأكل شيئا ولها فى ذلك مطلق الحرية فى اختيار النوع الذى يحلو لها. كذلك فهى حينما ترى الأخت أمامها تقابلها بحوار هادئ يرضى تفكيرها المتدين .

وهذا الأسلوب عكس ماكانت تتبعه تماما من قبل فى المواقف السابقة .. فهى ضدها على طول الخط .

كذلك فإن حوار هيفاء يكشف النقاب عن نقطة خطيرة لتضيف إلى صورة المرأة الأم ملمحاً آخر .. فهى تذكر ضمن حوارها أن الأم تأتى من الخارج عند الفجر .. ثم إقرارها لأختها بأنها سوف تنتظر الأم حتى هذا الموعد .. فهى تريد منها مغادرة المكأن على الفور حتى لايعوق تخطيطها أية صعوبات . وتنصرف طيبة وهى مطمئنة وتخرج هيفاء من هذا الموقف منتصرة .. لكى تستعد للقاء المرتقب ..

( هيفاء تتمشى قلقة .. ثم تسمع جرس البَاب فتسرع وتفتح ويدخل أكرم حاملا بعض الملابس .. تماما كما طلبت منه هيفاء .. حتى لايشك فى أمره أحد .. )

( أكرم ينظر حوله ويرتجف خائفا ومبهورا من الأثاث ) .

هيفاء : اشفيك خايف .

أكرم : أنه خايف .. ليش شواللى يخوفتي .. أنا مابخاف إلا من اللى خلقنى .

هيفاء : ( وهى تأخذ الملابس منه وتضعها جانبا وتمسك بيديه محاولة اجلاسه ) زين .. تفضل .. استريح .. تفضل .

أكرم : أنا هيك مرتاح .. بس أنت قولتى فيه كلام بتقولى عليه .

هيفاء : فعلا ياأكرم أنا عندى لك كلام وايد .. أكرم أنت تعرف أنى بحبك .. أموت فيك.. وأغار عليك من الهوا.. حتى من الدخان اللى فى المصبغة.



مشهد من مسرحية ( ضحية بيت العز ) والتى عرضت عام ١٩٧٥
تأليف سعد الدين الفرج ، حسين عبد الرضا

إن الحوار السابق يؤكد أن الذى بيده زمام الأمر هو الفتاة وليس الفتى .. فالتباين واضح مابين الشخصيتين .

كذلك لايمكن إغفال الوحش الثائر الذى يكمن بداخلها .. ألا وهو المراهقة التى وجدت فرصة سهلة من الجانبين .. المكان آمن وخال من البشر .. ثم أكرم الذى يكون فى موقف ضعيف من أكثر من سبب .. من الناحية المادية ، فقد أنبهر حين دخل البيت وهذا دليل الفارق الكبيربين ذلك المكان الذى يدخله لأول مرة وفى موقف كهذا وهو لايعرف عنه شيئا . أيضا فهو حينما دخل ظل واقفا مكانه وهذا يعكس مدى الرهبة التى تملكته رغم أنه لا يخاف كما اعترف لهيفاء .. ولكن الحقيقة أن الخوف كان يسيطر عليه وإن لم يكن كذلك لما بادرته هيفا يقولها « أنت خايف » إنها لم تقل هذه الجملة إلا بعد أن تفرسته وتأكدت من نظراته .. وهذا أمر طبيعى .. فقد استدرجته هى إلى هذا المكان المحرم مخاطرة بكل شئ وقد أعدت ودبرت حتى يتم ذلك اللقاء وتبرر استدعاءها له لكى تعترف له بحبها .. إن هذا الاعتراف ماهو إلا بداية للحدث كى يستمر ويصل إلى ذروته .. وينهى أكرم اللقاء مودعا إياها :

أكرم : يللى سافري وأنتى مطمئنة .. وتروحى وترجعى بالسلامة .

يقول أكرم هذا الحوار لكى يتعجل الخروج بعد أن أحس أنه مخنوق ، ولكنه يفاجأ بقادم .. من خلال صوت سيارة ويرتبك وكأن اتهام هيفاء له كان حقيقة حينما سألته عن خوفه .. وتتصرف هى بسرعة حينما تطلب منه أن يختبئ في غرفتها .. ويصل الأب الذى لايدرى عن ابنته شيئا سوى مايراه أمامه أو مايمكنه أن يراه وهو فى حالته هذه .. فهو لايستعمل البيت إلا للنوم .. والأم مازالت بالخارج لم تنه سهرتها بعد .. والأب قد تعود ذلك فهو لم يسأل عنها عند قدومه ؛

يصعد أكرم ويدخل غرفة هيفاء أنتظارا منه لفرصة تتاح كى يتخلص من هذا المأزق .. وهيفاء تقيم حوارا مع أبيها وضيفه وكأن شيئا لم يحدث :

( يدخل أبو طبر الأب ) .

هيفاء : أهلا يبه .. تأخرت الليلة

أبو طبر : شمسوى يابنتى .. شغل وايد.

هيفاء : ( وهى تقبله ) يللى تصبح على خير .

أبو طبر : تصبحين على خير يابنتى .

( تغادر هيفاء المكان داخلة )

أبو طبر : تصدق ياسيف هالبنت ماتقدر تنام بدون ماتبوسنى وتقوللى تصبح على خيريبه .

إن تلك الصورة التى استقبلت هيفاء بها الأب وضيفه لتؤكد مدى الجرأة التي تنبع من داخل الفتاة المراهقة التى تتلون فى آن واحد ...فإلى هذا الحد تصل الجرأة بالفتاة في مثل هذا الموقف الصعب .. ولكن تحدى المراهقة داخلها يسيطر على مشاعرها وعلى تفكيرها والدليل على ذلك هو التصرف الجرئ والسريع دون أدنى ارتباك ، وتعامل الأب بهدوء حتى لتجعله يعتقد أنها لم تنم بسبب أنتظارها له لكى تعطيه قبلة ماقبل النوم .. وتختفى بالطبع فى حجرتها ويدور حوار طويل بين الأب وسيف مدير أعماله يستغرق وقتا ليس بالقصير فى حين تختلى هيفاء بأكرم فى غرفتها مغلقا عليهما بالطبع .

إن الموقف هنا قد تأزم .. لقد جاء الأب ومعه سيف لكى ينهيا بعض الأعمال .. الأمر الذى يمكن أن يستغرق ساعات .. ويمكن أن يمتد إلى أن يحين موعد السفر فيلازمهم إلى المطار .. أى أن المكان سوف لايكون خاليا .. وعنبر لابد أنه سوف يعود إن عاجلا أو آجلا .. والأم والأخت .. إنه حقا موقف متأزم ..

تحاول هيفاء أن تجد لأكرم وسيلة للخروج ولكنها تفاجأ بسيف جالسا ينهى بعض الأعمال .. تم أيضا أختها طيبة التى تشترك مع سيف في نقاش طويل يحلو للأخير امتداده .. والوقت يمر .. وتغادر طيبة المكان .. ولكن الأم تحضر من الخارج وهى لاتستطيع أن تفرق بين الأبيض والأسود .. بين سيف مدير أعمال الزوج ، وعنبر الخادم المقيم فى البيت ، ويدور نقاش آخر بين الأم وسيف والوقت يمر سريعا .. حتى تتعرف أخيرا الأم على سيف وتعلم بعدم وجود عنبر ، تأمر بإحضار شاى حتى يمكن لرأسها أن يستقيم .. يختفى سيف فى المطبخ حتى تتحين هيفاء الفرصة لكى تخرج أكرم .. تحاول ولكنها تتنبه بوجود الأم .. تعطى أكرم إشارة بالعودة مرة أخرى فيختفى وتتقدم هى لأمها وكأنها تود أن تطلب شيئا عاجلا .. :

هيفاء : يمه .

الأم : وصحه .. فولتى عليه وكأنى أكلتها .. حتى الترقل شيك خسرته .

هيفاء : لأيمه .. أنا ببيك فى موضوع

الأم : بيزات ماعندى

هيفاء : لايمه .. الموضوع ماهو بيزات

الأم : عيل .. شعندج .

هيفاء : موضوع خاص فينى وأبى رأيج فيه .

إن هذا الحوار بداية لصراع طويل بين الابنة والأم .. صراع نابع من مراهقة الفتاة التى يهملها الأبوان في سن خطرة دون رقابة أو توجيه .. فالابنة تقولها صريحة للأم عن رأيها في أكرم وهى تصر على جدية الموضوع والإجابة من الأم لاتحمل إلا عدم اكتراث حتى تعترف الابنة بجرأة علي أنهما ( هيفاء وأكرم ) أصبحا خطيبين دون الرجوع إلى أحد وهى تصر على المضى فى هذا الطريق إلى آخره وهى النهاية الطبيعية ألا وهو الزواج .. تعارض الأم من منطلق إثبات الذات حتى تثبت وجودها .. وتصر وتتحدى الابنة .. يدور كل هذا الحوار ومازال أكرم مختبئا فى الداخل فى ذلك الوقت من الليل .

تنهى الأم الحوار دون الوصول نتيجة محددة وتغادر المكان .. ويكون سيف فى المطبخ وتجد الفتاة الفرصة مواتيه لخروج اكرم وتصاحبه حتى يصلا إلى الباب وماعليها إلا أن تفتحه لكى يخرج أكرم .. إلي هذا الحد والأمور تسير كما تود الفتاة .. وفى اللحظة الأخيرة بينما تمسك هيفاء بالباب لكى تفتحه حتى يق جرس الباب معلنا عن قدوم إنسان .. ويعود أكرم من حيث أتى ولاتدرى الفتاة ماذا تفعل ولا كيف يكون الحل .. ويكون القادم هذه المرة عنبر بعد غياب ساعات .

يعود عنبر ويستقبله سيف مستفسرا عن وجوده بالخارج حتى هذه الساعة من الليل ويعترف له عنبر .

سيف : وإنت شطلعك فى هالليل .

عنبر : شمسوى فى عمتى هيفاء .. كل ليلة الساعة ١٢ تشتهى شئ وتقعدنى من النوم وتطرشنى .

إن الصورة مازالت لم تتضح بعد .. فإن حوار عنبر يكشف جانبا آخر .. إن اللقاء الذى تم هذه الليلة لم يكن الأول ، فهو أى عنبر يقول « كل يوم الساعة ١٢ » وهي تعلم جيدا أن الأم لا تأتى من الخارج كما ذكرت فى حوار سابق لها قبل الفجر .. وأن الأب ربما لايأتى إلا نادرا .. وإذا حضر فإنه يستقبل القبلة لينام والأخت طيبة كعادتها تنام

بعد الصلاة مباشرة ولايتبقى فى البيت سوى عنبر الذى لاتجد فى اخراجه من البيت صعوبة.

إن الصورة تتضح معالمها من الحوار الذى يدور علي ألسنة الجميع ، إن المراهقة لدى الفتاة والفرص التى خلقتها جعلتها تفعل مايحلو لها . وإلى هذه اللحظة .. ولكن المشكلة هنا هى كيفية اخراج هذا الفارس من هذه الورطة .. ولاسيما أنهم بعد قليل سوف يسافرون ..

تحاول هيفاء جاهدة إخراج أكرم بشتى الوسائل حتى أنها لجأت أخيرا إلى حيلة التنكر فى زى امرأة ، ولكن الأمر يكاد أن يكتشف وتحدث مواجهات بين أكرم المتخفى وبين عنبر الذى يلمحة ممسكا سكينا وصاعدا إلي غرفة هيفاء .. ليقتفى أثره .

( يتجه عنبر إلي فوق ونسمع أصوات ضرب وتكسير حاجيات ويرجع عنبر ممسكا بهيفاء .. يستقبلها الأب ويجلسها ويطمئنها ) ويصعد سيف بدوره ويدرر بينهما صراع ينتهى بقتل أكرم بيد سيف ، وترى هيفاء ذلك وتفقد وعيها بعد أن تعترف أمام الجميع :

هيفاء : اكرم .. ذبحت اكرم .. ذبحت حبيبى .

أبو طبر : هاه ..

وكأن الأب قد فوجئ بهذا الحوار بعد ذلك الصراع الذى أودى بحياة أكرم ولم ينطق بكلمة واحدة سوى « هاه »، وأصبح الموقف الآن هو الانسحاب من قبل الأب والأم بهدوء دون أن يزعجهما شئ .. فهذان : واحد قاتل .. والآخر قتيل .. هذه هي القضية من وجهة نظرهما .. أما الأختان فلهما وجهة نظر أخرى ، فقد قتل الحبيب الحبيب .. قتل سيف أكرم .. حيث أن طيبة كانت تتمنى الحبيب القاتل ولكن بطريقة عفيفة مهذبة . أما هيفاء فلها قصة أخرى مع الحبيب المقتول فقد خسر كل منهما فى هذه الجولة كل شئ :

أبو طبر : سيف أنت .. أنت شلون ذبحته

الأم : مجرم .. مجرم مافى قلبه رحمة

سيف : هاه .. عمتى أنا ذبحته دفاعا عنكم

أبو طبر : دفاعا عنا تذبحه .. أنا ظننت أنك بتخرعه

سيف : بس هوه فى بيتك وأنا ذبحته دفاعا عن عرضك وشرفك .. وبعدين أنا لو ما ذبحته كان ذبحنى .

إن الصورة قد تحددت معالمها .. والموقف قد أصبح واضحا ومنتهيا .. فبرغم ذلك الدفاع من سيف .. الدفاع الجارح بالنسبة للأب وهو يعترف أن قتله ذلك اللص ماكان إلا دفاعا عن العرض والشرف .. وبالرغم من ذلك وخطورة الموقف إلا أن رد الفعل من الأسرة لم يكن سوى أنهم سوف يتأخرون عن موعد السفر .. وصورة الفتاة المراهقة التى تعترف بجرأة على مرأى ومسمع من الكل قد وضحت في أكثر من موقف فهى تقولها بصراحة وجرأة « أنا حرة »، والحرية هنا من وجهة نظرها أن تفعل أى شئ مادامت مقتنعة به فى تلك السن وبدون رقابة .. فإن مايحلو لها هو الصواب ، لم يحذرها سوى الأخت طيبة التى تعد غريمة لها لأن السن متقاربة والنصيحة هنا تفسر علي أنها غيرة أو حقد من الطرف الآخر الذى عجز أن يجدله مثل حظها هى .. هذا ما وصل إلى تفكير هيفاء بالطبع .. وعلى ذلك فلم تكن تقبل لها حوارا فى مثل هذه المواقف .. والأم لا وقت لها مادامت سهرات الورق قائمة .. ومايدور من خلالها كثير .. والأب يمتلك بيتا وحياة اخرى يستهلك فيها ماتبقي من وقته بعد العمل .

إذن فإن الفرصة هنا للفتاة هيفاء سهلة ميسرة وهى تعلم تصرفات والديها وخصوصا الأم التى تعترف فى أكثر من موقف بما يدور فى الخارج أثناء سهراتها . وهذا يعطى الابنة الحق فى مواجهتها بصراحة دون الأب الذى لايعلم عن تصرفاته أحد سوى مدير أعماله .

أيضا يصل اعتراف هيفاء للأم بأنها تحب أكرم وقد خطبها أو خطبته فالنتيجة واحدة .. وإصرار الابنة على هذا الاختيار رغم معارضة الأم .. يتم هذا كله حيث يكون أكرم بداخل غرفتها .. وبدافع قوى جعلها تعترف وتطلب ماطلبت رغم تكرار اللقاء الذى كان ينتهى منتصف الليل ، ولايدرى أحدكم من الوقت كأن يستغرق .. ولكن الليلة بالتحديد تطلب الابنة هذا الطلب وتصر عليه .. ثم تصل بها الجرأة منتهاها حينما تعترف أمام الجميع بمن فيهم الأب أن الذى قتل هو حبيبها الذى قتل في غرفة نومها. هذه صورة تجسدت فى هذه المسرحية وقد عكست مدى التصرفات التى نبعت من مراهقة الفتاة فى غياب مراقبة الوالدين .

وهذه الصورة تتأكد فى « مسرحية ضاع الديك » لعبد العزيز السريع ، والتى عرضت على مسرح كيفان من ١١/٧ إلى ١٩٧٢/١١/٢٣ ثم أعيد عرضها فى البحرين لمدة أسبوع ثم تلا هذا العرض عرض آخر فى الكويت .

يختار الكاتب الفتاة المتهورة أيضا ، ويلصق بها صفات النزق والأندفاع ورفض النمط السائد فى البيئة ، حيث يبرز أسلوب المراهقة فى مسرحيته ولايختلف كثيرا عن سعد الفرج وعبد الحسين عبد الرضا فى عرضهما لنموذج المراهقة ، ولم ينس أيضا أن يضع نموذجا آخر للفتاة المثالية التى يمكن أن تعتبر الوجه الآخر للفتاة طيبة .

وسوف يكون التركيز هنا على الفتاة « سارة » أو سوسو كما يحلو لها أن تنادى.. وهذا الاسم هو بداية لاختيار نوعية الأسلوب الذى سترتضيه والذى سيترتب عليه اختيار نوعية الحياة والاحتكاك بالمجتمع .. فلابد للتعامل مع الكل بمعيار واحد وإلا ستتهم بالرجعية .

وسارة هنا هى ابنة العم لسالم وفاطمة وعلى ويوسف الأخ الرابع الوافد من لندن.. وأبوها عبد الله الأخ الأكبر للأب .. تبدو لأول مرة والمشهد الثانى من الفصل الأول فى وجود الأب والأم شريفة والابنة فاطمة .. وهى تعكس فى تصرفاتها بعضا من صفة المراهقة وإن لم تبد صريحة .

( تدخل سارة مرحة ضاحكة .. كالطاووس .. جميلة .. تتكلم بغنج ودلال .. في مقتبل العمر .. تدعو نفسها سوسو .. متصنعة بشكل مثير للضحك .. تحاول اثبات أنها لاتفهم وهى خبيثة وذكية جدا .. تخطر وتحجل وتمشى بطريقة خاصة .. كل شئ منها مبالغ فيه ) .

سارة : هاللو ( تحتضن فاطمة )

فاطمة : ( تحتضنها بحرارة وتقبلها ) الحمد لله على السلامة يمه هذه سارة .. متى الوصول .

سارة : أمس بس .. بالليل .. شلونك عمى ( تقبل رأسه )

الأب : هلا بسارة .. حياك الله .

شريفة : ( تنهض وتسلم عليها وتقبلها )

سارة : فوفو .

فاطمة : ( تبتسم ) اسمى فاطمة ( يضحك الأب حانقا )

سارة : ليش

فاطمة : هذا اسمى ياسارة .

سارة : وأنا اسمى سوسو من فضلك .

الأب : ( يسترسل فى الضحك ) عجيب .. أسامى قطط .

سارة : ( بدلع ) عمى أنت رجعى .

شريفة : شلون أمك .

سارة : مامى .. زينة وايد .. وتسلم عليك

الأب : ( يضحك أيضا ) سلط الله عليكى ياسارة شسم بنبيتى.

فاطمة : يبه .

الأب : ( ضاحكا أيضا ) عيل .. ماانت راضية أقولك فطيم ولافطوم .

سارة : أوه « مشمئزة » .

هذا الحوار الذى كان لابد أن نسجله بالكامل هو مفتاح لشخصية سارة الابنة المدللة التى أرادت أن تعيش حياة خاصة جدا فى مجتمع شرقى ووسط عائلة محافظة جدا ومتدينة للغاية .

فهى كما وصفها الكاتب وصفا دقيقا .. فتاة شرقية بالمعنى العميق ولكن الثراء صنع لها ماأرادت وماتصورت أصبح حقيقة فكل متطلبات الحياة العصرية المتحررة والمطابقة للحياة الأوربية قد ملكتها دون أن تستوعبها .. فيصفها الكاتب بأنها متصنعة بشكل مثير للضحك ، فالمظهر لسارة شكل أوربى ولكن الجوهر عربى ، ولابد لأحدهما أن ينتصر على الآخر .. فهى لاتتكلم العربية إلا نادرا « هاللو » تقولها وهى تخاطب أسرة متكاملة ( الأب والأم والابنة ) ولايستنكر هذا التصرف سوى فاطمة الابنة .. ويوافق الأب على هذا الأسلوب .. وهو الذى اختارها لتكون زوجة لابنه سالم .. فهو

يغفر لها ذلك من أجل الابن الأكبر .. تم نجدها ترد على فاطمة حينما تسألها عن موعد عودتها التى كأنت ليلا من الخارج بمفردها .. أى أنها تعيش حياة متحررة لاتقل شيئا عن حياة الفتاة الأجنبية مع فارق العادات والتقاليد، وكذلك نوعية السفر أهو للعمل أم للسياحة .. وهذا هو المرجح .. ولم يقف الأمر عند هذا الحد بل تحاول أن تعمم أسلوبها وتفرضه على من حولها ، كأنها تود أن تؤثر هى كفرد على المجموع «العائلة» حينما تنادى فاطمة «فوفو» والتى ترفضها فاطمة بشدة مصرة على مناداتها باسمها الحقيقى كاملا دون أن ينقص منه حرف واحد فى الوقت الذى تتخلى فيه سارة عن اسمها كاملا والمتعارف عليه وتصر على اسمها الذى تهش لسماعه «سوسو» وحينما يبدى الأب مجرد اعتراض يتهم بالرجعية والاشمئزاز .

إن سارة تمثل صورة الفتاة التى اختارت لنفسها لغة خاصة تناقض من حولها وكذلك زيا خاصا ، لا يناسب البيئة التى تعيشها ، وتحركات مريبة لا يقرها العرف خصوصا من أبناء جنسها ، وتحركات جريئة ربما يخشاها شباب كتجربة أولى .

إذن فهى فتاة تعد استثناء من قاعدة ، إذ تظن أن كل جديد ليس سوى التطور والمدنية الحديثة الواردة من الغرب المتقدم الذى لابد أن يحج إليه كل طالب مدنية حديثة ورافض لرجعية مظلمة .

من هنا كان التناقض الواضح بين سارة وبين البيئة المحيطة بها .. فمثلا لا تذهب إلى بيت عمها إلا لمشاهدة ذلك الأخ الوافد من أوروبا الذى ارتضطها سارة أن تكون قبلتها فى كل شىء ، فهى تسأل عن يوسف وتصحح لها فاطمة السؤال «قصدك سالم» لأنها خطيبته .. ولكنها أى سارة تتحول بسرعة وكأنها تنجذب نحو الشكل الأوروبى حتى دون أن تراه أو تتعامل معه وكفى أنه وارد الغرب .. ولا تجد سارة داعيا لليقاء حينما تعلم أن يوسف غير موجود .. وكأن أمر سالم لايعنيها، فهى لم تحضر من أجله ولكن من أجل إنسان آخر ولو أنه أخ لسالم إلا أنه من عالم آخر ، وتهم بالخروج وتودعها فاطمة فى االوقت الذى يصل فيه يوسف :

فاطمة : مع السلامة (وهى خارجة مع سوسو يدخل يوسف) كاه يوسف .

سارة : (مبهورة) يوسف .

يوسف : صار دعم فى سيارة .

سارة : (متسمرة تنظر إلى يوسف) .

ويستمر الحوار بين يوسف وفاطمة التى تريد أن تطمئن على أخيها سالم فى حين لم تنطق سارة بكلمة واحدة رغم أنها تعلم أن سالم لم يحضر مع يوسف بسبب صدام سيارة .. وقد ركزت نظراتها على يوسف .. وتتركهم فاطمة بعد أن تقوم بعملية تعارف بينهما ليستمر الحوار :

يوسف : أهلا .. مرحبا .. أنت كتير حلو .. بيوتفل .

سارة : (فرحة) صحيح أنا حلوة .

يوسف : كتير كتير «مدهوشا» ينظر كل منهما للآخر نظرات بدهشة .

تتراجع سارة عن قرارها الذى أتخذته بالانصراف لأن الوقت غير مناسب حتى لانتظار تناول الشاى .. تعدل عن هذا القرار عندما ترى يوسف وتؤخذ بما رأت .. لقد رأت حلما يراودها وقد أصبح الآن حقيقة ، فها هو إنسان أمامها يحمل بداخله كل صفات الحضارة والمدنية .. يقف أمامها بدلا من أن تسافر هى فى رحلة طويلة ، ولكنها تقف أمامه مشدودة وتسمع منه كلاما ربما لم تسمعه من قبل .. وكيف وهى التى تعيش فى بيئة تملكها وتستنكرها ، وربما كانت سفراتها فقط للهروب من تلك البيئة التى لم تجد فيها ما تريد .

إن سالما ابن عمها والذى يكون فى حكم خطيبها لاتفاق سابق بين الأهل وهو بدوره يعلم ذلك .. لم يقو على أن يصرح أو يلمح لها عن ذلك المضمون مترجما بكلمات لأن العرف لايبيح ذلك .. وربما كانت هى بدورها فى انتظار هذا التلميح منه ولكنه لم يطفىء هذا الظمأ .. وها هو يوسف من الحظة الأولى للتعارف يصرح لها بأنها «حلوة» مكررا إياها بالعربية والإنجليزية مؤكدا لها ما يقول ، وتسأله بدورها عن صحة هذا التصريح ليكرر ما قاله مرة تانية وكأنما تريد أن تسمع المزيد من ألفاظ الإعجاب الذى لاوجود لها فى هذا الجو ، وبهذه الكلمات يكون التعارف قد وضح . وتلتقى العيون فى صمت . وتعجب به سارة كنموذج فريد . ولكن إعجابه هو يكون أمرا عاديا طبقا للنشأة والجو الذى تربى فيه .. فذلك بالنسبة له شىء عادى نعم شىء جميل ولكن هذا تعبير عن

إحساس وشعور مظهرى لا أكثر وهذا على العكس من شعور سارة نحوه .. بالنسبة إليها فإنه شىء يستحق الاعجاب وإعادة نظر وحسابات مع التمسك به كعملة نادرة ذات قيمة فقد وجدت من خلاله ضالتها المنشودة التى يمكن أن يفهمها دون بقية الأهل والأصحاب . فهى تتكلم لغة مستعارة من لغته . وتصرفاتها تقليد لتصرفات بنى نمطه .. إذن فهى تلميذة وهو أستاذ للعالم الجديد الذى تبحث عنه . ويقطع سالم هذا المشهد الرومانسى بقدومه :

سالم : (يدخل) السلام عليكم .

سارة : «تتنبه وكذلك يوسف» أهلا سالم .

سالم : سارة متى جيتى .

سارة : «كأنما خوذة وهى تنظر إلى يوسف» أمس بالليل .

سالم : «يمسك يدها بمحبة وولـه» الحمد لله على السلامة ، جيتى الحمد لله على السلامة .. وليش ما علمونى أجيلك المطار .. على فكرة هذا أخوى يوسف .

يوسف : «يهز رأسه» أهلا .

سالم : بنت عمى سوسو «يتوقف ينظر إلى الاثنين» .

لقد بدأت الصورة فى الوضوح التام .. فى الحوار السابق وما قبله ومن التناقض الواضح أيضا لكل من الفتاة فاطمة وسارة يمكن التعرف بسهولة ويسر على صورة سوسو تلك الفتاة التى حملت معنى المراهقة فى كل شىء ، فى تغيير العادات .. فى التفكير .. فى الكلام .

إن الحوار السابق وبدخول سالم على سوسو و يوسف قد أيقظ فيهما جمودا كان يمكن أن يستمر .. ورغم أنه يلقى السلام عليهما لا ترد سارة إلا بعد فترة زمنية وإن كانت وجيزة فهى دهر بحساب سالم .. وكأن هذه الفترة كانت بمثابة إعادة الوعى لها .. ومع ذلك يكون ردها للسلام فاترا ولاينطق يوسف .. ويسأل سالم محبوبته عن موعد وصولها ولكن سارة لم تكن استردت وعيها تماما وهى لاتصدق ما ترى .. فقد عقدت

مقارنة سريعة بين الشقيقين .. فهذا سالم ويوسف جنبا إلى جنب ما أبعده من وجه شبه .. ورغم سؤال سالم لاتقوى هى على الرد بسهولة فهى مازالت تنظر إلى يوسف وكأنها لا تملك أن تنتزع هذه النظرات ولو بقدر ما ترد على السؤال ولكن بكلمة أو اثنتين على الأكثر .. فى حين يسترسل سالم فى الحوار معها سائلا وسائلا .. وكأنه رأى فى هذا الموقف فرصة كى يطيل الحديث الذى ربما تمناه ولم يتحقق من قبل ، وربما أتاح له يوسف هذه الفرصة دون أن تنهى سارة اللقاء . ولكنه يتدارك الموقف حينما لايجد إيجابية من سارة حينما «يتوقف ينظر إلى الاثنين» .

وينهى الكاتب الفصل الأول حيث يكون يوسف وسارة قد تعارفا ولو بلغة العيون فقد التقت الرغبة - على الأقل من جانب سارة - حيث وجدت فيه فتى الأحلام الذى تتمناه أية فتاة متحضرة تريد أن تحيا حياة عصرية زاخرة بارتياد الاماكن العامة والسهرات والرقص وما شابه ذلك .. فمثل هذه الحياة ترضى فى نفسها أملا طال انتظاره .. وتروى ظمأ طالما أصابها بيأس فى استمرار الحياة فى مثل هذا الجو المشحون بالتخلف والرجعية . وها هو الأمل متجسدا أمامها ويمكن أن يتحقق ويصبح واقعا ملموسا . وقد استغلت هذه الحرية التى أسرف الأب فى منحها إياها بالتصرف الطبيعى من رؤية يوسف حيث وجدت فيه خير رفيق لها لا تلام وهى معه ، فهو ابن عمها ومن حقها الخروج معه حيث يقر العرف ذلك فهو كأخيها .

يتضح ذلك فى الفصل الثانى وقد مر على الحدث وقت من الزمن كما ذكر فى النص (بضعة أيام) وهى كافية بل تزيد لتوطيد الصداقة ، وإرساء أسس العلاقة التى تحددها سارة بنفسها ، وما على يوسف سوى تلبية الرغبة ، فهو من حيث نشأته وتربيته ، قد تمرس على كل أنواع العلاقات النسائية ، فهى بالنسبة له أمر طبيعى لاغرابة فيه . بالإضافة إلى أن سارة هى التى تملك نقطة البداية فلا عليها سوى أن تحدد الطريق وستجده تابعا لها دون حرج .

تتطور العلاقة بين يوسف وسارة بسرعة ، هذه العلاقة التى لم تكن متكافئة فى مفهومها من حيث الفارق الكبير بين النشأتين ، فى الوقت الذى يكون فيه سالم وهو الذى بنى أملا كبيرا للحصول عليها كزوجة لايقوى حتى على مجرد خلق حوار معها . ولكنه فى نفس الوقت يكن لها فى قلبه حبا كبيرا يكاد يكون شاغله الوحيد . والحوار الآتى

الذى يدرر بين سالم وأخته فاطمة ثم يوسف وفاطمة تطور جديد تتكشف من خلاله أعماق شخصية سارة باعتراف واحد متمرس فى هذا الميدان ، تمهيدا للسقطة الكبرى لسارة .

سالم : المشكلة سوسو

فاطمة : هو - سوسو

سالم : للحين ما دارت للبيت .

فاطمة : من يقول ؟

سالم : اتصلوا بالتليفون .. يسألون عنها . طالعة من الصبح .. ما خليت مكان ما بحثت فيه عاندج خبر عنها ؟

فاطمة : أنا ..لا والله .. سألت عنها أمل صديقتها .

سالم : ماتركت مكان ما سألت فيه .

فاطمة : وين راحت (يدخل يوسف بملابس العمل عجلا) .

سالم : ما أدرى أروح المخفر .. أو أسأل المستشفيات يمكن مسوية حادث .

فاطمة : لا تستعجل اصبر شوى .

يوسف : مرحبا .

سالم : يوسف أبيك فى موضوع .

يوسف : تفضل .. شنهو موضوع .

ويترك سالم المكان قاصدا التليفون لإجراء بعض الاتصالات للسؤال عن سارة ويبقى يوسف وفاطمة وحدهما تكمل الحوار الذى بدأته مع سالم بخصوص غياب سارة وتأخرها إلى هذا الوقت وعدم عودتها للبيت .. وتفاجأ فاطمة برد يوسف الذى يوضح الأمور بجلاء كاشفا الغموض الذى خيم على محيط الأسرة :

فاطمة : سوسو تأخرت على أهلها وهو الحين قلق عليها .

يوسف : سوسو .. الحين راحت البيت .

فاطمة : عجيب .. و

يوسف : كانت فى أحمدى .. وقالت لازم أروح أنا معاها .

فاطمة : نعم

يوسف : (يبتسم) إيه .

فاطمة : وسيارتك .

يوسف : سيارتى خليتها فى أحمدى .. علشان هية تقول لازم أنا أركب معاها فى سيارتها .

فاطمة : وصلتك يعنى

يوسف : إيه

فاطمة : ليش

يوسف : ما أدرى .. أنا جوعان .. غدا (يحاول الانصراف) .

ثم يصل الحوار إلى أن تصل فاطمة بسؤال يوسف وهى لا تكاد تصدق ما تسمع مستنكرة هذا التصرف من كلا الطرفين فى حين لايجد يوسف أية غرابة فى ذلك ، فهو متمرس على تلك العلاقات التى لاتعد من وجهة نظرة غريبة بل أمر طبيعى يقره المجتمع، والأهل أنفسهم يباركونه . هذا هو مفهوم يوسف وهو هنا فى الكويت ولكنه لم ينسلخ عن البلد الذى نشأ فيه ، ربما لم يكن يعلم ، فالقصور هنا يقع على عاتق الطرف الآخر الذى لم يراع عرفا ولا تقاليد تتبع «تسأل فاطمة» :

فاطمة : أمس بالليل بالسهرة .. أخذت سوسو معاك بالأحمدى

يوسف : إيه .

فاطمة : أنت عازمها

يوسف : لا .. هيه قالت كتير مرات .. تحب تروح معايا .. وأمس بالليل أخذتها .

فاطمة : وليش ما أخذتنى أنا .

يوسف : (يبتسم) أنت ما يصلح لك هذا المكان .

فاطمة : ليش .

يوسف : أنت عاقلة كتير .. وأنت ما يقول أنه يروح وياك .

من ذلك الحوار يمكن أن نصل إلى الفارق الكبير بين فاطمة وسارة ، كذلك فقد تبين نوعية المكان الذى ذهبت إليه سارة بصحبة يوسف حيث أعترف لاخته .. إن هذا المكان لايصلح لها .. إذن فالمكان يرتاده نوعية خاصة من المتحررين الذين ينشدون قضاء ساعات ، وهو ما لايقره العرف . ويمكن أن يكون مكانا للأجانب فقط العاملين فى الكريت حتى يكون متنفسا لهم يمارسون فيه عاداتهم العادية جدا بعيدا عن أعين أهل الديار .. فهذا المكان يكاد يكون محرما على المعتدلين من الجنسين . والإناث أكثر من الرجال فى هذه الحالة ، كذلك يجسد الحوار موقف سارة التى طلبت هى بنفسها ولم يكن يوسف هو الطالب .. لقد سبق واعترف لها يوسف بأنها «حلوة» ولكن هذه مجاملة تقال فى مثل هذه المواقف . أو لنقل رأى صريح لا ضرر فى أن يقوله يوسف دون خجل أو غرابة. ولم يكن بالطبع ينتظر من وراء هذه المجاملة شيئا ، فهو فى الأحمدى يمكن أن يرى ويلتقى بالعشرات من بنى جنسه الأوروبيين والهنود العاملين فى الكويت ويتصرف معهن ولا حرج . فالعرف السائد فى البلاد الأوروبية سارى المفعول فى هذا المكان ، إذن فلم يكن يوسف بحاجة إلى سارة . هى التى بدأت وهى التى طلبت بل وأصرت على ذلك الطلب . وإذا كانت اللقاءات قد تعددت بينهما . فهما قد قضيا ليلة معا فى ذلك المكان المفتوح المباح فيه كل شىء . وها هى تنفرد بشاب وسيم فيه كل ما تصبو إليه من مغريات ، وكأنها ملكت فرصة لن تعوض . فهى فى هذه اللحظات إن طلبت شيئا مهما كانت نتيجته ، فهى تطلب وهى لاتعى ماذا تفعل لأن صوت العقل سيكون محبوسا فى هذه اللحظة وسينطلق صوت الرغبة المكبوتة .. وسينفذ يوسف بدوره ما تطلب دون خجل أو حرج .. فهذه ليست أول فتاة ينفرد بها .. وينتهى الحوار بين يوسف وفاطمة التى تستنكر مجرد حدوثه فهى لا توافق على خروج سارة مع يوسف هكذا دون أن يكون بينهما رابط معترف به من قبل العرف السائد حتى ولو كان ابن عمها ، فلم يسبق أن جرى العرف على ذلك .

وفى المشهد الثانى من الفصل الثانى يتم كشف المجهول والاعتراف من قبل سارة حينما تدخل أثناء حوار لفاطمة مع أخيها على ، ثم تنفرد هى بفاطمة بعد انصراف على.. يدور بينهما حوار تلاحظ من خلاله فاطمة شرود سارة مع اختفاء وجهها بنظارة ربما لم تكن تعتاد لبسها وتفاجأ بالسؤال :

فاطمة : (تبتسم) اللى آخذ عقلك يتهنى فيه .

سارة : فاطمة .. بقولك على شىء ما بقدر أقوله لأحد غيرك .

فاطمة : (قلقة) شنهو ؟

سارة : يوسف .

فاطمة : شفيه ؟

سارة : ما أدرى .

فاطمة : حبيتيه .

سارة : (تهز رأسها موافقة) .

فاطمة : وسالم .

سارة : (صامتة)

فاطمة : ما فيها شىء .. أنا

سارة : لأ : أنا ويوسف

فاطمة : (تنهض فاطمة قلقة) لايكون .

سارة : بلى .. الغلطة منى .. حبيته وسلمته نفسى .

وهكذا ينتهى الحوار القصير الذى بدأته فاطمة بمزاح يدور عادة بين أى فتاتين وهى حينما تسألها عن الذى ملك قلبها وعقلها لم تكن تنتظر إجابة للسؤال فهى تعلمه ضمنا.. أو هكذا سولت لها نفسها ذلك فإجابة السؤال لن تكون سوى سالم .. ولكن الإجابة خرجت عكس ما تصورت . ولكن فاطمة بحكمة بالغة لم تعترض على الرفض لسالم .

فيوسف أخ لسالم ولو مؤقتا فى هذا الموقف وهى تعلم جيدا ما سوف يترتب عليه اختيار يوسف بديلا لسالم .. فلم تعترض حتى تكشف ما بداخلها ويكون لها معها حوار آخر .. هكذا كان تصرف فاطمة . ولكن المفاجأة التى لم تكن تتوقعها ، الاعتراف الصريح من سارة . ويمكن أن يكون بلا رهبة أو خوف أو مجرد حياء .. تعترف لفاطمة بثمرة اللقاء الذى تم فى الأحمدى وإن كان غريبا .. فالأكثر غرابة أنها تقر أن الخطأ أو الغلطة ما كانت إلا منها هى !! نعم فهذه حقيقة اعترفت بها سارة وقد بدأت تفيق أخيرا ولكن بعد أن انتهى كل شىء . فالخسارة هنا أصبحت تخص طرفا واحدا وهو سارة .. وإذا استرجعنا اللقاء الذى تم بين فاطمة ويوسف من قبل حينما صرح لها عن السهرة التى تمت بينه وبين سارة وهو فى هذه اللحظة كان على علم بما تم بينهما لم يذكر لها شىء من ذلك.. وهذا أن دل على شىء فإنما يدل على أن هذا التصرف وهذه النتيجة بالنسبة له شيئا مألوف أو عادى طالما أن العرف يقر ذلك فلا حرج .

تعترف سارة اعترافا خاليا من رهبة أو مجرد حتى دموع تذرف من فتاة .. هكذا تفقد الفتاة كنزها الثمين الدفين والذى بدونه تكون منبوذة من الجميع . إن لم يكن الموت ثمنا له فى بلد تحكمه عادات ، بل شرائع تحرم ذلك بل «وتقر فى هذه الحالة الرجم حتى الموت) . فعقاب الموت قائم وهى هنا تعترف ولم يخطر ببالها ذلك . فهى مازالت فاقدة الوعى الناضج . ربما التحرر المفرط الذى أعطى لها مازال مسيطرا عليها وتستمد تفكيرها من خلاله .

وبالرغم من ذلك كله تمنحها فاطمة شيئا من الأمل فى إصلاح ما أنكسر ، وأن الفاعل لابد أن يتحمل ما أفسد . هذا منطقها . وهى فى الواقع قد شحنت نفسها بحمل ثقيل . وتستمر الأحداث ، ويتطور الصراع حينما يعلم الأب وكذلك سالم وتتجسد المشكلة التى لايرون لها حلا سوى الزواج . هذا هو الحل الوحيد لطمس معالم تلك الجريمة .

وعلى الرغم من كل تلك الأحداث تنتهى المسرحية بسفر يوسف هاربا من هذه الزيجة التى سبق أن رفضها صراحة معلنا - وهذا منطقه - أنه كيف له أن يتزوج سارة وسالم أخوه يحبها ؟! هذا لايمكن ، وهو هنا يقولها بمنطق نشأته وتربيته الأوروبية . إنه يمكن لسالم أن يتزوج سارة .. وكأن الذى حدث لن يكون مشكلة .

وينهى الكاتب المسرحية دون إيجاد حل تاركا الألم والعار قائمين دون أن يتدخل . ربما لاعطاء الأثر المطلوب عمقا كبيرا لدى المشاهد لاستنكار مثل هذه التصرفات .

إن تلك النهاية التى خرجت بها سارة وهذا الثمن الذى دفعته (عن طيب خاطر) نتيجة لذلك التحرر الشاذ فى بيئة محافظة . وهذا التحرر مصدره التنشئة الأولى وهو البيت الذى ترك لها مطلق الحرية .دون رقابة أو توجيه للصواب والخطأ .. وكانت النتيجة أن هوت سارة مع أول تجربة .. إن المسئول الأول هو البيت الذى لم يحسن التقدير ولم يتدخل فى أوقات مناسبة وحرجة لاعطاء الابناء خبرة وتجربة الآباء فى الحياة التى لن نصل فيها بتجربة إلا بالاحتكاك «وما دامت نتيجة هذا الاحتكاك مرفوضة . أذن فالبديل هو التوجيه والالتصاق في السن الخطرة التى يرى فيها المرء تحولا كبيرا لا إراديا بين حياة عاشها وحياة أخرى يرتضيها وهى سن المراهقة ويحضرنى هنا حديث لرسول اللهﷺ معلما لأصول التربية وهو يخاطب الأب المسئول ويلقنه كيفية معاملة الابناء :

«لاعبه لسبع ، واضربه لسبع ، وصاحبه لسبع» .

صدق رسول الله ﷺ .

ومن هنا نرى أن السبع سنوات الأخيرة هى التى يكون فيها الابن أو الابنة يمر بمرحلة التحول أو كما هو شائع المراهقة لإبراز الذات وأنفصاله عن عالم طالما كان فيه تابعا . والمصاحبة هنا هى التربية الصحيحة التى لا يغفل الوالدان فيها عن أبنائهما فى كل تصرفاتهم .

من هاتين المسرحيتين اللتين تم التعرض لهما من خلال شخصية هيفاء فى ضحية بيت العز أو سارة فى ضاع الديك حيث تكون النتيجة فيهما واحدة .. السقوط إلى الهاوية وضياع العفاف .. ولكن الفارق فى كلتا المسرحيتين كبير .. ففى الأولى تكون هيفاء الفتاة التى تعيش فى جو مغلق رغم أنصراف الأبوين عنها تنجح فى الأتصال بفتاها اكرم من التمهيد له للوصول إلى عقر دارها وذلك بإرادتها وتكون النتيجة المحتومة.. ولكن سارة فى المسرحية الثانية و على النقيض من هيفاء .. فقد أعطيت لهما الحرية المطلقة فى كل شىء حتى السفر إلى الخارج بمفردها . وهذا منطق يمكن أن يكون

مرفوضا فى مثل هذه البيئة . ثم إن هذه الحرية لم تقيد بحدود ولكنها أطلقت . كذلك لم توجه ، وكانت النتيجة أيضا الضياع .. وفى كلا الموقفين لم نجد الأهل قد أقتربوا من الفتاة فى سن يكون فيه المرء فى مفترق طرق فأيهما يسير فسيصل إلى النهاية .

وقد وضحت الصورة بالنسبة لهما أثناء سير الأحداث حتى النهاية ، على أنه فى نظرة موازنة عابرة ، بين الفتاتين ، سنجد أن هيفاء أكثر اقتناعا ، فى تبرير سلوكها من سارة .. فهيفاء أبنة أمها وأبيها ، ولهما حضور كامل فى المسرحية ، بل قام الموضوع عليهما أصلا ، فهى قادرة على التحكم فى عواطفها وحتى تعلقها بمراهق لبنانى له ما يبرره أيضا ، إنه الفتى الوحيد الذى يستطيع أن يدخل المنزل كعامل . دون أن يثير شبهة، ثم تستطيع أيضا أن تتحدث معه فى مصبغته أو منزله دون اتهام .

أما سارة فإنها تفقد أكثر هذه المبررات المقنعة بطبيعة السلوك ، فالبيئة من حولها محافظة تقليدية بشكل عام ، ولا مانع أن تنفرد هذه الفتاة بالتمرد على النمط التقليدى فكرا وسلوكا ، ولكن الأشارة إلى الدوافع والأسباب هنا لقيم أساسية ، ثم إن سارة مخطوبة لابن عمها ، فكيف تنحرف عن هذا الهدف ، وتسقط مع أقرب الناس إليه ؟! هذا يحتاج إلى تبرير آخر لم تتضمنه المسرحية .. ولا يكفى أن نعرف أن الفتى القادم من أوروبا أكثر جمالا وجرأة من أخيه «ولد الديرة» الذى لم يغادر وطنه .. حيث إن سارة كانت تسافر وحدها ، وتتمتع بحرية التصرف ، لكنها لم تسقط هناك وهى بلا رقابة ، فكيف سقطت وهى محاطة بالمحاذير ، هذا هو السؤال الذى لم يوجد له تبرير فى هذه المسرحية .



مشهد من مسرحية ( ضاع الديك ) والتى عرضت على مسرح كيفان
من ١١/١٧ إلى ١٩٧٢/١١/٢٣ ثم عرضت فى البحرين لمدة أسبوع
تأليف عبد العزيز السريع

# الفصل الثالث

## ( التكوين الثقافى)

إن مصادر التثقيف متعددة .. فلسنا نقصد بالتكوين الثقافى ما تمليه المدرسة ، وترشد إليه الجامعة ، وحين نحاول أن نستكشف عالم المرأة الداخلى ، النفسى والفكرى من خلال مصادر التثقيف المختلفة ،فلن ننسى أن هذه المرأة يمكن أن تكون فتاة صغيرة فى المدرسة أو امرأة ناضجة أو قريبة من ذلك فى الجامعة ، أو ربة بيت وأما ،وهنا ستكون مصادر التكوين الثقافى متباعدة ومتباينة ، ما بين أجهزة التعليم ، والمطبوعات العامة ، وما يلقى فى المناسبات الدينية والاجتماعية ،فضلا عن الأقوال السائدة، والحكم المنتشرة ، وما يمكن أن يعتبر من المأثورات أوالأعراف السائدة .

هذا بحث تربوى مترامى الجوانب . وهو لا يعنينا بالنسبة لموضوعنا إلا فى حدود ما يجب أن يتوافر للشخصية النسائية فى العمل المسرحى من إقناع للمشاهد . ولن يتحقق هذا إلا بتحليل التكوين الثقافى للمرأة حتى يمكن تفسيرُ الشخصية فى المسرحية تفسيرا فكريا ودراميا من خلال عضوية الفكرة وموضوعية الحل أوالموقف الذى نهدف إليه.

أما حين لا تراعى مكونات الشخصية من الوجهة الثقافية ، فإن هذا سيكون إهمالا لقاعدة مسرحية أو أساسية فى بناء الشخصية .. فنحن نعرف أن للشخصية ثلاثة أبعاد ، البعد الحسى أو العضوى والبعد الاجتماعى والبعد النفسى وإهمال التكوين الثقافى سيكون إهدارا لعنصر هام من عناصر البعد الاجتماعى ، وهو بدورهٔ يؤثر فى البعد النفسى ، الذى يرتبط بالثقافة والوضع الاجتماعى بوجه عام .

ويعد التكوين الثقافى للانسان بمثابة الخبرة النظرية الموجهة التى لابد أن تترك أثرها فى السلوك والاحتكاك الفعلى مع الواقع كى تكتسب هذه الخبرة عمقها وتصبح سمة للشخصية . وإن أيا من المجتمعات لم يبن بيد واحدة . ولكن لابد من يد أخرى

تساعدها .. ونخص هنا الرجل والمرأة .سواء من ناحية تنفيذ الفكرة حيث إن تعليم الفتاة في معظم البلدان العربية كان يعد مكروها ، وكان لا بد من جهد لتحطيم هذه الفكرة . وقد كان، ووقفت المرأة بجانب الرجل لبناء الدولة العصرية ، واذا كان ذلك هو الواقع الملموس، فما نراه فى المسرح الكويتى يقول غير ذلك . فقد صور المسرح المرأة المتعلمة من الناحية السلبية فقط .علما بأن المرأة فى الماضى لم تكن متعلمة ، ولكنها كانت منتجة ، مشاركة فى البناء ، بناء الأسرة والمجتمع الذى كان سائدا آنذاك .. على ذلك فسنحاول ان نكشف ثقافة المرأة ..من خلال بعض المسرحيات التى يمكن أن نعتبرها مدخلا مناسبا لمناقشة الدلالة والعلاقة بين الثقافة والسلوك . وقد وجدنا فى مسرحية سبق التعرض لها فى الفصل السابق مع اختلاف زوايا التحليل .. إلا أن تلك المسرحية ما زالت جوانبها خصبة وستكون محور المناقشة أيضا فى هذا الفصل وهى مسرحية ضاع الديك . مع مسرحية أخرى وهى الدرجة الرابعة.

فالكاتب قد افرد لفاطمة فى مسرحية ضاع الديك وهى الأخت الوحيدة لثلاثة أشقاء بالاضافة إلى رابع وافد من لندن وهو أخ لها من أبيها .. أفردلها وظيفة من خلال الأحداث لا تتناسب مع ثقافتها وتعليمها التى حصلته فى أعوام طويلة ، فبالرغم من أن أحوال الأسرة المادية متيسرة لأنه لم يذكر عكس ذلك . ولكن المرأة إذا تعلمت ونالت قسطا من الثقافة فلا بد أن تعكس ذلك من خلال الحياة العملية . ليس فقط لمجرد الحاجة المادية . ولكن لإشباع غريزة لدى الانسان عامة .وهى العمل من أجل التغيير والتطور والاعتماد على النفس .. على أن البناء إذا كان بيد المرأة فالفارق كبير اذا كان بيد أخرى، ومن هنا نجد فاطمة ، طوال أحداث المسرحية ، تقف على الحياد دون أن تبدى رأيا أو موقفا متماسكا ، إن لم تكن سلبية، ورغم أنها تتصف بالعقل والكمال إلا أن ذلك كله لم يمكنها من تنفيذ ما أرادت حتى تتكفل بيوسف أخيها الوافد من الخارج لكى تعطيه دروسا فى اللغة العربية والعادات والتقاليد حتى يمكنه التعايش فى الكويت بعد أن قضى ما يقرب من الثلاثين عاما فى لندن ،فهى لم تستطع أن تغرس فيه تلك البذور . أو أن تصل إلى داخله بغية التغيير.

هذه صورة لتلك الفتاة . وتتابع الأحداث قد ساهم فيها دون نتيجة إيجابية .. ونتعرض للنص لكى نقف على تصرفاتها تجاه الآخرين .

ففى بداية المسرحية التى تعطى فكرة بأن الأسرة فى انتظار مقدم يوسف الأخ الوافد من لندن حيث الأم والابنة فاطمة فى حوار «تبدو حركة فاطمة رشيقة جدا » تلتفت إلى الأم كالحالمة :

فاطمة:شلون شكله هالاخو هذا .. ما فى عارفه أتخيل شكله

شريفة : ويع .. إنجليزى بعد .. شلون بيصير شكله مثل ها اللى بنشفهم فى التليفزيون .

فاطمة : يمه.. إنت شغيك عليه .. يمه انت ليش ضده .

يتضح من هذا الحوار أن الأم فى انتظار مقدم ابن زوجها البكر الأول وهى فى ضيق شديد من هذا الوافد الغريب -بالنسبة لها - وما تكنه من حقد وقلق ، بالرغم من هدا الإحساس ، تكون فاطمة الابنة الوحيدة وكأنثى فرحة ونشطة وتستعد لاستقبال هذا الأخ وهى ما زالت تتخيل صورته فى حركة يصفها الكاتب رشاقة وحالمة .. لقد تخيلته اذن فى صور عديدة ، ومن بين هذه الصور ربما يكون هذا أو ذاك أوغيره فقد مكثت طويلا تغير وتبدل فى هذه الصور التى تراءت أمامها ربما تصل بفكرها لإحداها .. ولكنها حينما تعجز عن الوصول إلى صورة معينة ، وهذا منطقيا مستحيل فهى تلجأ إلى الغير ، وهذا الغير من يكون ؟ أمها دون بقية أفراد الأسرة .. وهى تطلب منها أن تساعدها فى الوصول إلى شكل هذا الأخ .. ألم تفكر ولو لحظة ، ما يمثله هذا الأخ بالنسبة لأمها .. ورغم أن الأم تقول رأيها فيه بكلمات متحفظة فى ظاهرها مليئة بالاحتقار فى جوهرها .. إلا أن فاطمة لا تتقبل هذه الإجابة وتعود للواقع بدافع من ثقافتها وعلمها .. بل تكون ضد أمها وهى تتهمها بكرهه .. وكأنما تطلب منها أن تعلن عن سعادتها كبقية أفراد الأسرة ، إنتظارا لهذا الغريب الذى سرق منها إنتماءأبنائها لها وتحولهم عنها حتى قبل وصوله.

لقد أدى هذا إلى تسطيح الموقف لها .. وتقارب المشاعر ظاهريا وهى لم تكن متشائمة .. ثم تتضح لها مشاركة إيجابية فى معظم الأحداث تعكس مدى ثقافتها .. فالمسرحية لم تذكر فى جملة واحدة أن هذه الفتاة تقوم بعمل ما .. سوى أنها تكفلت بأخيها يوسف كى تلقنه دروسا فى اللغة واللهجة الكويتية .. كذلك فإنها من خلال النص

مؤازرة ليوسف غير مدركة مدى ما تسببه من هذا التصرف السافر لأمها وما تتحمله من نتيجة ذلك .. فهى ، أى فاطمة ، حينما تعلم أن يوسف طلب فى استدعاء أمه من لندن للزيارة لم تبد أية معارضة لذلك التصرف ، وكأن الأمر شىء عادى . وحينما تثور الأم عند سماعها هذا النبأ ترد عليها فاطمة بشىء من البرود :

فاطمة : وانت شعليك منه .. خليه بجيب أمه .. شصار

الأم : شصار .. ما بقى بعد .. يجيب شريكتى جدام عينى وتبينى أسكت .. خوش .

إلى هذا الحد يصل الصراع بين الأم وابنتها التى لم تراع موقف الأم وما تعانيه منذ وصول يوسف - بل من قبل أن يصل- فهى قد أتخذت خطا لا يلتقى أبدا مع الأم فى نقطة ، وكان الأجدر من فتاة متعلمة أن تصل إلى أسلوب متزن يرضى الطرفين ، وأن تميل إلى كل طرف مرة ، وربما إذا رتبت المؤازرة دون علم من الطرف الآخر فسيكون الموقف أحسن حالا ، ولكن ذلك لم يحدث ، وكأن العلم والثقافة لم يأتيا ثمارهما إبان تجربة حرجة . هذه هى الصورة التى أمكن استخلاصها من هذا النص ، بالإضافة إلى مواقف عديدة كانت خلالها فاطمة طرفا فى حوار ولكنه لا يضيف تطورا للحدث أو إيضاحا للصورة ، بل كان حوارا لملء الفراغ أو للتمهيد لإشراك شخصية أخرى فى الموقف.

ثم لننتقل إلى عمل آخر أكثر خصوبة لصورة المرأة المتعلمة والتى نالت قدرا من الثقافة دون أن تستفيد منها .. بل ليت الأمر وقف عند هذا الحد - عدم الانتفاع - بل يصل إلى هدم الموانع من أجل الوصول إلى حياة توصف بالمدنية المتطورة طبقا لمنطق المرأة نفسها .

ففى مسرحية الدرجة الرابعة لعبد العزيز السريع والتى عرضت فى دمشق وبغداد والقاهرة ثم عرضت فى الكويت .

يتعرض الكاتب لمشكلة خطيرة حقا .. وهى رفض الواقع والبحث عن المجهول فى حياة جديدة لأسرة ناشئة حديثا . ترفض المرأة ابنة الثمانية عشر ربيعا ، وهى أم لطفلين فى هذه السن المبكرة ، الحياة مع الزوج فى منزل عائلته مصرة على الاستقلال فى حياة

تعتقد أنها سوف تكون سعيدة .. وتحت الضغط يوافق الزوج على تحقيق رغبة الزوجة وهو غير مقتنع .. وتسير الأحداث فى شهور قليلة إلى غير المتوقع بخاصة من ناحية الزوج الذى ينهار تماما ويصل الأمر إلى الطلاق .. وتفيق الزوجة وتعترف بخطئها لتعيد السعادة والتفاؤل إلى الزوج .. ويتفقان على التغيير ، ولكن الزوجة فى نفس اللحظة تهدم كل شىء فى مكالمة تليفونية .

وعودة إلى النص كى نتعرف من خلاله كى تصل الصورة التى رسمها الكاتب لثريا الزوجة المثقفة المتعلمة التى أرادت الحياة سهلة دون أن يكون لها دور أو مشاركة ايجابية فى ارتقائها سواء فى داخل البيت أو خارجه .

ففى بداية المسرحية نرى الزوجة «ثريا» تتحدث تليفونيا مع صديقة . هذه المكالمة تعد مدخلا واضحا للأحداث ، فهى تطلعنا على نوعية الحياة فى هذا البيت «بيت العائلة» ومدى تفكير الزوجة التى تريد السيطرة على كل شىء :

ثريا : (تدخل فى لبس عادى .. لكنه أنيق - تتجه إلى التليفون وترفعه بيد .. بينما تمسك باليد الأخرى السماعة) إيه سعاد ؟؟.. عاد أقولك .. هذه حالتى .. تصورى حتى إذا بغيت أطلع لازم استأذن من ثلاثة .. أول شىء من زوجى وهذا بسيط .. والثانى من أبوه والثالث أمه .. صمت) .

هذا الحوار من طرف واحد .. وهو الزوجة توضح من خلاله مدى صعوبة الحياة فى هذا البيت الذى تتلقى فيه الأمر من ثلاثة حين تود الخروج .. علما بأن والد الزوج «عمها» أى أنها تعيش وسط عائلة ليست بغريبة عنها .. ثم إنها تكشف من خلال الحديث عن مدى الأستهتار والأحتقار من جانبها للزوج وأهله .. فهى تصف الزوج على أنه «شىء»، وهذا مقصود بسبب أعترافها فى الحديث ضمنا بأن موافقة الزوج على خروجها تعد من الأمور السهلة البسيطة أى أنه لا يشكل فى حياتها اهتماما يذكر ، فى بيئة الرجل يعد فيها سيد الموقف حيث تكون المرأة فى المرتبة الثانية .. وهذا ليس قصورا فى المعاملة بل إن الدين قد شرع وأقر هذا فى قوله تعالى : «الرجال قوامون على النساء» .

أى أن المرأة إذا جاءت فى المرتبة الثانية لايعد هذا تخلفا أو ظلما ، ولكن الرجل

إذا احتل تلك المكانة فالوضع مقلوب ، وهذا ما سوف نتكشفه فى حينه من خلال سير الأحداث . هذا من ناحية الزوج .. أما الأب والأم للزوج فلابد أن وراءهما علامات كثيرة من الاستفهام .. لأنها تصرح لصديقتها بأن أمر الزوج بسيط . إذن فالصعوبة هنا تكمن فى والدى زوجها وهما من أهلها وليس بغرباء .

من الحوار السابق يتضح أن ثريا تعيش فى بيت والدها منذ ثلاثة ، أيام أى أن ثمة خلافا قد حدث بينهم .. ومادامت قد تزوجت منذ أكثر من عامين فإنه لابد أن هذا الخلاف لم يكن الأول من نوعه .. كذلك حينما ذكرت لصديقتها أن موافقة الزوج على الخروج من الأمور السهلة فإن الحوار اللاحق يؤكد ذلك بل يفسر ويوضح موقف كل منهما بالنسبة للآخر .. فبينما تجول ثريا فى مكالمتها التى لم تكن لتنتهى لولا دخول الزوج وليد :

وليد : صباح الخير

ثريا : بتتغدى عندنا

وليد : عاد ردى على التحية

نرى من هذا الحوار القصير مدى استخفاف الزوجة لموقف كهذا ... وها هو الزوج ابن عمها قد حضر إليها ولا تعلم لماذا أتى حتى هذه اللحظة .. ولكن أدب الضياقة من امرأة مثقفة كان يتطلب تصرفا آخر ، فهو القادم برغم أنها المخطئة ، ورغم إلقاء تحية الصباح عليها ، تبادره بالسؤال عما إذا كان سيتناول طعام الغداء عندهم ؟ ! فقد ارتكبت خطأين فى جملة واحدة .

أولهما : أنها لم ترد التحية ، وثانيهما أنها تطمئن على بقائه بمنزلهم بعيدا عن منزل والده ووالدته المريضة . فهى تريده معها بعيدا كما سيتضح فى الحوار اللاحق . إذن فرد الفعل بالنسبة إليها كان جافا .. ولكن هدوء الزوج جعله يطلب منها رد التحية أولا .

يستمر الحوار الذى يوضح مدى الخلاف القائم بينهما بسبب إصرار الزوجة على ترك منزل عمها التى تقيم فيه منذ زواجها ، على أن يكون لها سكن مستقل يمكن لها من خلاله التصرف بحرية حرمت منها على حد قولها في المسكن الحالى . والسبب الأبوان المسنان ، في حين يتردد الزوج أمام هذا الإصرار الذى لايقبل التنازل ، فهى تصعد

الحوار وتلقى بالاتهام الجزافى فى حق أبويه ، وهو بدوره يحاول أن ينتزع منها ذلك التنازل ولكن دون جدوى حتى تعلنها صريحة دون خجل :

ثريا : شوف وليد - لاتصير بارد .. لازم تاخد لنا شقة ونطلع بروحنا - حالنا حال الناس .. ماكو واحد اليوم بيتزوج ويقعد مع أهله .

هكذا تقولها الزوجة علنا حتى تجعله أمام أمر واقع ، وهى تتمسك برأيها إلى حد التزمت .. ويطلب الزوج التفكير ولا تمهله بأسلوب ملؤه الغضب .. إنها ليست على استعداد لمجرد التفكير الذى ملته منه . وعليه الآن أن يعلن قراره فى هذا الشأن ، الأمر الذى جعله يفقد أعصابه تماما ويصرخ معلنا «لا أدرى» ، هكذا كان تصرف الزوجة التى تحلم بأن يكون لها بيت مستقل بعد أن قضت أكثر من عامين فى منزل العائلة .

يشترك عمه «والد الزوجة» فى الحوار حيث يؤكد لوليد حق الزوجة فى أن تستقل ببيتها ، وكأنه يساعد ابنته ولو كان الأمر معكوسا لما كان حكمه فى قوله :

الأب : شوف ياوليد .. إذا أنت بتطلع عن أهلك ما فى بأس .. لا أنت أول واحد .. ولا بتكون آخر واحد .. كل الشباب اليوم إذا تزوجوا أسسوا بيوت .

هذا رأى الأب وهو أعلم الناس وأقربهم بحال أخيه وزوجته ، ولكنه يضع مصلحة ابنته فوق كل اعتبار .. يستمر الحوار بين الأب ووليد فى وجود الزوجة التى تتدخل أحيانا لتساند الأب حينما تجد الزوج قد أصبح ندا في الحوار الأمر الذى يجعل الأب مستسلما .. لكى تعطى الموقف دفعة وتحول الموقف لصالحها .. حتى يضيق الخناق عليه لتصرح هى أمام الأب :

ثريا : (تقترب من والدها) يبه .. أنا ما اطلع من هنيه إلا إذا أجر وليد بيت بروحنا .

الأب : عدل .. عدل كلامك والله .. الحين أعجبتنى .

إلى هذا الحد يصل الهجوم والتهديد من قبل الزوجة تجاه الزوج . ويبارك الأب هذا الأسلوب ، فلا مفر من التنفيذ وهو منتهى أمل الزوجة . فهى تريد أن تنطلق بعيدا عن اعين الرقباء .. تريد حياة عصرية بعيدا عن التقاليد البالية الموروثة والمفروضة عليها من

بيت العائلة - تريد هذه الحياة دون أن تفكر كيف ستكون . ومن أين سيحصلون على ميزانية تحقق لهم كل ذلك . وهى تعلم تماما كم يبلغ دخل الزوج .. وتعلم أيضا أن ما سوف يحتاجونه أكثر بكثير من الدخل الثابت .. ولكن ما دامت قد وصلت إلى نقطة الأختيار الصعب والتصميم على إما كذا وإما كذا ولا ثالث بينهما فلا مفر .

وأمام هذا الضغط المستمر من كل من الزوجة والأب مما جعل الزوج لا يرد على معظم التساؤلات إلا بكلمة «لا أدرى» وكأنه لاعلم له بشىء في هذه الحياة . أو أن الموقف الذى وجد فيه جعل تفكيره يقف عند حد لا يمكن تجاوزه .. تشفق الزوجة حينما ترى موقف الزوج الضعيف من وليد تخرج وتتركه عند هذه الحالة .. وهى ترمى هنا إلى شئ يحقق لها الهدف .. فقد أرادت أن تتركه ليعيش الصراع النفسى وحدة مقلبا الأمور على أكثر من وجه ، وستتدخل ثانية فى التوقيت المناسب .. لقد تزوجت منذ أكثر من عامين ولم تحقق مأربها أو حلمها على الأقل ... وعلى ذلك فالمكان لا يناسبها .. وهى التى تتمنى عشا يحقق لها ما تمنته دون أن يعكر الصفو أحد أيا كان .

ويلتقى وليد بصديق ينتزع منه بعض همومه ليعود إليه شىء من الاتزان ويقضيا بعض الوقت الذى حددته الزوجة لمعاودة الحوار ثانية .. ولكنها تفاجأ بهذا الموقف الذى لم يرقها ولم تحسب له حساب .. وبالرغم من ذلك تتصنع الثبات بعض الشىء ولا تقوى على الاستمرار فتهم بالخروج .. ويلاحظ الصديق ذلك فينصرف تاركا الساحة لهما .. ليدور حوار طويل بينهما تفطن الزوجة من خلاله أن الوضع ليس بحاجة إلى هجوم آخر .. فهو قد استرد وعيه تماما وفى هذه الحالة سوف لايجدى أى هجوم معه لأنه سيرد الصاع صاعين وهى منفردة دون وجود الأب المساند لها ، وربما تكون الغلبة له وهذا هو شعورها من الداخل .. ولكنها أرادت أن تلعب بورقة وحيدة وهى تعلم مدى تأثير المرأة على الرجل وكيف يكون هذا التأثير .. فقد بدأت هجوما سابقا وافقها أبوها عليه وكان أيضا فى موقف الهجوم ضد الزوج الذى يكون قد استسلم تماما ولم يجد ما يرد به على اسئلة كثيرة وجهت إليه سوى كلمة واحدة «لا أدرى» وها هو الآن أصبح فى نظرها قادرا على المحاورة التى لا تتمناها فى مثل هذه الحالة ، وعلى ذلك تبدأ فى اتباع أسلوب آخر لين حتى يمكن احتواؤه فتعيد الكرة . وسوف تنجح وهذه فرصتها وربما تكون الأخيرة .. وتحاول ويرد الزوج بالمنطق الذى سرعان ما تكسره وتجعله يتلاشى أمام منطق مقلوب ..

تهون له الأمور التى يراها من وجهة نظره جسيمة حينما يسأل :

وليد : (يبتسم مجاملا) أهى بس الشقة .. الأثاث .. الكهرباء .. الماء .. المصرف .

ثريا : ويه .. شبنصرف .. إحنا كلنا نفرين .

هكذا ترد ثريا على أسئلة تحوى العديد من الإجابات .. ولكنها تغفل ما تريد وترد على شىء واحد .. فالزوج قد عدد لها مستلزمات السكن الجديد ومتطلباته ، كذا.. وكذا ، حتى وصل إلى المصرف .. ولكن ثريا بخبث ملؤه الذكاء الناتج عن الثقافة ترد على السؤال الطويل بأختيار آخر لفظ وهو المصروف لكى ترد على السؤال بإجابة تهون من تصور الزوج . وتبدأ فى التغيير . فقد أمسكت بنقطة . وهى المساومة . فهو أخيرا قد اقتنع بوجهة نظرها ولكن التردد الذى طرأ عليه هو الذى يقف الآن حائلا بين تحقيق رغبتها . وهذا التردد شىء هين . فهو زوجها . وإذا حطمت هذا التردد ولو فى أشياء صغيرة فلابد لها أن تكسره تماما .. فكلما بادرها بسؤال .. أجابته فى سهولة ويسر تطمئنه وتثلج صدره وتنتزع من داخله الرهبة من المجهول . ويصر الزوج على السؤال .. فهذا الأمر بالنسبة له ليس هينا ، وهو بتركيبته هذه لايقوى على تنفيذ شىء إلا بعد أن يقلب الأمور على أوجه كثيرة ليطمئن منها سائلا :

وليد : ما تبين خادم

ثريا : والخادم شيكلف .. أول تأجر الشقة وبعدين كل شىء يهون .

وليد : أنا مستعد .. والله مستعد .. بس أنا خايف عليكى إنت يضيق خلقك بروحك .

إلى هذا الحد يصل الحوار الذى يعد نقطة تحول كبير فى الموقف . لقد أدارت معه حوارا لينا ووصلت إلى ما تريد . فقد بدأ يقر بالواقع الذى تنشده هى موافقا .. بل مقسما على الموافقة ، وهذا تأكيد منه على تحقيق الرغبة . وافق على طلبها . هذا واضح ولكنه كعادته يربطه بالخوف هذه المرة وليس بالتردد . والخوف على من ؟! عليها هى التى تمنت ولطالما بحثت عن تحقيق هذه الأمنية . إنه هذه المرة سوف يحقق لها ذلك . ولكن العقبة هى . لا . فهو حينما يخبرها بالخوف عليها ترد بسرعة : «هذا شىء أنا أبيه»

فلا عقبات أذن ولا عذر يقف حائلا بين تحقيق الأمنية . ويظل الموقف والحوار دائرا بينهما حبث تعدد بدورها ما يمكن أن يكون فى ظل هذا المسكن الجديد . وما سوف تفعله لكى تهيىء له جنة تكون هى صاحبتها ومتصرفة فى كل شئونها حتى تصل إلى نقطة يكون هو قد استسلم تماما بعد مجاورات . وذلك من خلال الفصل الثانى حينما يصبحان قد استقلا بسكن وقد مر من الوقت ثلاثة أشهر .. أى أن أحداثا قد وقعت خلال هذه الفترة وقد تغيرت أمور كثيرة .

فالفصل الثانى يبدأ بشكل جديد لم يألفه الزوج من قبل وهو الزينة البارزة فى صالة البيت دليل إقامة حفل وشيك .. وقد استعدت ثريا لتهيئة المكان مرتدية أحسن الثياب التى تناسب الموقف فى حين أن الزوج يبدو على النقيض منها فى كل شىء :

وليد : (يبدو فى لبس عادى .. يأتى من الداخل قبل أن تنزل ثريا فيلتفت ناحيتها ويلحظها فتندفع إليه) .

ثريا : وليد أنا فرحانه .. كل شىء تحقق .. الحلم اللى كنت بقول عليه صار حقيقة .. حقيقة حلوة .. قوللى شرايك فى حفلة عبلة أول أمس .. ما كانت لطيفة .

وليد : (لايبدو سعيدا) بلى .

ثريا : شفيك ؟ روح البس رتب نفسك .

وليد : مرتب نفسى زين .

إذن فالأحداث السابقة قد غيرت كل شىء حتى العلاقة الزوجية بدأت تتصدع . ومن الحوار السابق تبدو صورة الحياة الجديدة التى يعيشونها منذ دخولهم هذه الجنة الجديدة . فالزوجة تريد أن تعرف رأى الزوج فى حفلة عبلة التى كانت بالأمس الأول .. وها هى اليوم تقيم حفلا آخر . وربما الغد محجوز لحفلة أخرى . فقد أصبحت تعيش على تبادل الحفلات وما سيترتب على ذلك . فقد اختارت الزوجة نوعا من الحياة أنفتحت من خلالها على بعض الصديقات والأصدقاء . وأصبح الصراع هنا بين من تكون حفلته أروع وأفضل. ومن خلال الحفلات سوف يدور الحوار وتطرح الأفكار فى جو صاخب . وعلى الحاضرين دراسة هذه الأفكار والمقترحات والعمل على تنفيذها فى سباق .. كل ذلك لابد

أن يحدث من خلال هذه الحفلات . ولكى تكون على المستوى اللائق تنفق الزوجة ودون مراعاة لشريك حياتها دون أن تسأل من أين يأتى هذا المال وما مصدره . لا يهم ما دام ما تطلبه تحصل عليه وهو المهم . والزوج قد خاض فى الطريق يدفع ولا يمكنه الانسحاب من هذا الميدان . والعودة مستحيلة لشخص مثله يتمتع بقدر كبير من الخوف والتردد . ولا تحفل هى بما تراه من تحطيم لنفسية الزوج وشرود منه لم تألفه . لقد حجبت الحياة الجديدة عنها كل ما يقف حائلا دونها . وها هى ترى وكأن شيئا لم يكن . لا تريد أن ترى أو تسمع شيئا يعكر صفوها فهى المضيفة صاحبة الحفل اليوم والمدعوون على وشك الوصول .

وبالرغم من أن ثريا ترى زوجها فى هذه الحالة .. الشرود .. الرفض للواقع الجديد لكنها لاتحس ما يعانيه .. فهى تسأله مرة عن فستانها الذى يعد صرخة فى عالم الأزياء.. ثم تتحرك أمامه راقصة وهى تسأل : «شرأيك فى مرتك ما هى حلوة» تريد أن تنتزع منه اعترافا يرضى الغرور الكامن داخلها .. يشتد الصراع بينهما حول فستان ترتديه يظهر جسدها إلا قليلا.. يستنكر هو ذلك وتقوم من جانبها باتهامه بالتخلف وعدم الاعتراف بالحياة المتطورة ليكشف لها عن الحقيقة التي يراها ويحسها ويتألم من النتيجة:

وليد : ما أرضى تكشفين لحمك جدام الناس .. وين الحيا .. وين الحيا ..

ثريا : خليك واقعى .. اليوم الحيا ما له مكان .

إلى هذا الحد من الضياع تجيب الزوجة على اتهام خطير ولكنها - وقد خلعت رداء الحياء - ترد بالإنكار أن هذه الصفة أو هذه الكلمة قد حذفت من قاموس المدنية .. وعلى من يريد أن يعيشها أن يسقطها من قاموس اللغة . لقد بدأت تستقل بنفسها فى هذا البيت الجديد محطمة كل شىء عاشته فى الماضى سواء قبل أو بعد الزواج . إلى هذا الحد تريد الزوجة التمرد على حياة عاشتها لتنفض عنها كل آثارها . وهى ترى أن كل ما تقوم به هى المدنية التى جلبتها من رحلتها لأوروبا ، فقد رأت - ولم تكن وحدها - واقتنعت بمساعدة الصديقات المرافقات بهذه الحياة وما يدور فيها من حرية لا حدود لها فى كل التصرفات ، وإزالة الفارق بين رجل وامرأة ، بل وتغلب العنصر النسائى أحيانا فى تصرفات لايقوى الرجل على القيام بها . وها هى الآن تنقل هذه الحياة بصورتها كاملة إلى بيتها الذى سبق أن وعدت الزوج بجنته . وربما هذا هو شكل الجنة من واقع تطورها .

ولم يقف الحد عند هذا الأمر أيضا . بل يصل الأمر بأن يطلب منها الزوج ويرجوها أن تغير ذلك الفستان المقزز للنفس السوية . تبدله بآخر يسترما ينكشف من ذلك الجسد المعروض للمشاهدة والاستحسان ولكنها ترفض بشدة :

ثريا : لا يعيوني .. ما بقى إلا أن أصمد بعد .. أحط نفس علك بلسان فلانه وفلانه.

وليد: يعنى كل حفلة ثوب

ثريا : طبعا

وليد : وكل يوم حفلة

ثريا : طبعا

وليد:والفلوس منين

ثريا : منك يا حبيبى .. إنت مخلى علىَّ قاصر

إن رد الزوجة بهذا الشكل لا يدل على أدنى قدر من الاحترام .. بل وإن ترجمنا اللفظ الأول «لا يعيونى» نجده لا يتداول إلا من خلال طبقة معينة .. توصف بالجهل وسلاطة اللسان . والتحرر من أى احترام للنفس أو للغير .. فملؤه الاستهتار والاستخفاف والتطاول من زوجة المفروض أنها متعلمة ومثقفة وأم لطفلين . أما باقى الحوار من جانب الزوجة خاصة فهى ترد بكلمة واحدة «طبعا» كسؤال استنكارى ملئ بالمرارة والأسى وضعف الحيلة . وعندما يصل الزوج فى سؤاله عن ممول هذا كله تتجه سريعا فى تغيير لهجة الحوار . ومهما كانت هذه اللهجة فى ظاهرها حالمة فإن مغزاها استخفاف أيضا .. لا يجد الزوج أمام ذلك كله سوف الاستسلام والهروب .

وما بهم هنا هو موقف الزوجة كى يمكننا أن نستخلص الصورة العامة ، ويؤكد الحوار السابق أيضا وصفا دقيقا للحياة الجديدة . فالزوج يسأل وثريا تجيب ليتضح أن الحفلات تقام يوميا .. وبالطبع ليست كلها بمنزلها . ولكن الصديقات التى تعرفت عليهن وأصبحن يشكلن ركنا أساسيا فى حياتها .. فهذه الحفلات يمكن أن تقام فى بيت كل صديقة يوما بالتناوب .. بإلاضافة إلى سؤال الزوج أن لكل حفل فستانا . ثم إقرار

الزوجة بأن عليه هو أن يتصرف فى تدبير التكاليف .. وهو رجل موظف بالدولة على الدرجة الرابعة ؟ !

إن الزوجة تريد حياة خاصة جدا ارتضتها وارتضت معها مجاملة مشوبة بالنفاق لربة البيت المقام الحفل لديها .. وهى تعلم أيضا أن هذه التكاليف سواء لإقامة الحفلة أولمستلزماتها وما أكثرها .. تفوق بكثير دخل الزوج .. وعلى الرغم من ذلك فهو يدبر لها تلك التكاليف إلى الآن .. ولم تسأل نفسها من أين يحصل الزوج على هذه الأموال .. فإما القرض وإما استغلال نفوذ الوظيفة فى أمور غير مشروعة ولا ثالث لهما .. وفى كلتا الحالتين .. فالزوج غارق فى طريق يصعب انتشاله .. ومع ذلك فالاجابة بالنسبة لها سهلة ولا بد أن تكون قد توصلت إليها بعقلها الذى يفكر ويدبر ويصل بها إلى بلاد أوربا ويلتقط لها وبسرعة فائقة ما يروقها كى تنقله بدورها فى الكويت البلد الذى طالما ومازال معقلا للتقاليد العربية الموروثة والتى لا تقبل هذه الشريحة من البشر كى تنخر العادات الأصيلة بداخله .

وتقام الحفلة التى لا يشترك فيها وليد .. فهو غير مقتنع بما يجرى.والزوجة لاتهتم بذلك .تصعد مع الضيوف ويقضون وقتا لا بد أن يكون مرحا وصاخبا بمصاحبة الموسيقى الأجنبية وتناول أصناف الطعام .. ثم يعودون إلى صالة المنزل لتبدأ حفلة المديح والثناء لربة البيت التى لا تجد سوى الابتسامات لترد عليهم مجاملاتهم .

هذه صورة واضحة للمرأة من خلال تلك المشاهد .. ثم تتكشف صورة أخرى تبرز مدى اللامبلاة التى تعيشها هذه الزوجة ثريا وكيفية تفكيرها لاستمرار هذه الحياة التى تظن أنها يمكن أن تستمر على هذه الصورة .

والحوار التالى الذى يدور بين ثريا وإحدى صديقاتها «حصة» التى تتماثل معها فى الصورة المتحضرة .. فى وجود ثالثة «شيخة » أخت وليد الزوج وهى امرأة على النقيض من هاتين المرأتين وربة لبيت سعيد يعود الفضل فى هذه السعادة إليها :

حصة : السنة مسافرين

ثريا : لا والله ..السنة ما احنا مسافرين .. العام روحنا لندن والسنة غيرنا السيارة ..شرينا وحدة بألفين ومايةوخمسين دينار

شيخة : وسيارتكم شفيها .. تو ما صار لها سنتين يا حافظ

ثريا : صارت مالقة .. مليت منها .. السنة اللى تيجى بسافر لندن .. الحمد لله ..عندنا كل شئ ..ما قاصر علينا شئ .

حصة : والأولاد

ثريا : الأولاد ..شيبون بعد .. عندهم مربية هندية

إن هذاالحوار يوضح نوعية الصديقات اللائى تعرفت عليهن الزوجة .فحصة هذه من شاكلتها .. تتكلمان لغة واحدة وتفكران بأسلوب متشابه .حيث هى التى بدأت بالسؤال كى تتكشف السياسة التى تتبعها ثريا فى حياتها المنزلية والاقتصادية .. فهى لا شاغل لها سوى الإنفاق دوما على تلك الحفلات سنويا .. إما السفر وإما إنفاق ما يوازى قيمة السفر فى أى شئ كتغيير السيارة مثلا والتى لم ينقض عليها عامان ولمجرد أنها ملت رؤيتها أو لونها أو أى شئ آخر يتعلق بها لمجرد الملل تأمر بتغييرها وبالثمن الذى ذكرته والذى يقارب مرتب الزوج فى عشرة شهور .

هذا جانب من الصورة التى تستشف من الحوار السابق . بالإضافة إلى أنها تجيب أخت الزوج إجابة تزيد عن حدود السؤال كثيرا .. فهى تسأل ثريا عن سبب تغيير السيارة لأنها بحالة جيدة والسؤال هنا استنكارى ومؤدى السؤال أيضا هو الخوف والحرص على ميزانيتهم حيث إن أخاها هو المسئول الأوحد ، وبدافع الشفقة غير المباشرة فهى تتكلم .. وثريا ترد بفتور على السؤال وتزيد . وهذا هو الجانب الذى يعد صفعة لشيخة . عندما تضيف إلى الاجابة بأنها سوف تسافر إلى لندن حيث إن البيت صار مكتملا . وهذا الجزء من الإجابة لم يرد ضمن سؤال شيخة بل أوجدته ثريا وهى تقصد من ورائه الإهانة والتعالى لصاحبة السؤال ، ولسان حالها يريد أن يقول ..إننا لسنا بحاجة لمن يريد أن يبصرنا طريقنا ولا داعى للتدخل فى شئون الغير . وأن حالتنا لم تصل إلى استجداء العطف أو النصيحة .. كذلك يمكن أن تكون هذه الإجابة موجهة أيضا إلى صديقة الزوجة حصة والتى بدأت بالسؤال عن السفر . فإذا كانت قد نفته من قبل فهى تؤكده ضمنا فى إجابة سؤال شيخة . وتكتفى الأخيرة بالسؤال الواحد الذى لم تكرره . بل تعود حصة للسؤال عن الأبناء وكأنها أرادت من ورآء هذا السؤال إجابة تشعل الموقف بعد ما سمعت

الرد الموجه إلى شيخة والتى تعد العمة للأولاد .. فهل صديقة مثل هذه لا تعلم عن ثريا أدنى الأمور وهى التى لا تفارقها ؟! إنها رفيقة حفلات يومية ومن خلالها تدور حوارات طوال تبوح فيها المرأة بأدق الأسرار وتكون الإجابة من ثريا لطمة على وجه العمة التى تعيش مع زوجها حياة سعيدة كما سبق ذكر ذلك . بأن الأولاد لا ينقصهم شئ مع المربية الهندية وقد أضافت هنا وجها آخر للانفاق . فهى زوجة تحسب ضمن التعداد المعطل غير المنتج للدولة . وها هى أيضا مرة ثانية تعد من الزوجات المعطلات التى لا تنتج لبيتها شيئا حتى تربية أبناءها التى تعد من صميم واجبات الزوجة الأم سواء العاملة أوغير العاملة . فقد انسحبت وتنازلت عن تلك المسئولية وكأنها أرادت بهذا الرد إيضاح الفرق بينها و بين شيخة ربة البيت التى تعيش على راتب زوجها الذى يقل كثيرا عن راتب وليد فى المستوى الاجتماعى الراقى المتحضر الذى برفض عمل المرأة مهما عظم والذى حدد لها وظيفة واحدة وهى المتعة فى كل شئ ، ومن كل شئ وهذا التفسير أقرب إلى الحقيقة أضيف أن ثريا الزوجة لم تكن موفقة مع أهل الزوج من قبل قرابة العامين .. وها هى شيخة تعد واحدة من الأهل ، وهى تظن من خلال سؤالها أنها تحاسبها من منطلق القرابة وفى بيتها . ربما كان ذلك مقبولا من قبل حيث لا بديل حينما كانت تعيش فى دارهم ولكنه الآن مرفوض.

وتستمر ثريا فى حوارها الموجه لحصة بعد أن كشفت عن سر المربية الهندية وفى وجود شيخة التى رأت أن تسكت وكفى ما كان .ولكنها أمام ما يذكر فى حوار ثريا لا تقوى على حبس رأيها فى قول كلمة حق لزوجة أخيها التي لا تكف عن إهدار مال زوجها بأية وسيلة تحت مفهوم مواكبة الحياة العصرية فهى تذكر ضمن الحوار :

ثريا : أهم ما على المرأة أنها تسعد زوجها .. وأنا زوجى من أسعد الناس ..مايعرف ضيق الخلق أبدا .. عايشين بسعادة تامة .. أخ لو يكمل الحلم واتعلم سياقة السيارة .

حصة :ما تعرفين

ثريا :(تتراجع) هو ..بلا .. أقصى عليكى .. تعلمت فى لندن بس يشترى لى سيارة .

شيخة : تصير عندكم سيارتين .. شها لفسق

تقول شيخة ذلك لأنها تعلم تماما أن المتورط فى كل ذلك هو أخوها وما يصيبه يصل إليها وتحسه قبل غيرها وقبل أن تشعر به الزوجة ثريا التى يمكن أن تتنازل عنه أذا وجدت ما يفوقه ماديا وحين تسألها من أين كل هذا المال .. تكون إجابتها حاضرة وهى تصرح بأن زوجها ذو مركز مرموق وراتبه ..٥ دينار شهريا وهذا المبلغ لا بأس به .. والحقيقة أن راتب الزوج هو ٢٦٠ دينارا فقط أى نصف ما أعلنته . كذلك فإن فى حوارها إشارة بل تصريح للحاضرات . وكأن الكلام موجه لشيخة فقط ، وهذا مقصود حينما تذكر لهن أن غاية المرأة أو الزوجة هواسعاد زوجها، وأن هذه السعادة متوفرة فى حياتهم وأن زوجها يعد من الأزواج المحظوظين لأنه تزوج منها . وأنه لم يحس مطلقا بضيق الخلق ثم تتبع ذلك بالتمنى فى تحقيق الحلم بأن تتعلم قيادة السيارة .لتسألها حصة بعجب وكأنها تتهمها بالرجعية «ماتعرفين» ؟ ! هذه الكلمة تجعل الزوجة تفيق من موقف حرج وضعت نفسها فيه ولكن الكلمات تسعفها حينما ترد على الفور على سؤال حصة التى رأت فيه إهدارا لكرامتها وهى المرأة العصرية التى تعيش حياة بعيدة عن التقاليد البالية . والكاتب هنا يسجل هذا الموقف بكلمة «تتراجع» ثم تبدأبالرد على هذا السؤال وكأنها من موقف هجوم ، والتراجع هذا ما هو إلا استعداد لشن هجوم على الخصم تبدؤة بكلمة «هو» «بلا» وكأنها تتهم حصة بالجهل وعدم التقدير السليم لاختيار لفظ السؤال وتبدأ فى سرد كيفية تعلمها القيادة وهو واضح ضمن الحوار .

إن صورة المرأة تبدو أوضح بعد هذه التحليلات .. ولكن الصورة لم تكتمل بعد، ففى حوار آخر يبين إلى أى مدى تكون فيه الزوجة منافقة حتى لو كان على حساب البيت والزوج والأولاد .. فهى تعترف بالسعادة التى تهيئها للزوج .. ثم إن معظم ما تقوله يتحقق .

والدليل حياتها التى تعيشها .. فهذه الحياة واقع بالنسبة لها وللزوج وإن اختلف المذاق . فما أن تنتهى الحفلة ويذهب كل إلى مقصده حتى تنفرد الزوجة بزوجها وتخلع القناع لتبدو بوجهها الطبيعى وهو- أى الزوج - بدوره يبادلها الحوار والكلمات التى تخرج من داخله معبرة بصدق عما يحسه ويعانيه والذى لم يقدر من قبل على التصريح به ولكن الفرصة قد واتته :

ثريا : تصرفك هذا زين

وليد : فكينا ثريا . خليني أرجوك

ثريا : خليتك وصبرت من قبل ما تبتدى الحفلة وإنت تحاول تثيرنى ... سكت وأكلتها داخل نفسى .. وأعطيتك فرصة تنكد على ضيوفى .. ومرت الحفلة وأنا على أعصابى .. قلبت كل فرحتى هم وغم .. أنا قلت بيجون الضيوف وتحس على نفسك .

هكذا يدور الحوار مبرزا التناقض الواضح بين ما تقوله للضيوف والواقع الفعلى .. أليس هذا منتهى الذكاء والفطنة والثقافة من ناحية الزوجة . ولكنها فطنة فى غير مكانتها الصحيح على آية حال .. فالزوجة متعلمة ومثقفة ولكنها لم تستعمل هذه الميزات فى صالح بلدها أو بيتها ، بل كان الاستقلال للتدمير وتشويه الواقع المزدهر الذى يعيشه الكثيرون غيرها وهم أقل منها ماديا ، ولكن يفوقونها معنويا ، ولكن ثريا تكون قد غيرت جلدها فهى ماضية فى ذلك الطريق مهما كانت النتيجة . ومن حوار الزوجة السابق والذى يطلب فيه الزوج إنهاء المناقشة ، لا تدع ثريا الهدوء يعرف طريقا بل تبدأ فى سرد الكلمات التى تمس كرامته حتى تصل إلى قولها «تحس على نفسك » فهى تنعته بعدم الاحساس أو تجرده من كل ذوق . يصل الحوار إلى هذا الحد . ولا يجد الزوج ما يستعيد به كرامته إلا «شمسوى» ونحن لسنا بصدد وتحليل لموقف الزوج وإلا سيكون لنا جولات متعددة كى نعرى تلك الشخصية ونستخرج منها تراكمات كثيرة ، ما يهمنا هو صورة المرأة والتى يعتبر الزوج محركا أساسيا يوصل إلى الحقيقة وإلى الصورة الصادقة التى تناقضت مع نفسها كثيرا . وهل هذا التناقض عن جهل أم هو مقصود ؟ . والرد على ذلك سوف يأتى فى مكانه . نقول أن الزوج كان سلبيا إلى أقصى درجة أمام اتهامات الزوجة . والتجريح الموجه فى الصميم والذى يصل إلى درجة السب علنا .

ثم يأتى مفهوم آخر للتناقض فى تصرفات ثريا وهو أنها كما ذكرت له أعدت للحفلة بمفردها «تنسيق وإعداد طعام وشراب بذلت من أجله مجهودا ضخما » ولم تبد أى اعتراض .. فهذا يوافق هواها . ولكن حينما يطلب منها وليد قرصا من الإسبرين وكوبا من الماء . تأمر الخادم باحضار الماء حيث تحضرهى المسكن . لقد أحضرته بنفسها لأنه في مكان بعيد عن متناول يد الخادم وإلاكانت ستأمره أيضا بإحضاره .. تبذل هذا الجهد

الخارق فى إعداد الحفلة وبمفردها وتبخل فى إحضار كوب من الماء بيدها للزوج الذى شعر بألم مفاجئ . :

وليد : (يضطجع بكسل وهم واضحين )ودى لو أسبرو وماى

ثريا : (تنادى الخادم الصغير جمعة) جمعة

جمعة (يهب مذعورا وكأنه كان نائما) نعم

ثريا :تعال (تذهب ووراءها الخادم) (موسيقى مناسبة)

ثريا : (تعود بعد لحظات وبيدها الأسبرو) تفضل

وليد :(يأخذ الأسبرو )والماى

ثريا : راح الصبى يجيبه (تتجه للبيكآب وتديره بعد أن تضع أسطوانة لاغنية .. ثم تنصرف )

هذه صورة مصغرة لحوار محدود تكشف من خلاله ثريا عن مدى التناقض الواضح، وأن هذا التناقض لم يكن أبدا عن جهل بل إنه متعمد ، والقسوة والجحود كانتا علامة مميزة فى تصرف ثريا أمام الزوج الذى تحمل تكاليف إقامة تلك الحفلة . وها هو يتألم وتبخل هى بمجرد إعطائه الدواء بيدها ،بل إنها تناوله قرص الأسبرو وتدير له ظهرها مع التراقص على نغمات تلك الاغنية الفرنسية ولم تجد عليه بلفظ واحد يدل على اهتمامها به . شتان ما بين موقفيهما فى استقبال الضيوف للحفلة والقيام بنفسها على تلبية رغباتهم وخدمتهم بعد عناء يوم طويل فى الترتيب لهذه الحفلة بالإضافة إلى أنها كانت تجود عليهم بالابتسامة التى لم تغب ، وبين موقفها هذا أمام الزوج الذى أعياه ما رأى وما يرى . إذن فالمسافة أصبحت بينهما كبيرة إلى أبعد مدى بحيث إن اللقاء ثانية أصبح مستحيلا ، فكل يرى الواقع بمفهوم مختلف عن الآخر .

ثم فى حوار آخر جمع بين ثريا الزوجة وشيخة أخت الزوج التى التقت بأخيها وعلمت منه سبب شروده المستمر وعدم إقباله على الحياة كبقية الرجال .. فقد اقترض من أكثر من مصدر وآخرها كان صديقه أحمد الذى أعطاه خمسمائة دينار وهو الآن لا يدرك ماذا يفعل حيال هذه الديون حتى أنه يكاد يبكى .. التقت شيخة بثريا بعد لقاء أخيها

ومعرفتها تلك الحقائق فكان لابد أن تبصرها وترشدها إلى الطريق الصحيح الذى يمكن أن يقربها من زوجها الذى أوشك أن تفقده .. وثريا مازالت ترفض مجرد سماع هذا الكلام.. فهى تسمع منها بتقزز وكأنها تتجرع دواء مرا :

ثريا : من فضلك أنا ما أبى أحد يتدخل فى حياتى أنا يكفينى ويا زوجى

شيخة : بيكفيكى ..بس والله بتندمين ولاأحد يأكلها غيرك .

ماتزال ثريا ترفض أى تدخل يمكن معه أن يهدم ما أقامته فى هذه الشهورالقليلة الماضية . وقد ارتضت ماوصلت إليه . وهى ترى الآن فى شيخة شبحا يتجسد فيه الماضى الذى نفضت عنها آثاره المقرزة وترى أيضا أنها صورة صادقة من أخيها الذى يرفض الصعود معها إلى أعلى مستسلما للقبوع فى القاع . وها هى شيخة تتكلم بنفس أسلوبه . فإذا كانت من قبل قد رفضت هذا الأسلوب من الزوج .. فهل يمكن أن تقبله من هذه المرأة ؟ ! لا تنتظر ثريا أن تعتب على كلام شيخة فما أن يدق جرس التليفون حتى تتركها .. «تنعزل ثريا مع التليفون فى بقعة ضوء ملونة وتسمع موسيقى راقصة عنيفة بينما يطفأ القسم الذى تقف فيه شيخة» .

ومن وصف الكاتب لنهاية المشهد الثانى من الفصل الثانى تكون الصورة قد وضحت .. فقد رفضت ثريا وساطة شيخة لعودة العلاقات الزوجية إلى طبيعتها ، بل رفضت مجرد التدخل . ورغم تهديد شيخة الذى يعد منطقيا ،هذا إذا كان الزوج ذاشخصية سوية، برغم هذا التهديد فإنها لا ترد عليها بل وتتركها لتحكى مع صديقتها حصة التى سوف يكون معها لقاء آخر يؤدى بها إلى النهاية .. تتركها ثريا ليتلاشى الضوء تماما إلا من مكانها . تحت ضوء ملون ،. ولم يخص الكاتب لونا بعينه حتى يمكن أن يترجم إلى واقع .. ويمكن أن نقول أن بقعة الإضاءة الملونة هذه . وفى نهاية مشهد وفصل ، بعد لقاء وحوار عنيف بين طرفين متكافئين . فإن هذا الضوءيسلط على ثريا على أنها محور الأحداث والتى سوف تستمر إلى النهاية .. ولكن ترجمة هذه البقعة تعنى الضياع . فكل لون له دلالته (الأحمر :الثورة والدم والإثارة ، الأخضر :النماء والأمل ، الأزرق : البرودة واللانهائية والنهاية أيضا .. إلخ) أما هذا الضوء الملون فهو خليط بين كل هذه التعريفات فلا يمكن أن نقول أنه يجمع بين هذه الخصائص لأنه من المستحيل أن ينتزع منه كل خاصية على حدة فهو مزيج ..أى أن هذه الخصائص تلاشت

عند التقائها ،وهذا يعطى إيحاء بأن ثريا قد ضلت الطريق ولا أمل فى عودتها إلى نقطة البداية .

ثم ينتقل الكاتب إلى الفصل الثالث حيث يكون الزوج جالسا وحده منتظرا عودة الزوجة من الخارج قادمة بعد لقاء حصة تلبية لمكالمتها التليفونية .. قادمة لإثبات وجودها ولا أكثر على أمل العودة من حيث أتت مرة ثانية .. وذلك لدعوتها على الغذاء . فى الوقت الذى يكون فيه الزوج قد عاد من العمل منتظرا طعام غدائه .. وبعد نقاش لم يخل من حدة وتشابك يستسلم الزوج أمام شراسة الزوجة ولا يجد ما يقوله سوى حاجته للطعام:

وليد : قومى هاتى غداى الحين وأمرنا لله

ثريا : عندك الثلاجة .. ما عملت غدا اليوم

أمام مطلب الزوج المستسلم تكون إجابة الزوجة المشحونة باللامبلاه فهى لم تعد طعاما وهذا نوع من التقصير ،ثم إنها تقولها صراحة «عندك الثلاجة » أى أنها تعالج التقصير والخطأ بأفظع منه ، لم تعتذر مثلا لعدم مقدرتها فى إعداد الطعام ، لم تقم بتقديم ما أشارت إليه بنفسها من هذه الثلاجة التى يعدها الزوج دخيلة عليهم .. والأكل منها شبه مرفوض بالنسبة للزوجة ربة البيت غير العاملة التى لا يكون لديها متسع من الوقت ، تشير عليه أن يذهب بنفسه – وذلك يكون أمام الخادم –ليعد طعام غدائه وفى وجودها ، إن هذا الأمر صريح وقاس ، فما وظيفتها إذا كان سيقوم بخدمة نفسه فى بيته وهى التى لا عمل لها سوى الإشراف وخدمة هذا البيت .. وحينما يريد أن يقول رأيه رداعلى هذا التجريح تتركه وحده ، هذا يكون موقف الزوجة فى بيتها ومع زوجها ،ثم يتسع الموقف بدخول سامى أخو الزوجة ويعلم بما حدث ، ورغم إستنكاره لهذا التصرف ، فهو الآخر من النوع الذى لا يهوى الاحتكاك فينضم للزوج ويستسلمان سويا للواقع المر ولا بديل عنه . وتكون الزوجة قد غادرت المكان وحققت ما تريد حيث إنها المنتصرة فى هذا الموقف ودائما .. وبينما يكون الزوج وسامى صاعدين إلى المطبخ بالدور الثانى ، وفى منتصف السلم تنادى الزوجة زوجها وهى مازالت بالصالة .. تناديه وهو فى طريقه لتناول غداءه المرفوض والذى قبله مرغما .. تناديه وتدعوه للمثول أمامها لتكمل الصورة وإلى أى مدى وصل الجبروت بالزوجة ؟ ! فإن كانت تريد حياه عصرية فذلك لا يمت إلى

العصرية فى شئ .. يتوقفان عند سماعهما الأمر حيث تشير ثريا بأنها تطلب الزوج وحده.. ليواصل سامى صعوده دون تعليق .. ويهبط الزوج السلالم التى صعدها لتفاجئه :

ثريا :(تقترب منه وتمسك بأصابعها رباط عنقه) اشترى لى سيارة

وليد : شنهو عمرى

ثريا : سيارة صغيرة وحلوة

وليد : انشاء الله حبيبتى ..على أمرك

بسرعة فائقة تغير الزوجة من حدة الحوار أمام ذلك المطلب الذى يعد غريبا حقا ، والذى يوافقه الزوج وبأسلوب رقيق قانع .. لسنا بصور تحليل شخصية الزوج .. ولكن موقف الزوجة وشخصيتها الشاذة غير المقبولة لرجل مهما كان انتماؤه الطبقى .. ولكن هكذا صورها الكاتب و من هذا المنطلق يكون التعليق . من خلال تكوين هذه الشخصية وتصرفاتها .. فهى تعود للبيت وقت الغداء بعد عودة الزوج من يوم عمل . ثم لا يكون هناك طعام معدا ..وبعد تلقى الأمر أن الغذا اليوم – ومن يدرى ربما تكرر ذلك كثيرا من قبل – من الثلاجة بالإضافة إلى قيام الزوج بإعداده وأمام أخيها .وذلك لأنها مدعوة على غذاء طازج فى بيت حصة ..كل هذه اللطمات من قبل الزوجة لزوجها ..من المرأة للرجل.. وبالرغم من ذلك كله تستدعيه بعد صعوده السلم لينزل إليها لتزيد اللطمات لطمة أخرى.

ينزل إليها وليد . ربما كان يأمل منها خيرا .ولكنه يفاجأ بأنها تطلب منه شراء سيارة صغيرة ! .. وبالرغم من أن شيخة أخت وليد قد سبق أن عارضت ثريا فى هذا الجبروت يوافقها دون إبداءأية معارضة ولو بكلمة واحدة .. وهاهى الزوجة تضيف إلى رصيد الحياة الزوجية موقفا آخر لا يحسب لها .إن حياتها مجموعة مواقف ، كلها صعبة ،هذا هو المنطق .ولكن ربما لا تجد الزوجة فى ذلك اية غرابة . ويتقبلها الزوج بعد رفض لا يستمر وينسى أو يتناسى .فهو أخيرا يريد أن يعيش .. ويوافق الزوج على هذا الطلب.. ولكنها تزيد وتطلبها فى التو ومرة أخرى يتطور الحوار ويشتد إيقاعه حتى يقترب الزوج فى حدة إلى مستوى الزوجة وهو لا يدرى العاقبة .

ثريا : قلت لك عاد . أنا أبى سيارة .. يعنى أبى سيارة .

وليد : أنا قلت لك ما فيه سيارة .. يعنى ما فيه سيارة .

ثريا : بشوف كلامى والا كلامك «تنصرف غاضبة»

وليد : (وحيدا يفكر)

هكذا تخرج الزوجة هذه المرة من حوار قليل دون أن يكون لها الغلبة .. فهى لم تهزم .. ولكنها أيضا لم تحقق نصرا تعودت عليه دوما وهى التى اعتادت تنفيذ رغباتها بل أوامرها . تخرج هذه المرة دون أن يكون لها الكلمة الأخيرة والتى تحمل فى طياتها تحديا صارخا .. ولا تنتظر منه ردا وتخرج غاضبة . ولا يجد الزوج ردا يحول الموقف إلى التعادل كما كان ويعود للسلبية كعادته يفكر فى مخرج ينتشله من هذا الموقف .. يأخذ الخادم لشراء غداء من السوق .. ينصرف سامى ... يحضر الزوج الطعام ويلتقى بالزوجة ويطلب منها إعداد الطعام الجاهز ترفض وتشير بوجود الخادم .. يدق جرس التليفون .. فينبهها دون أن تستجيب ثم تتهمه بالتبذير لمجرد احضار هذا الطعام من الخارج .

هكذا تصل ثريا إلى هذا التناقض مع نفسها .. ولا يجد الزوج ما يشفى غليله وثورته سوى أن يكون مستسلما . ورغم ذلك تثور الزوجة لمجرد هذا التصرف .. فكيف يتركها دون أن يكون الأمر منها هى .. ويكون رد الفعل منها أن تأمر الخادم بحفظ هذا الطعام فى الثلاجة متحدية مشاعر الزوج ونداء الجوع الذى يعانيه وكان لسان حالها يقول «لا جعلك الله تأكل .. ولكن ذلك لا يكفى .. فثورتها مازالت قائمة . فتعيد الأمر على الخادم بأن يلقى هذا الطعام فى صندوق القمامة حتى أن الخادم يتجرأ ويبدى اعتراضه، وهذا ما لم يحدث مرة واحدة من الزوج ولكنها تعيد الأمر للتلبية والنفاذ .. يكون الزوج قد وصل إلى حالة نفسية سيئة وتمزق داخلى .. ويعود إليها ثانية رغبة منه فى تصفية حسابات عسيرة وثورة مشتعلة حيث يدور بينهما حوار ملؤه التهديد من قبل الزوج ويكون البرود كرد فعل من الزوجة المسيطرة على مجرى الاحداث ، ويأبى هذه المرة التراجع وكأنه اتخذ من الخادم مثالا .. فهو يتكلم دون وعى منه .فقد فاض الكيل وها هو ينفجر من الداخل وهى ما تزال صلبة .. يطلب منها التغير فى كل شئ وإصلاح ما أفسدته الأيام ولكنها ما زالت تقف منه موقف العناد واللامبالاة :

ثريا : وإن ما اتصلحت .. شتبى تسوى

وليد : اطقك ..أفسخ دماغك باكبر ما عندى واستريح

ثريا : تقدر

وليد : أقدر وأدوسك بأنعالى .. شنهو انت

لقد تصاعد الحوار نحو قمة الصراع وأوشك الزوج على الوصول بمستوى الزوجة مع فارق الانفعال النفسى من قبل الزوج يقابله البرود من الزوجة وهذا له تأثير كبير . إن الزوجة لا تمكن وليد من الوصول إليها سالما ولا ترفض اعطاءه هذه الفرصة فهى ترد عليه بلفظ واحد يجعله يثور ولا يتمالك أعصابه .. وهى تجيد البرود الذى ترد من خلاله . وبالتالى وبرغم تفوق الزوج اللفظى إلا أن هذه الجولة تحسب لها أيضا برغم التهديد . فهو هنا قد فقد أعصابه تماما .. وهى ما زالت تحتفظ بوقارها كاملا، بل وتستزيده وتحثه على مواصلة الحوار بالتحدى أمام هذا التهديد بقولها ردا على انفعالاته « تقدر »كأنها تشككه فى مقدرته بل أنها واثقة بنفسها إلى حد استبعاد هذا التنفيذ من الزوج الذى ترى جيدا ما بداخله . ويرد الزوج بمزيد من الثورة والحدة .فهو يريد أن يثبت لها عكس ما تتصور ، وأنه الرجل بمعنى ما لهذه الكلمة من دلالة ولو لمرة واحدة .وأن الأمر بيده وما عليها إلا أن تعى تماما ذلك وإلا فالخطر قادم لا محالة إذا استمرت الحياة بهذا الأسلوب . ويملك زمام الأمر وكأن الحوار كان بداخله محبوسا وها هو الآن يتحرر ويهاجمها . الأمر الذى جعلها هذه المرة تقف متجمدة غير مصدقة ويصل به الحوار الطويل الموجه إليها مليئا بالانتقادات ومعريا للموقف تماما :

وليد : .. لعنبو دارك . صار بيتى كالشارع .. ماله أى حرمة ، الناس تدخل وتطلع دون استئذان .. أنا ما أعرف اللى يدشون ويطلعون .. أنا صرت غريب حتى فى بيتى ومع زوجتى .. وين أفر .. وين أروح

ثريا : (متوترة ..تصمت)

وليد : (يصمت)

ثريا : (تنهض تريد الذهاب .. ولكنها تعود وتركز انتباهها عليه .. ثم تلتفت عنه عندما تلتقى النظرات)

لقد تطور الموقف وأصبح الزمام فى يد الزوج لأول مرة أو هكذا سولت إليه نفسه هذه النتيجة ، وأيضا فالحكم من خلال الحوار فإن الأمر أصبح له .. فهو يعدد للزوجة مساوئ لا حصرلها تدور فى بيته حتى أنها إذا أنكرت إحداها أو بعضها فلن تستطيع أن تمحوها كلها ، لدرجة أنها لم تجد كلمة واحدة ترد بها على ذلك الحوار الطويل الملئ بالاتهامات الموجهة إليها . بل إنها هذه المرة تتوتر دليل أن الحوار بدأ يؤثر وربما يغير منها هذه التصرفات .. تتوتر الزوجة ويكون الصمت هو ردها العاجز .. ولكنها لا بد أن تفعل شيئا يذيب هذا الجمود و خاصة أن الزوج هو الآخر قد صمت . أى أن الكلمات التى قالها هى التى تطفو على السطح وهذا دليل نصره . وهى لأول مرة تحس الهزيمة. واستمرار الموقف على ما هو عليه من حالة الصمت الرهيب الذى خيم على المكان لا بد له أن يتلاشى . وبالفعل تنهض الزوجة لتكسر حدة هذه الرهبة .. ولكن شيئا يجذبها نحو الزوج .. أى أن الأمر قد خرج من يدها هذه المرة . تمعن النظر إليه وكأنها تريد أن تقول له من أنت ؟ !! هل أنت وليد زوجى الهادئ دائما .. الطيع المستسلم .. إنها تتفرسه ولكن سرعان ما تبعد نظراتها عنه حينما تلتقيان .. وقبل أن تصل هذه النظرة . فهى إما أنها تخشى المواجهة التى يمكن أن لا تمكنه من الاقتراب إلى عالمها أو مكانتها التى استقرت عند مستواها وهى المرأة العصرية التى سبقته بمراحل فى ميدان التطور والمدنية .. إن الفارق بينهما كبير ولا يصح أن تلتقى النظرات هكذا فى موقف متأزم .. ربما اذا التقت النظرات يكون ذلك بمثابة بداية لعودة الهدوء الذى لم يسبق له وجود فى البيت .. لكنه الهدوء الذى يمكن أن ينتزع منها حياتها التى ارتضتها .. ويكسر وليد هذا الجمود موجها حديثه إلى الزوجة .. مطالبا إياها بالعودة إلى حياة عصرية ولكن مع الحفاظ على التقاليد الموروثة والتى تعد أساسا للقيم فى بلد شرقى .. معددا لها المزايا التى يمكن أن تعود عليها من هذه الحياة والتى سبق أن عاشاها قبل أن ينتقلا إلى هذا المسكن الجديد حينما كانت الأمور تسير دون تعثر ، ويطيل الحوار الذى يصل به إلى الصمت !

وليد : (يصمت صمتا طويلا)

ثريا : (ترقبه وتسارقه النظرات)

وليد : (يتسلل من مكانه يريد الخروج من الباب الرئيسى)

ثريا : (تهب واقفة)وليد

وليد : (يقف)

ثريا : (تقترب منه) أنا من لى غيرك ... « إلى أن تصل إلى » أنا بين يديك

هكذا يكون الحوار السابق قد أثمر .. فقد قال الزوج وأطال وأخرج كل ما يؤرقه دون توقف حتى لا تبادره هذه المرة بحوار يمحو ما قاله . أم أنه يأخذ قسطا من الراحة يعد كل هذا المجهود الذى استغلته ثريا فى اختلاس النظرات إليه أثناءه وهى تراقبه فى كل تصرف يصدر عنه أثناء إلقائه هذه المواعظ .. ومن هذا الصمت الطويل للزوج والذى يقابله صمت أطول من الزوجة التى أبدت هذه المرة المشاركة فى الحوار ولو بكلمة واحدة.. لا يرى وليد مفرا من أن ينصرف خارج البيت نهائيا .وكأن ثريا أدركت بفطنتها اللماحة . أن هذا الخروج يمكن أن يكون بلا عودة . وعلى ذلك لم تقف مكتوفة اليدين . بل إنها هذه المرة تتحرك وتقدم تنازلات . هل ذلك كان عن اقتناع بعد كل ذلك الحوار . أم أنها تريد أن تسلبه هذا الانفعال كى يعود إلى طبيعته . ربما كان الأمر الثانى هو الأرجح .. فبعد أن أفضى بما لديه حتى لم يتبق بداخله ما يقوله . تتجه الزوجة بكلمة واحدة ربما أن يكون ملؤها الندم والأسى تستوقفه .. فيقف وليد بعد أن بلغ به اليأس مبلغه من تلك الزوجة التى أفرغ كل ما بداخله من معان أمامها وهى ما زالت صامتة .. فالخروج هو أنسب الحلول للانسحاب .. ولكنها الآن تستوقفه بكلمة ويطيع الأمر بلا تردد ..وتتخذ موقفا إيحابيا آخر ، فها هى تتخلى عن مكانها المقدس التى تلقى بالأوامر من خلاله . بل وتزيد عندما تقترب منه .. تقترب هذه المرة وتذهب إليه حيث يقف حتى تصارحه بكلمات رقيقة ملؤها الندم والحسرة على ما مضى مصرحة له أنها بدونه لا تساوى شيئا.. ويكون الاعتراف بملكيتها له وما عليه إلا أن يفعل بها ما يشاء .. وتكون الاستجابة بل الاستسلام مرة أخرى من جانب الزوج دون أن يستغل هذا الموقف لمزيد من الهجوم . وتتمادى الزوجة فى التنازلات وكأنها قد تطهرت من آثام الماضى حيث تقول :

ثريا : لبيك يا وليد .. أنا عبدتك ملك يديك

وليد : لا يا ثريا إنتى زوجتى وحبيبتى .. يهمنى أحافظ على كرامتك لأنها كرامتى

ثريا : قوم نقعد فى غرفتنا .. من زمان ما حكينا مع بعض

إلى هذه الدرجة تكون ثريا قد تطهرت حقا . فها هى تحاكيه وتعترف أمامه بالخطأ

والذى بدوره يغفره لها فى نفس اللحظة .. يهدأ الموقف العاصف ويعم الصفا وكأن الحياة قد عادت وأصبحت على خير وجه، فالزوجة هى التى تطلب من وليد الصعود إلى الغرفة التى تم هجرها من زمن . وها هى الآن تريد أن تستعيد ذكرياتها ثانية .. ويرى الزوج فى هذه النهاية بداية لحياة يمكن أن تكون سعيدة معتقدا أن حواره قد حرك فى داخل الزوجة شعورا حقيقيا بالندم .. وها هى الآن قد عادت إلى رشدها وهو المطلوب . ويصعدان على السلم حيث الغرفة بالدور الثانى ، وما هى إلا خطوات وينفرد بها حتى يدق التليفون وتنزل هى لترد عليه . يظل الزوج واقفا مكانه انتظارا لعودتها حتى يصلا سويا . وترد ثريا على التليفون وتتحدث مع صديقة تطلبها فى سهرة ، تنظر إلى الزوج الذى يقف وكأنه ينتظر نتيجة امتحان طال انتظاره . وترد مترددة ويكون الصوت الآخر ذا تأثير شديد عليها حتى أنها تعتذر أولا عن عدم تلبية الرغبة .. ثم تتغير نبرة الصوت من الحزن إلى الطبيعى مقررة المحاولة . أى صرحت بعدم استطاعتها والفرق كبير ثم ترد بأنها سوف تحاول أى أن القبول وارد ولكن الموقف هو المتأزم لوجود وليد أمامها هذه اللحظة .. ثم تضيف بعد ذلك مقررة تلبية الدعوة ، وهذا تأكيدا للتطور فى الحديث ثم تحدد الساعة السادسة للموعد وذلك فى حوارها ضمنا :

ثريا : أحاول .. أحاول يمكن أقدر .. زين .. زين ...لا تحلفينى آجى . لا .. والله العظيم آجى .. خلاص الساعة ست أنا عندكم

وليد : (يحلس بإعياء) .. على الدرجة المتوقف عندها من السلم .

وهكذا يضيع كل شى فقد أطفئ آخر ضوء يمكن أن يعيد بعضا مما ضاع حيث كانت قوة الجذب الأخرى أقوى تأثيرا من حوار الزوج، فلا أمل ولا رجاء من عودة الحياة كما كانت .

من هنا فإن صورة الزوجة ثريا المرأة المتعلمة المثقفة قد وضحت ، فهى لم تشارك فى نهضة الدولة التى تعيش على خيراتها .. بل إنها رفضت المشاركة فى تربية ابنائها وتركتها فريسة لمربية أجنبية غير عربية ، بل لم تشارك فى الحفاظ على البيت والأسرة . وبسببها وبسبب تصرفاتها الهوجاء .. ضاع كل شى .. البيت .. الزوج .. الأولاد .. وإذا كانت ثريا قد برزت صورتها بهذا الشكل المؤلم .. فإن صورة فاطمة فى مسرحية ضاع الديك كانت أقل حدة حيث إنها سلبية ولكن ليس إلى درجة الدمار .

ومن خلال ما برز فى هذا الفصل .. فإن الكاتب قد تعمد إبراز الجانب السلبى

المدمر أحيانا للمرأة .. ربما لكى يخلق فى نفس المشاهد الرهبة من نتيجة هذا التيار الذى سلكته المرأة عن قصد فى مسرحية الدرجة الرابعة وعن غير قصد فى مسرحية ضاع الديك .. والوصول بهذا المشاهد إلى درجة الرفض لما يراه ، وهو الهدف النهائى والذى إذا تحقق يكون الكاتب قد نجح فى توصيل مفهومه تماما.

# الباب الثانى

# على الصعيد العاطفى

# الفصل الأول

## ( الحـــــب )

لقد خلق الله سبحانه وتعالى هذه الحياة وزودها بالغرائز ، يتساوى فى ذلك الإنسان والحيوان ، وأفرد الله سبحانه وتعالى العقل للإنسان ، ومن ثم خصه وهو أرقى المخلوقات بحمل الأمانة فى حرية الاختيار ، حيث تميز بامتلاك العاطفة بجانب العقل ، ويعد الحب المحرك الأكبر لهذه العاطفة ، لأن الحب يكسب الوجود البشرى اتجاها وقصدا وغاية فيخلع عليه عمقا ومعنى وقيمة .

والحب يولد مع الإنسان بمفهومه الضيق ، ثم سرعان ماينمو وتتسع دائرته مع الفرد كلما زاد احتكاكه بالآخرين ، حتى إذا بلغ أشده تفرع هذا الحب ليشمل كل مايحيط بالفرد ، ومن الطبيعى أن توجد قوة جذب بين الجنسين .. وآية ذلك أن الطبيعة قد منحتنا الحب على صورة فعل حيوانى فسيولوجى . ثم استطعنا نحن أن نطوره ونرقيه ونخلع عليه صورة معقدة غاية فى التعقيد حتى أن حضارتنا وفننا وفكرنا وكل شئ آخر إنما هى جميعا - فى خاتمة المطاف - مجرد ثمرة من ثمار الحب .

وعاطفة الحب هنا مركب حسى يكمن داخل النفس البشرية يستوى فيها الرجل والمرأة . إذن فهذه العاطفة موجودة ، وتتعامل مع الطرف الآخر بإرادة حرة لأنها تتفاعل من الباطن ولا سيطرة عليها من أحد ، حتى تترجمُ هذه الأحاسيس إلى التصريح كى نجد تجاوبا أو رفضا . والحب موجود فى الطبيعة منذ خلق الله الأرض والإنسان ، وهو ضرورى لاستمرار الحياة ، فهو الدافع الأول لاختيار الإنسان حياته ومايترتب عليها ، وبدونه يفقد كل شئ معناه وقيمته ويصير أقرب إلى الحيوان منه إلى الإنسان . فما حرية الاختيار إلا حب الشئ المختار . ومادام الإنسان حرا فى اختياره ، فهو حر فى توجيه عاطفة الحب إلى ما من يحب . فهذا حقه ، ويتحمل مسئوليته وما يترتب على ذلك.

ولكن إذا وجد الإنسان من يقف له عقبة فى هذا الطريق سالبا له هذه النعمة التى وهبت له ، فسوف يقاوم ماأمكن ليحصل على مايريد مهما كان الثمن ، أما إذا لم يستطع التغلب على الخصم ، فالاستسلام سيكون نهاية وسوف تكون معه النهاية أيضا .

ومن حيث إن عاطفة الحب هذه تتساوى فى الجنسين : الرجل ، والمرأة التى سنحاول تتبع أثرها الفكرى والسلوكى من خلال ماسوف نتطرق له من مسرحيات كى نبرز صورتها الدرامية كما تجسدت فى المواقف والشخصيات المختلفة ، الرجال والنساء منها على حد سواء ، والواقع أنه إذا كانت للحب قيمة كبرى فى حياة المرأة فذلك لأنها تشعر بأن كل مافى وجودها « هبة » لابد أن تقدم للرجل وكأن وجودها لذاتها هو نفسه وجودها من أجل الغير .

ومن هذه المسرحيات .. مسرحية الحاجز لصقر الرشود والتى عرضت لأول مرة على مسرح كيفان فى ٦ / ٤ / ١٩٦٦ فى ثلاثة فصول . ولكن الكاتب أعاد صياغتها فعرضت فى بغداد ثم القاهرة كمسرحية من فصلين حيث حذف الفصل الثانى الذى تناول قضية من أخطر القضايا الفكرية التى ظهرت بالكويت ، قضية الصراع بين الماضى والحاضر بكل مافيه من قيم ورواسب وتقاليد ثم تغيير وتطور ، والنتائج التى تترتب على هذا الصراع ، ولمن تكون الغلبة ؟! يثير الكاتب هذه القضية من خلال أسرة مكونة من الأب والأم وابن وابنتين . حيث تكون الابنة الكبرى صاحبة المشكلة التى أدار الكاتب من خلالها الأحداث فهى تحب « عليا » ويبادلها الآخر هذه العاطفة ، والأب يريد لابنته الزواج من ابن خالتها أو ابن عمها دون الاهتمام بمن سيقع عليه الاختيار ، ولكن السبب هنا عدم تفكك الأسرة الأصيلة وأدخال عنصر غريب « بيسرى » أى غير أصيل حتى لاتضيع هذه الأصالة . ومن هنا تتولد القضية .. فالأبنة يساندها الأخ « فارس » الذى حصل تعليمه من الخارج . تدافع عن هذا الحب وصاحبه الذى لاذنب له سوى أنه بيسرى ، وهذا وحده لايكفى لرفضه حيث إنه ذو مال وعلم . والأم رافضة على طول الخط لاتتزعزع ولاتتنازل عن رأيها ، فى حين الأخت الصغيرة عواطف ترقب الأحداث وليس لها سوى مغامرة وحيدة مبتورة ، ولا هم لها سوى ممارسة الحياة العصرية بكل مافيها . ويساندها أيضا أخوها ولكن لاتتاح لها الفرصة لتحقيق الرغبة .

تدور الأحداث فى المسرحية عامة حول هذه القضية : إصرار من الابنة ورفض من

الأم . والأب فى موقف حائر فهو مقتنع تماما بضرورة تغيير التى تشبعت من الماضى حتى تصبح قيم الحاضر الفيصل الحقيقى . ولكنه يؤيد رفض الزوجة خوفا من العائلة التى سوف تتنكر لهذه الزيجة التى لم يسبق لأحد أن أتاها . ويستمر الصراع إلى أن تعلن الابنة رفضها التام لمبدأ الزواج . وعدم قبوله إذا أصر الأب . لينهى الكاتب المسرحية والقضية معلقة .

وإذا تطرقنا للحوار لكى نستخلص منه الصورة فسوف نجد مشهدا واحدا للأخت الصغيرة « عواطف » التى تكون على علاقة بشاب . ورغم أن الأب يتمسك بتقاليد الماضى إلا أن الابنة تتلقى مكالماتها التليفونية فى البيت دون أن تخشى أحدا فى وجود الأخ الأكبر .. فما أن يدق جرس التليفون حتى تسرع للرد عليه أمام أختها التى تترك لها المكان . والأخ يستمع إلى موسيقى داخل الحجرة .

عواطف : ( ترفع السماعة ) ألوه .. مين يتكلمْ ؟ خالد .. ماأسمع ما أسمع زين .. علام صوتك متغير .. لحظة واحدة أقولك لحظة ( تضع السماعة وتتجه إلى غرفة فارس ) يافارس قاعدة أتكلم فى التليفون قصر على البكآب يافارس ( تنخفض الموسيقى إلى التلاشى ) ( تعود وترفع السماعة ) آلوه .. إيه خالد .. علام حسك صاير متين .. تعرف إن دمك خفيف .. مهو إللى وياك قاعد قدام بالسيارة .. ذلك اللى شعره حلو .. يوم نطوف عليكم .. صديق يدرس بأمريكا ليشن ماتسوى شعر رأسك مثله .. جذى مثل البتلز دى موعيب كما بتحلق شنباتك .. لامو غير أنا أبيك تسوى بيتلز .. تطلع حلو وايد ..

هذه صورة لاتتكرر خلال سير أحداث المسرحية ولكنها جديرة بالتوقف لنرى أن هذه الفتاة التى لم تتم تعليمها .. ورغم محافظة الأسرة على تقاليد موروثة إلا أنها لاتعجز فى أن تجد من تبادله هذه العاطفة التى خلقت مع الإنسان . والجدير بالذكر هنا ، هذه الجرأة التى تتبعها عواطف فى ممارسة هذه العلاقة داخل البيت ودون أن تخشى أحدا . بل وتذهب إلى أبعد من ذلك . فهى حينما لايصلها صوت خالد فى التليفون تطلب من أخيها أن يخفض من صوت الموسيقى الذى يستمع إليها معلنة أنها لاتسمع صوت التليفون جيدا . فهى هنا تعيش حياة عصرية بكل مافيها من تحرر ، بل ولها رأى صريح فى الشخص الذى تبادله هذا الحب ومواصفات تصر على تنفيذها .. فهى ترى فيه

ما لايراه هو فى نفسه ، أو أنها تريد أن تراه كما يحلو لها حتى لو لم يقتنع . فهى تخبره أنها تريده بيتلز كصديقه التى لمحته بالسيارة وأعجبت به .

ويحضر الأب جزءا من المكالمة التى يكون قد سمع جزءا منها فى تليفون آخر مشترك حيث تحور الابنة الحديث .. ويسألها الأب وتتنكر بدورها فى بادئ الأمر . وحينما تعلم بمعرفة الأب تعترف له بكل شئ :

عواطف : لكنه يحبنى ويبى يخطبنى

الأب : يخطبك بالتليفون

عواطف : لا يبى يخطبنى منك

الأب : إن كانه ولد عبد العزيز الفايز والنعم وثلاثة أنعام

عواطف : أنت راضى يابا

الأب : إن كانه ولد عبد العزيز

هكذا تتضح الصورة . فالحب هنا مرتبط بالعائلة وبالمركز المالى للرجل ، فالحب وحده لايكفى . بل لايكون له وجود إن تعارض مع المركز . ويمكن أن يكون العكس هو الصحيح .. فالمركز وحده يمكن أن يكون كافيا لإتمام أى رباط مقدس .. من وجهة نظر الأب . حيث إن الكلمة الأخيرة والقرار النهائى له . فهذه الابنة الصغرى تعترف أمام الأب بحبها لخالد . وعندما يعلم الأب من يكون الرجل وابن من يوافق على الفور دون إبداء أى تحفظ أو حتى التروى للتفكير . فالموافقة جاهزة مادام الأب هو عبد العزيز الفايز ، وهو بالطبع يعلم من يكون هذا الرجل حتى أنه وافق دون تردد .

وعلى ذلك تتلاشى وتنتهى هذه الصورة عند هذا الحد دون مشاكل أو صراعات من أجله مادام العرف والتقاليد تجيزه .

ثم تكون الصورة الثانية والأخيرة للأخت موضى والتى يدور الصراع طوال المسرحية حول مشكلتها .. فقد خلقت الأم والأب من هذا الحب مشكلة لا حل لها . ففى حين يوافق الأب على أن تخطب ابنته الصغرى دون الدخول فى أية تفاصيل . نرى هنا أن مجرد معرفة الأم عن طريق عواطف أن موضى لها علاقة بشاب « راعى المكاتيب » تجن

مستنكرة هذا الحدث التى تعده كارثة سوف تدمر كل من بالبيت ، وسوف تكون لها وقع الصاعقة إذا ماعلم الأب . وتعدد الأم مساوئ ذلك المسلك لموضى التى لاتعجز عن الرد المناسب . وتدافع عن هذه العاطفة التى تعيشها وحدها دون أن يحسها سواها :

موضى : يمه هذا حب .. مافيه شئ .

الأم : ياالله سترك .. ياالله سترك

موضى : ايشيستر علينا منه

الأم : من ها الفضيحة .. من هالدمار اللى دمرتينا فيه

ما أن تعترف موضى بحبها صراحة حتى تنهال الأم عليها وكأن بركانا قد اندلع . فهى لاتعترف بهذا الحب الذى لم تعرفه فى أيامها الأولى والذى طالما استنكرته من فتيات العصر . وهو الآن يعيش في بيتها مع أحدى ابنتيها بالإضافة إلى أنها -أى الأم- قد ارتبطت مع ابن العم منذ الصغر على أن يكون كل منهما للآخر زوجين .. وهذا العرف كان سائدا فى الماضى القريب .. رغم اندثاره فهى تريده أن يعيش مع هذه الحياة التى تغير فيها كل شئ . كما أنها لم تكن تعلم عن هذا الحبيب شيئا حتى الآن حتي تقيم منه سدا منيعا كما سيتبين فى حينه .. فالأم هنا تعترض لهذين السببين .. والابنة متعلمة وحاصلة على شهادة الثانوية .. أى أنها نالت من التعليم قدرا لا بأس به ويمكن لها أن تزن الأمور دون أن تخفق . ومادامت قد اختارت وخفق قلبها فقد تمسكت برأيها فهى أمام الأم صخرة لاتتفتت عليها آراء الأم وتقرعها الحجة بالحجة وتكون كفتها هي الراجحة وتصل بها لنهاية المطاف حتى لاتدع لها ثغرة يمكن أن تجد من خلالها معارضة أخرى :

موضى : أهو يبى يتزوجنى .. تفهمين شنهو يتزوجنى

الأم : يتزوجك .. اشحقه

موضى : يتزوجنى بقد اشحقه .. علشان أصير حرمته زوجته .. على سنة الله ورسوله .

الأم : وولد عمك مساعد .

برغم أن موضى تصل مع أمها إلى نقطة تعتقد أنها ستكون النهاية بهذا الحوار الذى يطول وتعترض الأم من خلاله بلا توقف . إلا أن الأم بعد استنكارها لهذا الغريب

على حياتهم وهو الحب فهي تبرز سلاحا آخر يكون أشد خطرا من رفض هذه العاطفة وهو « مساعد » ابن العم الذي اتفق منذ الصغر على أنه سيكون زوجا لها .

وهنا تتجسد المشكلة التى تعترض طريق الفتاة موضى .. فهذا المساعد لامكان له فى قلبها بعد أن شغل « بعلى » وتدافع الابنة ولاتستسلم أمام هجوم الأم المتواصل والتى لاتهدأ وهى الأقوى من حيث المكانة .. ويستمر الحوار بينهما إلى أن يشترك الأخ « فارس » حيث تجده الأم منقذا لها أو هكذا تصورت ذلك وتخبره بهذه الكارثة وهي تعتقد أنها تلقي إليه بقنبله سوف تنفجر فى وجهه :

فارس : عسى ماشر ياموضى

الأم : تحب يافارس .. تحب

فارس : شنهو .. ؟

الأم : تحب !!

فارس : زين الله يبشرك بالخير .. مبروك

الأم : أقولك تحب

فارس : علام وجهك جذبي .. كمن عندك ميت .. ماكل بنت بتحب افرحى يمه .

فكل منهما فارس والأم يراها حسبما تلقى ثقافته أو ورث عاداته ، الأم تستنكر بشدة ماأقدمت عليه الابنة .. أما فارس فهو يبارك هذه العاطفة التى يكتمل بها نضج المرء من حيث التحول وإثبات الذات وبداية لاختيار حياة على أساس التوافق والأنسجام . وموضى توافق أخاها تماما . فهى لم تختر هذا الشخص إلا بعد أن تأكدت تماما بأن ثمة شيئا يجذبها نحوه . وكان الشعور متبادلا مما يسر عليها الارتباط الذى أوشك علي العامين كما اعترفت موضى لأمها . تشكل هذا الشعور فى مرة أو لنقل مرات مالم يستطع مساعد ابن العم أن يصل إليه طوال سنوات عمره برغم التقارب والاختلاط الدائم . فإن هذه العاطفة لاتصنع بل تتشكل حسبما التوافق .

ومن موقف الأخ فارس يدور الحوار بين الأم التى لاتوافقه في شئ مما يقوله . فهى ترى أنه قد خرج عن عاداتهم تماما . حتى أنه يقف مع أخته التى ارتكبت جرما لايغتفر حتى تصل معه إلى كنية هذا الرجل الذى لم يكن بالحسبان :

الأم : وعلى .. هذا اللى بيخطبها من أبوه .. مين ولده ؟

فارس : اللى هوه ولده .. المهم أنها تحبه
الأم : وأبوها بيرضى
فارس : ماأدرى .. بس أهى راضية

تدرك الأم أن الرد سواء من فارس أو موضى فورى وموثوق فيه لدرجة أن الابن يدافع عنه بكل تحدى .. وبلا انفعال مثلما تفعل هى حيث إن سؤالها دائما مفتعل غير متناسق أو متناسب وأحيانا تهرب بالسؤال إلى طرف الموضوع وهامش القضية .. فهى قد وصلت معهما بالحوار إلى نقطة وهى الخطبة .. ولو كان لها دفاع لأسئلتها لما انساقت إلى هذه الدرجة .. فتذهب للسؤال عن الأصل وعمن يكون الأب والعائلة لهذا اللص الذى يريد أن يسرق الابنة من مساعد الذى حجزت له منذ الصغر وهى تنتظر رد هذا السؤال من ولدها معتقدة أن يصيبه التردد أو العجز .. ولكن الابن يلقي برد غامض وكأن الاجابة التى كانت تنتظرها الأم لاتعنيه فى شئ ، أو غير ذى أهمية حيث يبادرها بقوله « المهم أنها تحبه » فهذا من وجهة نظره كافى للارتباط . وهو هنا يشير فى قولته هذه إلى أن ابن العم مساعد أيضا ، فإذا كان المهم هو الحب الذى يعد مبتورا بالنسبة لمساعد فالأخير مرفوض بهذا المقياس ولاداعى للخوض فى الحديث من أجله . وهو هنا يسد عليها ثغرة كان يمكن أن تقيم منها حاجزا للانتهاء من هذا الموضوع .. ولكن الأم لاتعجز أن الصخر الذى يقذف به الابن فتلحقه بسؤال آخر عن موقف الأب من هذه القضية وهي تبغى أن يسلم ، وبصراحة الابن لايرى فى هذا السؤال إعجازا بل يصرح بأنه لايعرف ماذا سيكون موقف أبيه . كأنه يقول أن ذلك الموقف لن يقدم أو يؤخر ، ولكن الذى يتأكد منه تماما أن الأخت موافقة . وكأن لسان حاله يقول بأن هذه الموافقة هى الأساس ويستمر الحوار إلى أن يعلم الأب حيث يكون موقفه مطابقا ومؤكدا لموقف الأم فى البداية . ويرى فى الحوار الذي يشترك فيه الابن والابنة كثيرا من الصواب ، ولكنه لايقبل بسهوله وهو هنا يناقش زوجته التى تكون صارمة فى رأيها غير مستعدة للتنازل بأى شكل . ولكن الأب من حيث إنه تاجر يزن الأمور من جميع الزوايا ثم يعترف لزوجته عن حقيقة كانت خافية عنهم سنين طويلة .. فالأم ترفض عليا لسبب واحد .. أنه بيسرى غير أصيل .. وذلك حينما عجزت أن تجد مبررا آخر . فالردود كانت متلاحقة . وهاهى قد عثرت أخيرا على عقبة لن يكون لها رد . ولكن الأب يقولها صريحة ردا على زوجته . برغم معارضته هذا الزواج لا لشئ إلا للمعارضة :

حمود : احنا شاحسن منهم فيه .. ؟ مال .. عندهم مال .. عيال .. عندهم عيال.. إحنا أوادم وهم كذلك .. ماأشوف فرق إلا إنى أصيل وهم بياسر بدون سبب .

هذا الاعتراف من جانب الأب يصيب الأم بإحباط .. فهي التى رجت من ورائه مساندة لها في صد هذا الطوفان الذى سيجترفهم إلى القاع وهم السادة المتأصلون . ومن هذا المفهوم تتجسد النظرة الطبقية التى مازالت تسيطر على البعض من شعب الكويت والذين يرفضون أن تختلط دماؤهم النقية بدماء غريبة حتى لاتضيع هيبتهم التى يعيشون لها وبها .

ترى الأم كيف أن الأب قد ساوى في حواره بين المواطن الأصيل صاحب الوطن وبين الدخيل الذي وفد لكى يستقر وتصير له نفس الحقوق . وهذا بالنسبة لها مرفوض مجرد الخوض فيه ، على أن الأب حينما عمل فكره توصل إلى هذه الحقيقة . وهاهى العاطفة تجد هذه التجربة والتفرقة عقبة لنموها من خلال هذا المفهوم الذى سيطر على سكان الكويت القدامى الذين عاصوا فترة الانتقال من حياة الصيد إلى مابعد ظهور النفط والانتعاش الاقتصادى .

يعترف الأب بهذه الحقيقة ويأبى تنفيذها . فهو مازال معارضا هذا الحب الذى سيتحول إلى زواج لا لشئ سوى خوفه من أفراد عائلته الذين سوف يدينون هذا التصرف.

نرى ذلك من الحوار الذى يدور بينه مع الأم وموضى بعد أن حاول إرضاء الابنة فى التخلى عن مساعد ابن العم أيضا ، ولكن هذه المرة فهو « سليمان » وهنا يكون الأب قد قدم تنازلا كبيرا فإن مساعد ها قد سبق أن تعهد أن يزوجه ابنته وهو الآن ومن أجل مصلحة ابنته وبالرغم من رفض زوجه يوافق على نقض عهده معه ورفضه ولكن بشرط أن يكون البديل ابن العم أيضا ، وهو يختلف عن الأول ولاتعارض الأم .. فهى ترى أن سليمان يساوى مساعد فى الأصل ، وينتظر الأب رد ابنته على هذه الصفقة . ولكن الابنة التى أحبت بصدق . تأبى أن ينتزع منها هذا الحب . فهو قد أصبح جزءا منها وانتزاعه معناه النهاية بالنسبة لها . ولكن الصراع يصل قمته مابين الأب والأم وقد حاصراها وضيقا عليها الخناق وهما ينتظران ردها والآن دون إمهالها فرصة للتفكير :

موضى : زين يابا .. لاتتهاوشون على .. سليمان ولد عمى والنعم فيه .. وإذا إنت ترضى أتزوجه من غير موافقتى أنا راضية .

حمود : من غير موافقتك لأ .. حشا وأنا أبوك ماأسويها هذه ظليمة مايرضى فيها ربى .. وهم أزوجك لبيسرى لا هذه عيلة مايرضون فيها أهلنا كلهم .

تحسم الابنة الأمر ولكن بدهاء . ويعجز الأب فى إدانة موضى . لقد وصلت إلى نقطة صارفيها الاختيار اجباريا ولابد لها أن تهدئ من الموقف الذى اشتعل بين الأب والأم وبسببها ، وتعرض نفسها للأب كى يتصرف فيها كيف يشاء ولن تعارض هذه المرة ولكن ذلك باعترافها سيكون ضد رغبتها وموافقتها . فقط ستطيع الأمر الصادر من الأب وله أن يفعل مايراه . توافق وتعلق هذه الموافقة مما يجعل الأب مترددا ، فهو رجل نشأ فى أحضان الديانة الذى لاتبيح هذا الزواج المبنى على عدم موافقة الزوجة .

وهو فى هذه الحالة لايمكنه الوصول إلى داخلها كى ينتزع منها هذا القرار الذى اتخذته . وعلي ذلك يقر لها بعدم اتمام هذا الزواج . ولكنه يضيف أيضا رفضه لاختيارها من بيسرى لتعارض ذلك وعرف العائلة . ويكون قرار موضى الأخير هو الإضراب نهائيا عن الزواج سواء من على أو سليمان أو غيره . وبهذا القرار لن يستطيع أحد أن يجبرها على الزواج ، وبذلك تكون من جانبها قد حافظت على الحب من أن يمسه أحد .

ويستمر الحوار حتى يصل إلى صدام مابين الأب وابنه من أجل موضوع الحب والزواج الذى أثارته موضى ، ويكشف الأب مابداخله . فهو يرى أن الفوارق الطبقية مازالت لها صدى مؤثر وأنه لايستطيع أن يكون هو البادى لكسر هذه الطبقية . لأنه لايأمن عاقبة هذه الفعلة وأثرها من بقية أفراد هذه الطبقة . برغم أنه يؤمن تماما بأن موضى علي حق ولكن يوجد جدار يمنع هذا الاتصال . وهو يخشى كسره حتى لاينهار عليه . وتكون النهاية بمعنى عزله عن طبقته التى يستمد منها المكانة والقوة . يقول ذلك بصراحة لابنه :

حمود : أقولك .. أكو شئ واحد يردنى لا أزوج موضى لعلى مو البياسر ولا كل هالخرابيط .

فارس : شنهو .

حمود : نضيع احنا .. يتبرون منا أقاربنا .. يعادونا كلهم .. يابوك نساير الوقت

فارس : يعادونا ولا يرضخون للأمر الواقع .

حمود : عاد إشحقه تدخل فى بريسه وحوسة مااحنا حنامتها .. احنا خلينا نشوف اللى مثلنا ومن أصلنا يأخذون .. احنا نخد مااحنا خلاف .. بس إلى الحين هذى ماصارت

فالأب هنا يحسم الأمر بوضوح مبينا للابن أن الذى إختارته الابنة وهو عليالايعيبه شئ وهو من داخله لايرفضه . يقولها فى هذا الموقف بعد أن راوغ كثيرا فى المواقف السابقة . ورأى أن يصارح الابن المثقف بالحقيقة التى لم يعترف بها من قبل ، وهو خوفه من الأهل حتى لاينبذوه وهو القوى بهم وربما الغنى أيضا . فهل هو مستعد أن يضحى بمكانته الطبقية والمادية فى سبيل تلبية رغبة ابنته ؟ لا .. وهذا وضح من حواره . فهو يعرف تماما أن الأهل سوف يحطمونه وأن عليه أن يساير الوقت الذى يقر الواقع ويرفض التغيير .

وبالرغم من أن الابن بذكاء يحل له هذه المشكلة فى جملة واحدة . فهو يهون عليه الموقف بقوله « يعادونا ولايرضخون للأمر الواقع » إن الابن كان من البداية سندا لموقف الأخت حتى أن الأم تستنكر موقفه . ولكنه بتفهمه للواقع المعاش لايجد حائلا فى ارتباط موضى بعلى مادام الحب قد ألف بين قلبيهما . ومن هذا المفهوم تكون إجابة فارس على أبيه بأن الموافقة تعنى وضع الأهل أمام أمر واقعى ربما يكون أساسا وقدوة لمن يريد أن يقتدى من الأهل . وهذا رأى صائب إذا أراد المرء أن يتحمل نتيجة عمله دون الارتباط بآخرين مادام مقتنعا به . ورغم أن الأب يوافق رأى الابن لأنه لايرفضه بل يكون متحفظا . فهو لايريد أن يفتح بابا لايأمن مابداخله حيث ينهي الحوار في هذه القضية التى أشعرته بالعجز .

وفى النهاية تتسلم موضى رسالة من على دون أن تتخذ قرارا تجاهها حتى ينهى الكاتب المسرحية معلقا المشكلة .. تاركا إياها ليكون الحكم للمجتمع .

ومن خلال هذه المسرحية تبرز الصورة تماما التى ركزت على مشكلة الحب

والارتباط . وطرفا المشكلة تفصلهما مسافة طبقية لاتسمح لأحدهما أن يعلو ليصل .. ولا للأخرى أن تهبط لتضيع لينتصر عرف الماضى على واقع الحاضر .

أما مسرحية ضحية بيت العز لحسين عبد الرضا والتى عرضت عام ١٩٧٥ فإنها تصور الفتاة الكويتية التى عاشت فى النصف الثانى من القرن العشرين ، أى فى عصر التطور والتقدم الذى تسابقت دول العالم الثالث للحاق به فى كل ميادين العلوم والحياة . نخص هنا دولة الكويت التى خطت بخطى واسعة ونهضت فى هذه الميادين . ولسنا هنا بسرد تقييم للإنجازات . ولكن الواقع أن المرأة الكويتية نالت من الحقوق ليس أقل من بقية أفراد جنسها فى معظم بلدان العالم مع الحفاظ على الجانب الدينى . أعطى المرأة حق ابداء الرأى قبل إتمام الزواج ، وإذا قلنا أن العالم تحضر وتطور وأصبح للمرأة رأى في كثير من الأمور فإن الدين هنا قد سبق العالم في حسم هذه القضية . ولسنا هنا أيضا بصدد عقد مقارنات ولكن للحقيقة أردنا التلميح بكلمة كى تكون مدخلا لهذه القضية وهو الحب . إذن فهو معترف به لأنه عاطفة سامية إذا احسن الاختيار ومدمرة إذا أسئ .

فى المسرحية السابقة يبدو الحب محورا لأكثر من حدث وأكثر من قضية، فالحب واضح فى علاقة الأب « أبو طبر » وسكرتيرته الحسناء « عفت » والذى يثمر فى الحرام وتكون نهايته طرد المرأة حفاظا على سمعة هذا الرجل الذى حصل على كل شئ بالمال . وليس الحب هنا هو الذى كان رابطا بين رجل الأعمال أبو طبر وسكرتيرته الحسناء عفت والتى لم تكن كويتيه .. كما ذكر بالنص . ومن خلال حوارها أيضا .. ربما تم التعارف باسم هذا الحب من الجانبين والذى تغلغل فى نفسيهما ولكن من الواضح أنه حب مزيف . فليس الحب سلعة تشترى . إنه عاطفة ، والعاطفة لاتباع . إذن فالرابط بينهما كان المنفعة . الرجل يريد اشباعا حرم منه فى منزله . وها هو أمامه فريسة سهلة إذا دفع الثمن أو على الأقل أعطى وعدا بالدفع . وهى بدورها قد أتت إلى هذا البلد بحثا عن حياة أفضل أو عن عمل يهيئ لها حياة ومستقبلا أحسن مضحية بالكثير وتجدها فرصة سهلة دون أن تتعب فالثروة التي تمنت جزءا منها ها هى أمامها اذا ملكت صاحبها وهى لاتتوقع أن يكون هذا الصاحب ذئب لايؤكل بل هو الآكل دائما . هذا نوع من الحب والتسمية هنا مجازا . مايهمنا أن هذا الرجل قد أحل شيئا سوف يحرمه على الغير ، وهذا الغير يكون الحب مشروعا وحقا لها بحكم السن والوقوف على أبواب المستقبل ..

مستقبل ابنتيه : هيفاء الفتاة المدللة والتى تمر بسن المراهقه دون رقيب إذ أنه لا وقت للأبوين للملاحظة فهما مشغولان باستمرار فى ممارسة هوايتهما كل حسب ما ارتضى . ثم الأخت الكبرى « طيبة » التى عرفت طريق الخير والصواب وقد عبرت السن الحرجة بسلام.

وطيبة هذه ابنة رجل الأعمال أبو طبر . والأم سيدة مجتمع تعودت على سهرات خاصة تجمع سيدات من شاكلتها يقضين وقتهن أوليلهن تحت ممارسة هواية لعب الورق أملا فى الحصول على كسب سهل يضيف إلى رصيدهن حجما أكبر . حيث تكون النتيجة فى الغالب خسارة سهلة أيضا ، والأب سبقت الإشارة إليه فهو رجل الأعمال الثرى والذى جمع ماله بشتى الطرق واختار له خليلة وجد عندها مالم يجده فى بيته فآثر قضاء وقته عندها . وكان بيته بمثابة مأوى وقت النوم لا أكثر . والابنة تعيش فى هذا البيت الواسع بمفردها مع خادم وأخت سوف نتعرض لها فى حينه . أخت قد اتخذت واختارت طريقا آخر لايقل خطورة عن طريق الوالدين . آذن فطيبة هنا هى الوحيدة فى البيت التى تكون انسانة سوية يبرز من خلال تصرفاتها وحوارها مفهوم الخير والفضيلة . ولكنها أنثى فى سن الشباب . هذا الشباب الذى يفرض علي الإنسان سلوكا معينا لم يكن في حسبانه سنين مضت .. وهذا السلوك هو الميل إلى الجنس الآخر والتفكير فى فتى الأحلام ومواصفاته . وإن مجرد التفكير فى شئ لاحرج فهو حرية تنبع من الذات ولاتعرف إلا بالمصارحة إذن فطيبه رغم استقامتها فى منزل مصدع كان لابد لها أن تفكر أو أن تستحسن . ولطبيعة تكوينها فهى قد ارتضت واختارت .. ولكن هذا الاختيار لم تبح به سوى بالإشارة أخيرا . فقد ارتضت ذلك الرجل « سيف » الذى يعمل عند والدها ثم أصبح مديرا لأعماله .. وذلك بحكم تردده على البيت ، وإذا تم التساؤل لماذا هذا الرجل بالذات ؟! فإن الإجابة متضمنة فى المقدمات التى تم توضيحها من خلال شخصية طيبة . فهى ملتزمه لاتخرج ولم تلتق برجال . ولم يذكر من النص أن لها أقرباء . فهذه اذن هى الفرصة الوحيدة التي مثلت أمامها . وعلى ذلك ارتضتها لنفسها دون أن تتوقع النتيجة فكان هذا حبا من طرف واحد هى طيبة . ولكن ربما يتحقق في ذلك المثل الشعبى في مصر : « الطيور على أشكالها تقع » يكون سيف الذى التقى بفتيات كثيرات بحكم عمله وأخرهن كانت سكرتيرة أبو طبر والذى حاول الأخير أن يزوجها لسيف حينما وجد أن ثمرة الجريمة بدأت تنضج وتظهر حيث كان الرفض هو رد سيف . فهو كذلك قد ارتضى

واختار وأصبح الحب هنا قد استكمل شرطه وهو رضاء الطرفين .. وتنتظر طيبة من سيف أن يخطو الخطوة الأولى أو الأخيرة طالبا يدها من الأب . فهى بحكم نشأتها ليس لها حق التصريح فى مثل هذه المواقف . وتكون هنا على العكس من هيفاء الأخت الصغرى وفى نفس الموقف .. ولكن سيف يكون قد سبق وتكلم مع الأب الذى أبدى اعتراضه الشديد لعدم التقارب الطبقى والمادى .. ولكن الحب الصادق يجعل الرجل يكرر المحاولة أكثر من مرة .. وكان يقتنص الفرصة ليعاود الطلب . والحوار التالى يبين ذلك :

سيف : علشان جذيه ياعمى أن شفت أن طيبة هى البنت اللى تناسبنى .

أبو طبر : (بغيظ) قلت لك لا تكلمنى بهذا الموضوع ..طلبك مرفوض ودير بالك تلعب بمخ البنت .

سيف : ياعمى أكو واحد يقدر يلعب بمخ طيبة .. هذه إنسانة فاضلة رقيقة ورزينة.

إذن فقد سبق لسيف هذ الطلب أكثر من مرة وها هو الأب يحذره من أن يفاتحه فى هذا الموضوع وأنه لأكثر من مرة نهاه عن الخوض . فى الكلام بهذا الشأن . ومع ذلك فإن هذا الحب هنا موجود بين الطرفين ولا ينقصه سوى إعلان الارتباط لولا هذا الرفض . ومن خلال حوار الأب وتهديده لسيف خوفا من تأثيره على عقلها تكون الشهادة من سيف فى صالح الابنة والتى ترفع من شأنها . فلا خوف على مثل هذه الفتاة التى تملك من الخلق ما يجعلها فى حصانة منيعة . ويرفض الأب باسم عدم الأهلية لذلك الزواج ، ويكون سيف غير يائس وهو المطمئن أن هذا الحب الذى يكنه لطيبة قد وصل إليها . ولكن الحياء هو الذى حال دون وصول الرد إليه . وحيال هذا الموقف لا يكون للفتاة دورا إيجابى حيث إن ذلك هو السائد فى الطبقات المحافظة . ولكن الرجل لا ييأس ويحاول ويلتقى بطيبة فى البيت كعادته وهو ينهى بعض الأعمال ويكون الأب قد أنهكه التعب فيذهب لينام والأم خارج المنزل كعادتها .. وهيفاء الأخت الصغرى لا يعرف أين هى .. إذن فهى وحدها وتلتقى بسيف والخجل يكسوها والحياء يسيطر عليها وعلى الرجل :

(سيف منهمك فى العمل مفكرا .. وبعد برهة تظهر طيبة فترى سيف دون أن يراها وتتقدم منه وتنظر إليه دون أن يشعر هو بها) .

طيبة : الله يعطيك العافية .

سيف : (ينهض بكل احترام ) أهلا طيبة .

ويستمر الحوار الذى تصل فيه طيبة بأن تعد سيف بأنها سوف تكلم والدها لكى يحصل سيف على حقوقه فى العمل . ولكن سيف يقاطعها :

سيف : لا يا معودة .. لا تنبشين الوالد .. إذا عندج نية تكلميه كلميه على الموضوع اللى بالنسبة لى أهم من السفر ومن الفلوس .

(طيبة تفهم مقصد سيف وتنظر للأرض خجلا)

على العموم أنا اليوم كلمته وللمرة الثالثة حول الموضوع وكل مرة يرفض .. الظاهر ياطيبة إحنا مالنا نصيب لبعض .

طيبة : ليش .. ليش يا سيف .

من هذا الحوار يتبين مدى الحب المتبادل بين سيف وطيبة ، ومن الكلمات المكونة للحوار نجد أن هذا الحب لم يكن نزوة بقدر ما كان عاطفة صادقة . فهما ينشدان لهذا الحب النهاية الطبيعية التى تجمع بين الطرفين برباط مقدس كى يثمر هذا الحب حياة أرادها الله لاستمرارها . ولكن العرف والتقاليد كانا مانعا لذلك . والأب هنا كان الأداة المنفذة لهذا العرف وهذه التقاليد .. وكانتَ النتيجة التى اختتم بها الكاتب مسرحيته حيث أن سيف يلتقى بأكرم فى غرفة نوم هيفاء ويقتتلان . ويسمع طلق نارى .. ينقل الخادم الخبر بأن سيف قد قتل ولم ينطق أحد من الحاضرين بكلمة واحدة سوى طيبة التى تقول :

طيبة : مات سيف .

هذا ما قالته لاغير .. وبرغم أن القتيل لم يكن سيف بل كان أكرم ولكن هذا ما سمعته طيبة « تقول مات سيف » وتسكت وذلك يعنى كثيرا ، فيمكن أن يكون سكوتها هذا دليلا على عدم مقدرتها فعلا على استكمال الحوار . فهو نبأ مؤلم تلقته بعد أن شيدت آمالا كثيرة للحب الذى سيطر عليها . وربما كانت ستحاول أن تقنع أحد الوالدين فى هذا الموضوع . ولكنها النهاية التي بها يموت الحب داخلها أيضا . ويمكن أن يكون الحياء قد منعها أيضا من أن تواصل بقية حوارها والتى لابد أن تعترف فيها بحبها

له . لأنها من المنطق حين قالت «مات سيف» أى أنها لابد أن تعرف هذا الرجل أى من هو بالنسبة لها . فكان لابد لذكر من يكون سيف هذا فى الكلمة التالية . لكنها لم تقلها ولم يقو لسانها من ذكرها خجلا وحياء حتى فى تلك اللحظة التى تكون فيها النهاية .

هذا مفهوم للحب أثاره المؤلف من خلال شخصية طيبة وسيف وشارك الأب فى الحوار الذى أحل لنفسه ما حرمه على ابنته .

والشق الآخر من مفهوم الحب فى ذلك العمل نراه من خلال شخصية هيفاء التى تكون على أول طريق النضج والمراهقة فى غياب الأبوين برغم وجود الأخت طيبة معها فى كل تصرف تقوم به . إلا أن هيفاء لا تقنع بنصيحتها وتؤولها لأكثر من معنى ، فمن حيث إنها أى هيفاء أصبحت ناضجة فلا يحق لأختها أن يكون لها سلطان عليها ، وكلمات الإرشاد هذه تعدها تطاولا وتدخلا فى حياتها، وهى التى أصبح لها كيان مستقل وشخصية ليست أقل منها بل تزيد . ثم إنها ترى فى نفسها مساواة لأمها بل وإن الفرصة الآن أصبحت من حقها . فالحياة تكاد تفتح ذراعيها وهى فى أول سلم المستقبل التى قطعت منه الأم أكثره .

هذا المعنى يمكن أن يكون قد وصل لهيفاء . أما المعنى الآخر فهى ترى فى نفسها الفتاة الجميلة العصرية غير المتخلفة والتى تعيش حياتها كاملة وأن علاقتها بشاب لاغرابة فيها . بل وهناك غيره وغيره . أى أنها فتاة مطلوبة يهتم بها الكثيرون . وفى نفس اللحظة ترى فى أختها الفتاة المنطوية المتخلفة والمحافظة فى وقت تفتحت فيه الدنيا بأسرها وأصبحت المساواة تنشد لذاتها ودون تفسير . وأن الأخت الكبرى ربما أرادت من وراء ذلك النصح كسر حدة الغيرة منها فهى لم تسمع بالطبع عن مغامرة واحدة من أختها . وها هى ابنة المغامرات والانفتاح الذى لا يحده شيء . ألم يكن ذلك كافيا لأن تحقد عليها هذه الأخت الرجعية . ربما ذلك ما دار فى فكرها . وعلى أى الأحوال فإن كان المعنى هذا أو ذاك . فإن ذلك كاف بأن يجعلها لا تقنع بهذا النصح ولا تعمل به . يتضح ذلك من الحوار الذى يدور بين هيفاء والأم حينما تطلب الأولى نقودا كعادتها دائما .. دائمة لطلب المال الذى لا يعرف فى أى وجه ينفق .. ولكن الأخت تعلم عنها كل شىء، وعندما تسأل الأم عن مصير هذه الأموال وفى أى شىء ينفق لا ترد هيفاء بالطبع ولكن تبادرها الأخت يقولها :

طيبة : آنا أدرى يمه اشتبى بالبيزات .

هيفاء : إنتى موشغلج .

طيبة : لأشغلى .. أنا أختك الكبيرة وأعرف أن اللى قاعدة تسويه غلط (تأخذها جانبا) هيفاء ياحبيبتى .. أنت بعد صغيرة .. لازم تديرين بالك على نفسك .

هكذا يكون ذلك بداية لطريق مفتوح على مصراعيه ، أمام رغبات متناقضة ، يقع اختيار هيفاء على أحداها دون تدخل من أحد .. فالأب والأم كل فى شأنه تاركين ابنتهما فى بداية طريق يكون الاختيار فيه بإرادة إثبات الذات التى لاتزال فى مهدها ، فالفتاة تريد أن تقول هأنذى . ولاثبات ذلك فلابد من ارتياد هذا الطريق المفروش بالورود والذى تمارس من خلاله عاطفة مع إنسان يختلف تماما مع الذين تعاملت معهم وبادلتهم هذه العاطفة . فقوة الجذب هنا تكون أكبر من سابقتيها . وإذا خاضت هذا الطريق فالرجعة تكون من الصعب ، وفى الأغلب الأعم أن هذا الحب المبكر قلما يستمر إلى النهاية إذا كان بهذا الشكل ، والدليل على ذلك أن هيفاء تنتصر على الأم والأخت معا وتحصل على ما تريد رغم علم الأم ، وتمارس الفتاة هواية الحب مع «أكرم » عامل المصبغة .. ولسنا هنا بصدد تحليل لموقفه الغامض سوى تصريحه بكلمات قليلة بأنه يريد أن يتزوجها وهو يعرف عنها الكثير . وهى بدورها تمطره بهداياها المتلاحقة وجرأتها التى تفوقت بها على أختها طيبة . فهى تكاد أن تعلن هذا الحب صراحة بل تكون قد أعلنته بالفعل من خلال شرائها لهذه الهدايا ، ومعرفة الأم ذلك مستنكرة ما يحدث ولكن بأسلوب ضعيف غير مقنع لا يؤثر فى سامعه . ويتطور هذا الحب من طرف واحد وهى الفتاة التى سلكت طرقا محرمة من أجل أن تحيا ولو لوقت تصير داخل دائرة هذا الوافد الغريب الذى وجدت فيه لذة لم تطعمها من قبل حتى أنها لأكثر من مرة كانت تستدعى فتى أحلامها فى منزلها فى أوقات متأخرة من الليل بعد أن تبعد الخادم خارج البيت ، وتكون قد اطمأنت بأن أختها قد نامت ، أما الأم والأب فموعدهما عند الفجر أو يزيد ، وعلى ذلك كانت اللقاءات المتعددة كما جاء على لسان الخادم نفسه .

عنبر : شمسوى فى عمتى هيفاء .. كل ليلة الساعة ١٢ تشتهى شىء وتقعدنى من النوم وتطرشنى .

هكذا كان تصرف هيفاء فى ممارستها هذا الحب . وهى هنا تعد عكس الأخت طيبة تماما فى الاختيار والتصرف والمفهوم وفى كلتا الحالتين لم يكن للوالدين بصمات فى حياتها . بل إن الأب مع أبنته طيبة كان بمثابة السد المنيع الذى حال بين تحقيق حلم طالما راود الطرفين . وها هى الابنة الثانية تخوض تجربة لايعلم الأب عنها شيئا ولو علمها فلن يباركها حيث إن التقاليد أعطت الرجل هذا الحق وبإسهاب ، وحرمته على المرأة ولو لمجرد التفكير . إذن فلا طريق سوى السرية التامة حتى تصل إلى النهاية وليكن ما يكون . هكذا كان تفكير هيفاء ، وربما تكون قد وصلت بالفعل إلى طريق النهاية الذى يتحتم عنده إتمام الزواج ، وفى حوار مع الأم تصارحها بذلك بل وتتمسك برأيها برغم معارضة الأم بشدة :

هيفاء : يمه أكرم جه وخطبنى .. يمه أنا أحبه وهوه يحبنى .. يمة أنا أكلمج جد .. وأنا أيبج تســاعدينى وتكلمين أبوى . يمه تســتطرد بعـد معارضـة الأم – يمه أنا أحبه .. أحبه .

هكذا تصل هيفاء فى حوارها إلى التصريح والتمسك بهذا الحق دون أى تنازل، والأم لا تستطيع أن تفعل شيئا لتهدئة الموقف . وتتطور الأحداث إلى أن تصل لمشهد اكتشاف أكرم داخل غرفة نوم هيفاء . وتدور معركة بينه وبين سيف مدير أعمال الأب لتنتهى بقتل أكرم ويكون سيف هو القاتل .

« يظهر سيف ساحبا أكرم الملطخ بالدماء وتسقط هيفاء مغمى عليها وتمسك بها أختها وتخرجها بمساعدة عنبر » .

وبهذه النهاية تكون هيفاء قد عاشت قصة حب أو هكذا خيل إليها . ومما سبق تبرز لنا صورة المرأة من خلال شخصيتين هما طيبة وهيفاء وإن اختلف أسلوب الحب ولكن النهاية واحدة .

أما فى مسرحية المخلب الكبير لصقر الرشود والتى عرضت عام ١٩٦٥ فتتعرض لصورة أخرى تختلف تماما عن سابقتها فى مسرحية ضحية بيت العز . وهى صورة للفتاة التى تنشر الحب بل تعيشه بدءا من المهد . وينمو هذا الحب بداخلها مع السنين ويتملكها مسيطرا على كيانها . ولكنها لا تقوى على أشهاره فى بيئة قد حرمته وأبت أن يدخل

دورها . برغم أن الطرف الآخر ليس بغريب بل يكون ابن العم . وبرغم تمسك البيئة بحق الزواج من أبناء العمومة إلا أن الأب هنا يرفض مجرد الخوض فى هذا الحديث بسبب أن سلوك ابن العم لا يرضيه . والكاتب هنا يتعرض لقضية من أخطر القضايا التى عاشها ويعيشها بقدر ضئيل بعض الأسر فى البلاد العربية والتى تصر على التمسك بالعادات والتقاليد الموروثة مهما أدت إلى نتائج .. إبان حقبة من الزمان لم تكن هذه البلاد قد انفتحت على العالم بثقافته وتطوره .

ويدير الكاتب الأحداث من خلال أسرة فى المجتمع العربى حيث مشاكلهم العائلية التى يؤيدها البعض ويرفضها البعض الآخر كل حسب تكوينه الثقافى ، والأسرة مكونة من الأب والأم وأبناء ثلاثة ورابعتهم فتاة .. فالأب يختلف تماما عن الأبناء وهو الذى يصر على فرض عادات وتقاليد نشأ هو وتربى فى ظلها مع أبناء اختلفوا تماما فى نشأتهم وتكوينهم بل وثقافتهم عنه تماما . ومع تدين الأب يرفض كل ما هو جديد مهما كان . متزمتا فى رأيه رافضا للحوار ، فما يراه حسنا فهو حسن وفيما عدا ذلك فهو الخطيئة بعينها . يختلف الأب مع أبنائه ومنهم منيرة التى لعبت دورا محوريا فى هذا المجال . يصر الأب أن يزوج هذه الابنة لرجل يكبرها سنا غير مقبول شكلا ولكنه يستحسنه لأنه رجل متدين يعمل بمسجد . وهذا هو الخط الذى يقبله . ويفضله على ابن العم الذى ارتبطت منيرة به منذ الصغر . أحبته صغيرا ونما هذا الحب بداخلها . ولا تقوى منيرة على الاعتراض سوى لأمها التى لا تستطيع بدورها فرض رأيها على الأب .

يعلم ابن العم الذى لا نراه طوال النص ولكنه محرك أساسى فى المسرحية ، يعلم وهو الشاب الغنى الذى يعيش حياته كبقية الشباب فى لهو وشرب ، وهذا قبل أن يرتبط بحياة أو يحمل مسئولية . لذلك السبب كان رفض الأب له خطيبا لابنته برغم حبه الشديد لها ولا يقل عن الحب التى تعيشه الفتاة . برغم وعوده المتكررة بأن يقلع عن كل سلوكياته فور إعلان الخطبة . ولكن الأب لايعطيه هذه الفرصة . ويسوء حاله حتى يقتل فى حادثة أثناء قيادته السيارة فتموت الفتاة عند سماعها هذا النبأ . ولكن موتها لم يكن موتا حقيقيا ولكنه موت داخلى .. حيث ينتهى بها الأمر إلى الجنون ثم ارتكاب جريمة القتل دون عمد . وهكذا تنتهى قصة هذا الحب الذى ملك أمر هذه الفتاة . ولنتطرق للنص حتى يمكن أن نخرج بالصورة الواضحة من خلال الحوار الذى يؤدى إلى هذا المفهوم .

ففى الحوار الذى يدور بين منيرة الابنة وسارة الأم بعد أن تعلم بقرار والدها عن اتمام الزواج من صالح ذلك الرجل التى لا تتقبله ولكن الأب قد أعطى قراره:

منيرة : (وهى ماتزال منتحبة تسند على صدر أمها) يمه ارحمينى يمه ما أقدر أعيش وياغيره .. أبى ولد عمى يمه .. ما أبى صالح ما أبيه (تنظر إلى أمها وبصوت هامس : ساعدينى ارحمينى .. الله يخليكى .

سارة : أنا مثلك مرة .. وما بيدى حيلة .. الرجاجيل يظلمونا ويسوون اللى يبون واحنا نشوف .. ما عندنا غير إنا نسكت .

هكذا تعترف منيرة بحبها ولكن للأم التى لا تملك مثلها تماما سوى السمع والطاعة مهما كانت النتيجة . ربما كان ذلك مقبولا من قبل ، وربما تكون هى أى الأم قد تزوجت بهذا الاسلوب . بل نقول أنها بالفعل قد تزوجت بهذه الصورة التى لم يكن يتبع غيرها ولكن ذلك قد حدث منذ سنوات طويلة . حيث الحياة تختلف تماما عن تلك الحياة الجديدة.. منيرة تصرح لأمها ولا تملك سوى الدموع تتوسل بها وتستند على صدر الأم حيث الطمأنينة وعدم وجود الحاجز ، وذلك بعكس الأب الذى تجد فيه سدا منيعا يحول بين تحقيق حلمها الذى عايشها سنين طويلة تلجأ إلى الأم كى تجد لها مخرجا ، من ذلك المأزق الذى أوجده الأب بسهولة وبقرار غير عادل ، ولكنها لجأت إلى ضعف كى يحميها من قوة وبطش، فلا فائدة ، من خلال هذا الحوار القصير يتضح كيف أن الفتاة تحمل بين جنباتها حبا عنيفا تود أن يستمر ولكن الأب بقراره هذا يبتره من الجذور . وتأبى منيرة إلا أن تدافع عن هذا الحب الذى أصبح جزءا من حياتها . فهى تقول فى نفس حوارها مع الأم وبوجود وليد أخيها الأوسط والذى يعد الوحيد من إخوتها الذى يتعاطف معها ويعيش مشاعرها حيث كانت تسعد دائما بلقائه وتبوح أمامه بأدق أسرارها :

منيرة : ليش ما تخلونى أنطلق وأعيش بعالم واسع .. أنا إنسانة بذمتى إنسانة.. اشوفو شكلى .. شوفو اللى بصدرى مشاعر ناعمة وحلوة .. فيها لون الورود (تبكى بكاء خفيفا).

لقد سيطر الحب على مشاعرها . فهى تتكلم خوفا من النتيجة العكسية التى تخالف هواها . فإنها فى ظل هذا الحب تشعر براحة من داخلها ملؤها الأمان وهى تعترف

بذلك . على أن هذا الإحساس لايشعر به إلا من يعيشه . وعلى الرغم من ذلك فإنه يمكن أن يعكس المظهر صورة هذا الإحساس أو موته بداخلها لأن العاقبة لن تكون مرضية ، ومابكاؤها إلا استعطافا وخوفا أولا على حبها المتأصل .. وثانيا من هذا الحب الذى يمكن أن يكون ثورة تطيح بمن يقف أمامها . فهى الوحيدة التى تشعر بقوة هذا الحب الذى لم يكتمل بين عشية وضحاها . لقد عاشته وليدا .. وها هو قد كبر . وليس من السهل القضاء عليه هكذا بقرار .. أو كلمة .. ورغم ذلك فهى لاتملك الاعتراف إلا من خلال الأم أو الأخ وليد .

وتستمر الأحداث حتى تلتقى بأخيها الأكبر الذى يشكل فى حياة الأسرة الفساد . فهو الطاغية الذى لا يحده شىء .. ليس له كبير حتى والده .. يخشاه أخواه .. ورغم ذلك تعترف أمامه منيرة بهذا الحب وتقر أمامة بقوتها وعدم خشيتها لأحد ما دامت تستمد ذلك من الحب .. فهى تتكلم بدافع هذا الشعور الذى حطم القيود وتلاشت أمامه الحواجز فيكون ردها على أخيها «خليفة» :

منيرة : (متأثرة) أنا ما أخاف من أحد .. ما أخاف منك .. الحب بقلبى ودمى .. وأهو الخيال الجميل اللى ما يفارقنى .. ولد عمى

خليفة : ما جاكم اليوم ؟

منيرة : ما جانا من مدة أسبوع .. أنا دايما أشغل نفسى بأى شىء لكن صورته وخياله ما يفارقونى دقيقة واحدة .

وهكذا تتسع دائرة الاعتراف لتشمل أخاها خليفة الذى لم يكن له ميل إلى ابن العم لأسباب مادية .. منها فارق الثروة الذى شعر من خلالها بعجز أمامه مما جعله يحقد عليه .. كذلك فقد كان يطمع فى سلبه بعضا من هذه الثروة بطريق القرض . وبرغم معارضة خليفة للأسباب السابق ذكرها .. لكن الموقف يشتد وضوحا .. فها هى منيرة قد أعلنتها صريحة أنها تحب ولا ضرر فى ذلك . فلو كان هذا الحب إثما أو عارا لما اعترفت به هكذا أمام الأخ الذى يخشاه الكل . ولم تعترف بهذا الحب فقط بل زادت على الاعتراف بتقرير عن حالتها فى وجود هذه العاطفة . ولم يقف تأثير الحب عند ذلك الحد بل تعداه بكثير . إن هذا الأخ العنيد بعد أن يدور حوار بينه وبين منيرة فى وجود وليد،

الأخ الأوسط والذى يقف دائما بجانب أخته ، يصل الأمر بخليفة إلى تضييق الخناق على أخته كى يحصل منها على اعترافات تكون دافعا فى أن يفعل بمن فى البيت كما يحلوله، وكى ينتقم من ابن العم « ناصر » الذى بخل عليه بخمسين دينارا . وبرغم أنه لايتفق مع أبيه إطلاقا .. لكنه الآن يوافقه فى زواج أخته من صالح راعى المسجد ويفضله على ناصر .. وذلك لمجرد أنه لايتقبله .. تقولها منيرة مرة ثانية ولكن بإيقاع لايدع مجالا للشك . وبرغم تفوق أخيها وتهديده الذى لا رحمة فيه وقد أجمعت شجاعتها:

منيرة : ( متشجعة ) ولد عمى بيدخل بيتنا .. بيدخل .. ماأحد بيقدر يرده .. كلما اشتقت إليه أناديه .. كل ساعة بشوفه اللى يحاول يطرده أوشه برجلى « تبكى » .

خليفة : تقصدين أنا يادنيئة .

منيرة : أهنو أحسن منك

خليفة : أيا الخاينة

منيرة : نظرة وسخة

خليفة : حب .. انت تطلع منك

فى هذا الحوار يكون عنصر التكافؤ ضعيفا إلى درجة كبيرة .. فخليفة هو رجل البيت مع والده لأنه الأخ الأكبر .. وابن العم لم يكن ذا منزلة تذكر بالنسبة له بل كان مذموما .. إذن فأكثر من سبب يجعل الأخ فى موقف المهاجم المستمر . ثم أن منيرة فى موقف ضعف إلى أبعد الحدود . فهى المرأة التى تحمل على عاتقها شرف هذه العائلة وعليها السمع والطاعة حتى تصل إلى بر الأمان . وذلك بعكس الرجل الذى يقع عليه الاختيار من قبل الأب أو الأخ الأكبر فهما وليا أمرها والأمر هنا لهما ولاشريك فى ذلك.

ثم إن الفتاة تحب . وهذا وحده جريمة فى العرف . ومن تحب ؟ ابن عمها المرفوض من الأب لأسباب .. ومن الأخ لأسباب أخرى تختلف تماما . فكلاهما له نظرة تختلف تماما عن الآخر ولكن يجمعهما هدف واحد . وهو الرفض لذلك الشاب . وفى قلب هذا

الهجوم العنيف تجد منيرة الشجاعة التى تواجه بها هذا الأخ وتعترف بالحقيقة وأبعد منها وتتحدى الجميع وهى تتكلم بصيغة الجمع وتكون قد وصلت عند هذه المرحلة إلى قمة الشعور والإحساس الجرئ الذى لاتجد بعده شيئا . فيكون البكاء هو بمثابة اندحار للموقف بعد كل ذلك التصعيد ، ولم يكن البكاء هنا ضعفا بل إنه استعداد آخر للهجوم فهى فى حوارها الأول كانت قد ارتفعت إلى أقصى نقطة . وعليها أن تبدأ من جديد إذا أرادت للهجوم أن يستمر . فكان البكاء بمثابة استعداد لمواصلته . وفعلا تدافع وتهجم بلا تردد . فمن أين أتت بهذه الشجاعة وهذا التحدى ؟ لانلمس سوى الإحساس الداخلى . فهو الدافع الذى خلع عنها حياء الأنثى وجعلها تدافع وتهاجم فى نفس الوقت بشراسة عن تلك العاطفة السامية التى لم تأت من فراغ . وينتهى هذا الحوار بالصراع بين وليد الذى يكون بجانب أخته وخليفة وهو يرى من تلك الأحداث إهدارا لكرامة العائلة ، ويريد الانتقام ولكن وليد يكون هو الضحية بعد أن يعتدى عليه خليفة بالضرب .

وتتطور الأحداث فى الفصل الثانى حيث تكون عجلة الحياة قد تحركت لتقطع أشهرا ستة بين الفصل الأول والثانى لتبرز التغيرات التى تطرأ على تلك العائلة . وهى هنا رمز أريد به التهديد من الذين تسول لهم أنفسهم تكرار أحداث هذه المسرحية .

إن الكاتب أصر على إبراز صورة المرأة من خلال عاطفة الحب فى حالة انتزاعه منها . فهو هنا فى هذا الفصل يبدؤه بحوار بين الفتاة وأخيها الصغير الذى امتلك عصفورا وأراد وضعه فى قفص ويطلب مساعدة الأخت فى ذلك . ولكن منيرة وهي التى فقدت من أحبت ولم تنس توجيه الاتهام من داخلها إلى الأب وكذلك الأخ الأكبر خليفة والتى كانت تتصوره قطا شرسا ذا مخلب كبير إذا ماوجه لأحد فالضياع سيكون مصيره . تقف منيرة وبيدها العصفور وهى تعلق ناظريها إلى لوحة زيتية معلقة بالحائط والتى تجمع مابين قط وحمامة تسول لها نفسها أن القط سوف ينقض على ذلك العصفور ليصرعه . ويهديها فكرها المضطرب إلى أن تنهى حياته بيديها وذلك أفضل من أن تكون النهاية بيد ذلك القط المفترس .. ثم تنشد حوارا مطولا مفهومه أنها قد أصبحت أقرب إلى الجنون وهى تكلم العصفور على أنه ناصر ابن العم ، ولذلك تنهى حياته كما انتهت حياة من أحبت .. ويستمر الحوار الطويل بين منيرة وأخيها الذى آلمه موت عصفوره بيد أخته

فلا يجد سوى زهرية كان ابن العم قد أهداها لمنيرة وهى الذكرى الوحيدة الباقية الذى بقيت من ذكراه فيقوم بكسرها :

منيرة : ( تتقدم إلى المزهرية وهى حطام صامتة وهى تجثو عليه وترفع قطعة منه ) انكسرت يافيصل .. مزهرية ولد عمى انكسرت .. عطانى إياها ويوم مات شلت منها الورود .

هكذا حرك كسر الزهرية لوعة بداخلها .. فها هى آخر ذكرى من قبل ابن العم قد تحطمت لينتهى كل رابط بينها وبين من أحبت، ولكن لا . فالحب بالنسبة لها حياة حتى ولو كان المحبوب قد مات . فهى تعيش ، ومادامت تعيش فلابد للحب أن يعيش ولو كانت الحياة هنا هى الذكرى .

ولكن الحزن الشديد على ابن العم يثير فى نفسها الشك حينا واللوم أحيانا من القدر وابن العم أحيانا .. فهي حينما تتكلم مع وليد تحيى ذكرى ناصر :

منيرة : أنا .. أنا .. ولد عمى .. ولد .. ولد عمى يدعم بسيارته ويموت .

وليد : بسيطة يامنيرة .

منيرة : لا .. لا اشحقه بسيطة .. أنا ماأقبل .. أنا ماأقبل يموت أنا عنده .. اشلون يخليني ويروح .. مايدرى أن أنا عنده .

تصل الفتاة إلى مرحلة خطرة تكاد تفقد فيها عقلها .. فهى تلقى اللوم على ناصر وهى تدرك أنه قد مات .. ثم يكون العتاب مرة أخرى لأنه تركها وكأنه قد تزوج بأخرى وهى مازالت تنتظره .. لقد وصلت إلى مرحلة الشرود وخلط الأمور برغم أنها مازالت تكن له حبا يأبى أن ينتزع من داخلها ، والجميع حولها يرثون لحالها ولايقوون على تغيير الواقع .. وفى مناسبات أخرى يعود لها صوابها فهى تناقش وتحاور وكأنها فى تمام قواها العقلية ولكن الواقع غير ذلك من الحوار نفسه فهى متقلبة لاتستقر على حال واحدة وهذا وحده يكفى لكى يعطى الصورة لمدى درجة الغليان التى تعيشها والتمزق الذى تعانيه داخليا . ففى حوارها مع أخيها وهما يتناقشان في أمر موت ناصر ولايستطيع أن يجعلها تحيد عن الخوض فى هذا الحوار يقول لها :

وليد : لو كان موجود ماتقدرين تتزوجيه .. معناه أنه بالنسبة لك ميت .

منيرة : يكفينى أنى أحبه .

وفى مكان آخر تضيف منيرة وهي واثقة أنه قد مات : ست أشهر ياوليد ما شفته .. لا .. لكنى بعض الأحيان أشوفه قاعد اهنيه .. الحين أنا أشوفه .. كان قاعد ياوليد .. ماتشوفه .

لقد بدأت منيرة حوارها مع وليد عادية جدا .. فهى ترد عليه حينما يخبرها بأن موته أهون عليها من عدم إتمام الزواج لو كان حيا .. ولكنها ترد عليه بوعى كامل .. يكفى أن تحبه . وهو رد إن دل على شئ فإنما يدل على كمال العقل ورزانته .. إجابة على سؤال أخيها يحمل معنى المنطق والتضحية التى لايقوى على إتيانها سوى المتزن . وسرعان مايتغير الحال فى الحوار التالى مباشرة . فهى تعترض على هذا التصرف من جانبه وتلقى لوما عنيفا عليه . لأنه تركها .. فهى مازالت تنتظره غير متقبلة منه هذا التصرف الغريب .. ،كأن الموت هذا شئ عادى أقبل عليه بإرادته . فهي هنا علي الجانب الآخر تعترف بالموت رغم اعتراضها عليه . ثم تعقب ذلك والحوار موجه لأخيها وليد بأنها لم تره منذ ستة أشهر . ثم تضيف أنها تراه أحيانا . وفى نفس الوقت تقرر أنها تراه بالفعل الآن .. وتسأل أخاها عما إذا كان هو الآخر يشاركها رؤيتها له ألم يكن محرك كل هذا هو الحب الذى يعد أقوى منها حتى أنه حجب عنها الحقيقة وجعلها ترى أو يتهيأ لها صورة هذا المحبوب دون سواها :

منيرة : ( تندفع نحو الكرسى الذى كانت تشير إليه وتضمه ) اشلونك يا ولد عمى .. اشلونك ياناصر .. مشتاقين لك .. اشلونك ماشفناك من زمان .

هذا يؤكد أن ماتقوله منيرة انعكاس لحب أقوى منها مات صاحبه وأبى هذا الحب أن يموت فسيطر عليها وجرفها حيث يختلط كل شئ فى شئ واحد يصعب معه انتزاع شئ محدد ، وتظل على هذه الحال من التوتر والتمزق والضياع حتى تعود مرة أخرى إلى الوعى الكامل .

وتمر الأحداث ويعود خليفة الأخ الأكبر إلى البيت مرة ثانية بعد أن يكون قد أمضى الفترة السابقة فى السجن والتجول فى أنحاء البلاد عاطلا مهملا .. يعود ثانية ويصطدم بالأب الذى لايقبله فى البيت وتدور صراعات يشترك فيها وليد حتى يصل الأمر

بأن يخرج الأب مسدسا مهددا به خليفة بالموت أو ترك البيت، ويرضخ الأخ بالحل الأخير.. ولكن بعد محاولة مميتة من الأم متوسلة إليه كى لاترتكب جريمة فى البيت لمن وبيد من ؟! ويستعد الأخ الأكبر لتنفيذ أمر الأب ورغبة الأم .. ولكن منيرة تكون قد دخلت لكى تشارك فى الحوار وقد تملكها الجنون وأصبحت فى حالة يرثى لها .. ومع ذلك فهى تعيش وحب ناصر معها يحركها . تهاجم منيرة الأم ولأول مرة بألفاظ جارحة .. ومع ذلك فالأم لاترى أمام ذلك إلا أن تسكت باكية مهدئة من روعه :

الأم : حسبى الله على اللى رماك بهذا الحال حساب يكفيه .. قولى آمين .

منيرة : كلامها يولد أوادم لهم قرون .. جيبو خليفة يسد حلقها خليفة يخيط حلوق الناس بإبرة .. ليش ماتجيبوه .

وليد : هذى اللى تحب ناصر .. تقولين عنها هالكلام ..

منيرة : ماتحبني .. كله تحبنى فى المطبخ ويالفيران الكبار وتوصيهم يفتحون الجولة على آخرها علشان تموتنى من الدخان .. ناصر راح للشمس يجيب لى نور منها .. القطاوة أكلوه فى الطريق .

هكذا وصل بها الحال وأصبحت تعيش كالحيوان المذبوح الذى يترنح وقت يشاء ويعبر كيف يشاء دون وعى ولا إرادة . ففى حين تدافع الأم عنها ويؤكد لها وليد الذى لم تكن تثق بأحد سواه يؤكد لها أن الأم تقف بجوارها تبغي لها الخير .. ومع ذلك فإنها تنظر إليها وكأنها السبب فى حالتها هذه . إنها تلقى اللوم على الجميع بل وعلى نفسها أيضا . ثم تقرر أن ابن العم كان عليه أن ينقذها من كل هذا لولا أن القطاة أكلوه .. أى أنه مات .. وهنا يكون الرمز للقطط هو الأخ خليفة الذى طالما عارض ذلك الزواج فى مهده فهى تعده من أسباب موت ناصر .. بل إنه القاتل قضى عليه بكرهه له وامتناعه من الوقوف بجانبها ضد الأب الرافض .

وتحاول الأم أن تهدىء من ثورتها معلنة لها أن ناصر ربما لم يمت فربما تعيد إليها بعضا مما فقدته إن لم يكن كله .. هكذا تصورت الأم :

الأم : ناصر مسافر .. ويبى يرجع بعد كام يوم وتشوفينه .

منيرة : حسبا لك أنا مجنونة تضحكين على .. ناصر ما مسافر .

الأم : راح لبنان .. نسيتى يوم تودعينه بالمطار .

منيرة : ناصر مامات .. يوم عرفت انكم بتبوقونه خشيته عنكم فى التراب .. ناصر كنز كبير أنا دفنته بيدى وكلما بغيت أشوفه أطلعه .. وتالى أرده .

من ذلك الحوار يتأكد أن منيرة تعيش فى اضطراب داخلى وقد أفلت منها الزمام . فقد أصبحت لاتقوى على التحكم فى إرادتها . بل أن الظروف ونوعية الحدث هى المسيطرة والمحركة .فهى مازالت تعيش على سيرة ناصر ولا نقول ذكراه ، لأنها تقر بموته حينا وماتلبث أن تقر بأنه لم يمت ، ومرة أخرى تصرح بأن حياته ملكها كلما أرادتها أوجدتها .

وأمام تطور الأحداث وموافقة خليفة على ترك البيت تلبية لرغبة الأب بعد محاولة مميتة من الأم . وأثناء ذلك الحوار يكون الأب قد أخفى المسدس وتعثر عليه منيرة مصادفة حيث نجده فى يدها ، ترى فيه الموت أو أداة للموت .. موت أى إنسان فهو أداة يستعملها الإنسان كى يقضى على من يشاء إذا أراد .. وهاهو الآن في يدها . ربما كان هو السبب فى موت ابن العم . إن لم يكن هو فعلى أدنى تقدير يمكنه أن يأتى بالموت الذى جعل ناصر في التراب .. وتنظر إلى المسدس سائلة :

منيرة : ( تخاطب المسدس ) ليش تبوق ناصر .. ها .. ؟ ليس تبوقه ياحرامى .. تبينى أعلم عليك الشرطة .

هكذا يكون حوارها موجها لآلة صماء ولكن الموت يخرج منها .. وتدخل الأم التى تهاب الموقف تطلب من وليد أن ينقذ الموقف . ومنيرة ماتزال تتفحص المسدس أداة الموت حيث يكون خليفة أمامها مستعدا لمغادرة البيت . وبدون وعى تنهى حياته بطلقات تخرج سريعة ليخر صريعا .

وينهى الكاتب المسرحية عند هذا الحدث .. والذي يعد نهاية لمنيرة .. فقد تأكد الجنون .. مات الأخ الأكبر الذى كان سببا فى موت ناصر . والذي كان أيضا بمثابة القط المتوحش ذى الأنياب التى تقضى على من يقف أمامها .. ولكنها أخيرا ورغم تلك النهاية لم تهزم منيرة . بل هى المنتصرة ، فالحب بداخلها لم يتأثر بالأحداث ولم يتزعزع بالصراعات بل كان هو الأساس والدافع دائما على كل ماصدر منها من تصرفات سواء

أمام الأب الظالم . أو الأم التى لاحيلة لها . أو الإخوة الذين أنهت حياة أحدهما .

وهكذا تتضح صورة المرأة المتمثلة فى منيرة أمام الحب .. تلك العاطفة السامية التى أراد الأب أن يمحوها وهو لايعرف مدى خطورتها .

ولننتقل لمسرحية أخرى وهى (ضاع الديك) لعبد العزيز السريع لكى تكتمل صورة المرأة كما أبرزها الكاتب من خلال عاطفة الحب فسوف يكشف عن نموذج مختلف عن سابقيه فى المسرحيتين السابقتين .

والمسرحية تحوى داخلها ثلاثة أنماط للمرأة : الأم ، الابنة فاطمة ثم ابنة العم سارة أو سوسو كما يحلو لها أن تدعى .

والصورة فى هذا الفصل لسارة ابنة العم .. الفتاة المدللة دون حدود والتى أتى بها الكاتب فى ذلك المكان ليكسر بها منطق العرف حيث يكون الأب رجلا متدينا وذا هيبة ومكانة بين الأهل والعشيرة .. ثم أخوه والد سالم وفاطمة وعليا .. بالإضافة إلى الأخ الرابع يوسف .. وهى العائلة التى أبرزها الكاتب فى صورة معتدلة .. إذا جنبنا يوسف الوافد من لندن وله مبرر بما أتى به . فالمقدمات بالنسبة له تؤدى حتما إلى هذه النتيجة.. فقد اتخذت سارة لنفسها طريقا غريبا حقا .. وسنحاول تتبع نشاطها من خلال النص ليمكن الوصول إلى ملامح تؤدى إلى تكوين الصورة كما رسمها الكاتب الذى أتى بها وفى المشهد الثانى من الفصل الأول حيث يصفها :

(تدخل .. مرحة .. ضاحكة .. كالطاووس .. جميلة .. تلبس بأناقة تتكلم بغنج ودلال .. في مقتبل العمر .. تدعو نفسها سوسو .. متصنعة بشكل يثير الضحك .. تحاول إثبات أنها لاتفهم ، وهى خبيثة وذكية جدا .. تخطر وتحجل بطريقة خاصة .. كل شئ فيها مبالغ فيه ) هالو .

من خلال هذا الوصف الذى أتى به الكاتب فقد أوضح بدقة الشكل الخارجى لسارة ولمس وترها داخليا حينما وصفها بالخبث والذكاء وهذا النوع الذى يتميز بالمرح والضحك والخيلاء ، كل ذلك يكلله ثوب الجمال وشباب مبكر . لابد أن تحلم بدنيا الحب الذى يعد بداية إثبات الذات لدى الإنسان ، ومن واقع التحرر الذى تعيشه فسوف لاترضى أن يكون المحبوب أقل منها تحررا .. فالطيور على أشكالها تقع .. ويتضح ذلك من خلال

النص .. حيث أنها قد سافرت إلى أوربا بمفردها ثم عادت ليلا . أى أنها تعيش حياة عصرية بكل ماتحمله الكلمة من معنى . وهاهى قد عادت من الخارج منذ ساعات وتدخل على العم الوقور وابنة عمها لتلقى عليهما التحية أو السلام داخل هذا البيت الذى يتصف بالتدين وهو تقول « هالو » .

من هذا المدخل يمكن الوصول بسهولة والتعرف على شخصية هذه الفتاة ، وقد سهل لنا الكاتب بوصفه إياها الكثير .. ولكن لنقتحم عليها حياتها الخاصة من واقع النص لكى نستخرج هذه الصورة . فهى أى سارة أو سوسو ابنة عم سالم الذى يهيم بها حبا ويتمناها زوجة .. ثم أن العائلتين قررا على أن يكون سالم لسارة مستقبلا .. وهذا فى الماضى .. ويعد رباط مقدس بكلمة ويصير عهدا لابد من الوفاء به .. وربما كانت سارة توافق على ذلك ظاهريا ولكن داخلها يقول عكس ذلك ، فهى من أول تجربة تميل نحو الرغبة التى نعيشها من الداخل ، ودليل ذلك أنها تحضر إلى بيت عمها بغية رؤية سالم وهو ابن عمها وزوج المستقبل . ولكن ذلك لم يحدث فهى تبادر ابنة عمها فاطمة حينما أصبحتا وحدهما بعد خروج الأب والأم :

سارة : ( ببراءة ) وينه يوسف .

فاطمة : قصدك سالم .

فهى منذ اللحظة الأولى عندما تعلم بوجود يوسف هذا الأوربى العربى وابن عمها متساويا مع سالم فى القرابة تفضله على سالم الذي نشأ معها طوال السنين الماضية . وهى ترى فى سالم عدم المساواة في الحياة التى اختارتها . ولكن يوسف بالطبع لابد أن يكون مساويا لها إن لم يفق . فهى تجد نفسها دون إرادة ، وهكذا وصفها الكاتب عند سؤالها عن يوسف « ببراءة » أى تلقائية ، وهذا دافع من داخلها يجعلها تسأل هذا السؤال وإلا كان يمكن أن تسأل عن سالم أولا حتى تصل إلى ماتريد ، ولكن لأنها لم تفكر جيدا خرجت الجملة هكذا ، وتؤكد سارة هذا المفهوم فى حوار آخر مع فاطمة :

فاطمة : شلون سفريتك

سارة : لطيفة كتير .. صحيح يوسف إنكليزى

فاطمة : ( نضحك ) مثل الانكليزى

سارة : ودى أشوفه .

فما زالت سارة تركز على يوسف .. وكيف يمكن أن يكون شكله وعيونه ، ولم تذكر سالما بكلمة واحدة .. ثم تطلب مغادرة البيت لارتباطها بأمور عاجلة .. وتحاول فاطمة بقاءها لفترة أخرى وترفض .. ولكن تفاجأ عند خروجها بعد أن تودع فاطمة بدخول يوسف:

فاطمة : مع السلامة ( وهى خارجة مع سوسو يدخل يوسف ) كاه يوسف .

سارة : ( مبهورة ) يوسف .

إن هذا الموقف يوضح مدى التحول السريع من طرف سارة عن سالم ليستقر على الوجه الجديد الذى يرى لأول مرة وهو يوسف . ترى فيه الجرأة والتكشف فى معاملة المرأة أو الجنس الآخر الذي لم تره من سالم طوال السنين الماضية ، وهذا منطقى . فالنشأة والبيئة والدين يمنعونه من قول يتنافى مع مانشأ عليه . ولكنها وجدت أخيرا من يلعب على الوتر الذي يسعدها سماعه . فهو من أول لقاء يقرر لها بأنها جميلة . هكذا أمام فاطمة ولاضرر فى ذلك فهذا بالنسبة إليه شىء أقل من العادى ، ولكن رد الفعل من جانب سارة كان هائلا .. فهي جميلة وهذا حق كما هو واضح من وصف الكاتب لها . ولكن هذا الجمال لابد له من التكشف والتعريف من الجنس الآخر وليس من جنسها . وهاهى تلتقى بذلك الآخر الذى يكشف لها عن هذا الجمال وهى طالما أرادت أن تتأكد منه من سواها :

سارة : صحيح أنا حلوة .

يوسف : كتير كتير .

وبالفعل فهى تريد التأكد من شىء هى نفسها مقتنعة به ولكن اقتناعها وحده لايكفى .. وربما شهادة أحد أقرباتها لم تكن أيضا تكفى . هى تريد شخصا آخر يقرر ذلك . وهاهو يوسف الواقد من أوربا يقولها . وأمام فاطمة تكرر له أن يؤكدها مرة أخرى . ويقولها مكررا ماقال ، وتقتنع سارة بهذه الشهادة . والفرق هنا بينه وبين سالم شاسع حتى يقطع عليها هذا الهيام ابن العم سالم :

سالم : سارة .. يه .. متى جيتى

سارة : ( كالمأخوذة وهي تنظر إلى يوسف ) أمس بالليل .

سالم : ( يمسك يدها بمحبة وولـه ) الحمد لله على السلامة .. جيتي الحمد له علي السلامة .. وليش ماعلمونى أجيلك المطار .

فسالم يحبها بشدة ولكنها بدأت تتحول وتميل إلى يوسف بعيدا عنه فردها مشوب بالفتور . وبسرعة تتآلف مع يوسف وهى تعد هذا حبا . أما من ناحيته هو .. فيكون شيئا عاديا وبتفكير سطحى واقتناع ممزوج بمراهقة في سن مبكرة ترى سارة من يبادلها الرغبة وتقع فريسة له وهو لايدرى هل ذلك صواب أم خطيئة ؟! فهذا الذى يحدث فى عرفه صواب وأمر عادى يقره المجتمع .. وقد سبق له أن أتى بفتيات أجنبيات فى بيت الأب وهو لايرى فى ذلك غرابة .. هذا هو شعور يوسف .. لم يكن حبا بالطبع . أكثر من كونه صداقه وحدودها ممتدة بمفهومه . ولكن سارة تفهم أن ذلك حب .. وأى حب فهي تشعر فى قرارة نفسها أن ذلك الشاب يعد نادرا فى تلك البيئة وسوف تحسدها صديقاتها عليه . وتسلب سارة وباسم الحب وهى مازالت واثقة أن الحب متبادل من الطرفين وليس من جانبها وحدها ، وفى لحظة ضعف منها ووعى تام من يوسف . هكذا تفقد سارة أغلى ماتتحلى به الفتاة تحت مفهوم الحب الذى أساءت فهمه وأساءت اختيار من تتبادل معه هذه العاطفة السامية . وحينما لاتجد سارة من تعترف له بسر تلك النهاية سوى فاطمة التى لم تكن تعلم شيئا سوى أنها تريد إتمام الزواج لأخيها سالم من سارة وهي تعلم تماما أنه متيم بها تصدم بما تعلم من سارة :

سارة : فاطمة يقولك على شئ ماأقدر أقوله لغيرك .

فاطمة : ( قلقة ) شنهو

سارة : يوسف .

فاطمة : شفيه

سرة : ماأدرى

فاطمة : حبيتيه

سارة : ( تهز رأسها موافقة )

فاطمة : وسالم

سارة : ( صامتة )

فاطمة : مافيها شئ .. أنا

سارة : لأ .. أنا ويوسف

فاطمة : ( تنهض فاطمة قلقة ) لايكون

سارة : بلى . الغلطة منى أنا .. حبيته وسلمته نفسى

يدور هذا الحوار بين سارة وفاطمة ومن خلاله تتكشف الحقيقة التى لم تكن ، بالطبع واضحة لكلا الطرفين : سارة ويوسف . فهى أحبته وهى واثقة بأنها عملة نادرة أيضا - وكانت كذلك ولكن فى محيط البيئة - وفى ذلك البلد الذى قلما وجد فيه من يماثلها فى الجمال ، ومثلها لابد أن تكون محل إعجاب من شباب كثيرين فى تلك البيئة وعلى رأسهم سالم ابن العم الذى لم تكن لترضى به للفارق الكبير بينهما . هذا من جانبها . أما يوسف فقد راى فيها فتاة جميلة لاتزيد عن عشرات التقى بهن من قبل بحكم العادات والتقاليد الأوربية التي لاتحرم الصداقات المكشوفة ولاتحدها ، بل يمكن أن تزهو بوجودها ولم يكن مابينهما حب على الإطلاق . على الأقل من جانبه هو . وأيضا لم يكن بينهما حب حقيقى بالنسبة لسارة نفسها . فهى فى هذه السن المبكرة والتجربة المحدودة جدا بالرغم من الحرية التي منحت لها وعاشتها لابد من قيود تحدها . ولم تر سالما قد بادلها حديثا يمكن من خلاله أن يولد حب بمقياس ساره فهى إذن متعطشة لهذه النوعية حتى التقت بها سهلة ودون أن تلام ، فيوسف ابن عمها ولن يستطع أحد أن يبدى معارضة . وهي تفسر كلمات يوسف الرقيقة على أنها أكثر من إعجاب فهي إذن حب وكان التقدير الخاطئ من جانبها . ويأبى يوسف أن يعالج خطأه ويتزوجها لسبب بسيط يقوله صراحة وهو أنه لايحبها . ثم إن سارة على حد قوله يحبها سالم ، مادام الأمر كذلك فليتزوجها سالم ولاضرر وهذا أيضا فى عرفه جائز بل أمر عادى .

ومن المسرحيات الثلاث اللاتى تم التعرض لهن تبرز صورة المرأة من خلال عاطفة الحب فى أكثر من صورة . فإما ينتج الحب العفيف النقى ولكن فى غياب الأهل عن مسرح الحياة كما هو واضح فى مسرحية ضحية بيت العز وطرفاه طيبة وسيف . ثم الحب

المكشوف لإثبات الذات لا أكثر ولحركة المراهقة من جانب الفتاة وبغياب الأهل أيضا . مع فارق التصريح من الفتاة دون حرج لأمها وطرفاه هيفاء وأكرم فى نفس المسرحية . والنهاية كما هو واضح هي مقتل هذا الحب متمثلا فى موت واحد وهو أكرم وسجن الآخر وهو سيف.

أما في مسرحية المخلب الكبير فيجسد الكاتب الحب في أسمى معانيه وطرفاه منيرة وناصر الذي لم يكن له دور فى النص ، وقد تحملت الفتاة الكثير ولم تتخل عن هذه العاطفة . لكن الأبوين في هذه المسرحية اشتركا في مجريات الأحداث اشتراكا مباشرا . ولكن الحب الذى نشأ وترعرع فى قلبيهما يحرم من أن يكلل بالنهاية الطبيعية عندما يصبحا الأب والأخ الأكبر هما الحائل دون إتمام ذلك ، ولأن الحب هنا أساسه نبيل يبقى معها – مع ناصر حتي موته، ثم مع منيرة إلي أن تفقد عقلها وترتكب جريمة بقتل أخيها دون قصد منها . ويصبح هذا الحب القوى محركا إيجابيا لكلا الطرفين . ناصر الذى عاهد على أن يقلع عن عادات نشأ عليها حتى أصبحت جزءا من حياته . وذلك فور إعلان الخطبة . ثم منيرة فى التمسك به حتي النهاية وإن أدى بها هذا الحب إلي الجنون . فقد ارتضته مادام الحب فى قلبها باقيا .

وهذه صورة أخرى من الحب . في مسرحية (ضاع الديك) يكون نموذجا آخرا من الحب وإن شابه في جوهره مسرحية ضحية بيت العز مع هيفاء . إلا أن الواقع اختل كثيرا والمحب هنا سارة أو سوسو التي رأت فى الحب نزوة وإثباتا للذات من خلاله تعبر حدودا محرمة عليها بدافع عوامل المراهقة والحرية الممنوحة لها دون قيود بحيث تكون نتيجته السقوط .

ومجمل القول أن فى عاطفة الحب فى المسرح الكويتى ، ومن خلال النصوص التى تم التعرض لها علي وجه الخصوص سمة مشتركة مع كل الفتيات المحبات ، هى أن النهاية دائما مأسوية ، وهذا أمر طبيعى ومنطقى . فالخط الدرامي للأحداث كان لابد أن يوصل لمثل هذه النتائج التي لابد بدورها أن تكون من جنس الأسباب التى أدت إليها .

# الفصل الثانى

## ( الـزواج )

قال الله تعالي في كتابه الكريم ؛ ( هن لباس لكم وأنتم لباس لهن )

صدق الله العظيم

فى هذا القول إجمال قدسية الزواج وشرح واف لعلاقة الزوجية وماتحويه من معان حتى أن الله سبحانه وتعالي في قوله المحكم قد صور الرجل والمرأة ( الزوجين ) كأنهما شخص واحد . وهذا المعنى مجمل ويحمل في طياته الكثير في المعاملات والحركة اليومية والعواطف السامية واحتمالات الصعاب والتضحية فى سبيل الآخر إلي نهاية مايلقاه المرء فى حياته الدنيا . وهذا تشريع من الله في معني الزواج او الزوجية الذى لم يكن كذلك قبل ظهور الإسلام . وقد ساد هذا المفهوم فى الدولة الإسلامية الأولي . ومع اختلاط المسلمين بالأجناس الأخري نتيجة الفتوحات الإسلامية تغير الكثير من العادات وورث العربى عادات دخيلة ادمجت فى حياتهم حتي تولدت شرائع وضعية حسب ماارتضى أهل البلاد .

وإذا قلنا أن المرأة تعد درعا أو حصنا منيعا للرجل تحفظ له بيته ومِاله وتقوم علي تربية عياله بالإضافة إلي بعض اللائى يشاركن الرجل عمله اليومى إذا اقتضى الأمر، أى أن الزوجة تلعب دورا رئيسيا فى استمرار عجلة الحياة العادية ، وبتطور المجتمع تطورت ولم تقف جامدة وساهمت في كل حركة ايجابية وتحملت عبء معظم الميادين العامة.

وفى الكويت تحملت المرأة مسئوليتها كاملة وإن تأخرت بعض الشئ عن بعض الدول العربية كمصر وسوريا والعراق لرسوخ النظم فيها منذ زمن أسبق . ولكن بالقياس الزمنى فإن المرأة الكويتية قد اختصرت المسافة الزمنية وقفزت بخطى جريئة إلى ساحة الإنتاج في مختلف الميادين . وكزوجة شاركت الرجل مشاركة إيجابية فى بناء الدولة والإنسان.

والزواج يعنى اجتماع رجل وامرأة فى وحدة اجتماعية هى « الأسرة » التى يمكن أن تكون قاصرة على طرفى العلاقة وأولادهما ، أو تتسع فتشمل عددا من الوحدات الأسرية وتظل تحتفظ بذات التسمية .

والزواج هو المرحلة الانتقالية بين حياتين ، بالنسبة للرجل والمرأة : حياة العزوبية أو الإنفراد ، وحياة الاندماج فى التكوين المشترك . إن للزواج أصوله الشرعية وحقوقه القانونية وتقاليده الاجتماعية ، ومع أن الزواج هو النظام المقبول اجتماعيا ، فإن الأدباء والمؤلفين ينظرون إليه بتفحيص وتمحيص متجددين . وقد اهتم المسرح بموضوع الزواج . فهناك أعمال عالمية استمدت عنوانها المثير أو نظرها الأصيل من موضوع الزواج منها : مسرحية زواج فيجارو لبومارشيه . مسرحية ترويض النمرة لشكسبير عن موضوع المرأة المتمردة على الزواج ، شروع فى زواج لبرناردشو ، كما كان زواج قطر الندى موضوعا لأكثر من رواية عربية .

وفى معظم الأحيان يكون موضوع الزواج امتدادا عضويا لموضوع الحب . إذ يفترض أن الحب مقدمة للزواج ، أو سبب فى القضاء عليه . الزواج علاقة جديدة تحتاج إلى مرونة من طرفيه ، وقدرة علي التعامل مع الآخر . الزواج هو الوحدة الاجتماعية الجادة المعقِدة المركبة ، لهذين السببين كان الزواج موضوعا مرغوبا عند مؤلفى الدراما الاجتماعية المأسوية والمسرحية الكوميدية على السواء . فالكاتب الاجتماعى يدقق فى أسباب الزواج وأساليبه ويسجل العادات والتقاليد والعقبات وماإلى ذلك مما يجعل من موضوع الزواج وكأنه « عينة » للسلوك الاجتماعى : قياسه ، وصفه ، وتحليله وأبراز المشكلات التى تؤثر فيه .

الكاتب الكوميدى يصور صراع الغرائز والطباع . وبخاصة حين يختار رجلا هو نقيض المرأة ، اختارها حيث يكون موضوع الزواج قائما على مفارقات ساخرة ، ومضحكة أيضا ، المسرح الكويتى عرف كلا اللونين ، ولأن الحركة المسرحية شهدت مرحلة التحول الجاد من مجتمع الغوص والرعى إلى مجتمع الوفرة والثراء والوكالات التجارية والتجول فى العالم لأهداف كثيرة فإن المسرحيات الكويتية استطاعت أن تحقق التنوع فى الموضوع، وفى طريقة التناول وأن تهتم أيضا بأن تكون سجلا للعادات والتقاليد ، وكأنما يخشى الكاتب المسرحى عليها من الاندثار قبل أن تترسخ فى وجدان الجيل الجديد الذى لم يعد

يشاهد ، على أرض الواقع ، الكثير مما كان سائدا فى مراحل الإعداد ، والاتمام للزواج . ولننظر لنرى الصورة التى قدمها المسرح الكويتى للمرأة من خلال الزواج كأحد الخطوط الفكرية والدرامية .

فهناك مسرحية فرسان المناخ لعبد الحسين عبد الرضا والتى عرضت على مسرح الفنون بتاريخ أول يناير عام ١٩٨٣ . هذه المسرحية التى غلب عليها الطابع الكوميدى تصور شريحة من الشعب الكويتى بعد انتعاش المجتمع اقتصاديا نتيجة عائدات النفط . هذه الشريحة هم جماعة التجار ، والأسلوب الخطير الذى يتبعونه سعيا وراء كسب كبير وسهل فى نفس الوقت ، الأمر الذى يمكن أن يؤثر على اقتصاديات البلاد ويتكالب كل من ليس له صلة بالتجارة على المشاركة أملا في عائد سريع ضخم ، وتأتى الرياح بمالاتشتهى السفن حيث يهتز سوق المناخ الذى يعد نقطة الارتكاز للتجارة ، ويتلاشى الاستقرار التجارى ليؤثر على التجار تأثيرا مباشرا يكون معه إشهار الافلاس أحيانا والسجن أحيانا أخرى . أى أن الكاتب أراد أن يقول للتجار : أمامكم خطر فاحذروه . ومن خلال مجريات الأحداث يشير الكاتب لموضوع الزوجة والزواج وواجباته المقدسة التى تحملت المراة الزوجة الكثير منها ، فالزوجة « نورة » فى اللوحة الثانية من الفصل الأول فى حوار مع تاجر المجوهرات بغية شراء بعضها :

الصائغ : هذا الماس هولندى .. برلنت

نورة : أى بس يازهير غالى وايد .. نزل شوى

الصائغ : صدقينى سعر التكلفة .

نورة : سعر التكلفة ١٠٠ ألف .. ؟ وايد

هذا بداية حوار نورة والتى لاتكون طوال المسرحية سوى فى هذه اللوحة ومع نهاية المسرحية فى لوحة أخرى . وإن كان هذا الحوار يبرز جانب الرفاهية المبالغ فيها عند الزوجة وهو تصرف لم تعرفه المرأة الكويتية فى الواقع المعاش . فهى هنا تساوم على شراء خاتم بمائة ألف دينار وهذا ثمن ليس بقليل إذا علمنا من خلال النص أيضا أن البعض يتقدمون لبنوك مطالبين بقرض قيمته خمسمائة دينار ويرفض البنك هذا الطلب ولكن للحوار بقية . يشترك الزوج منصور المسمى «بوخطين» مع الزوجة والصائغ الذى

يعرض عليه كمية من المجوهرات بطريقة مغرية ، فهو يريد أن يبيع وفى البيع كسب لامحالة وأثناء فرز منصور لبعض المجوهرات :

(فى هذه الأثناء تدخل نورة تجرب العقود والمجوهرات)

نورة : (مقتربة من منصور وتريه عقدا تلبسه) منصور اشرايك بها الطقم .

منصور : حلو .. زهير كله ذوق

نورة : (بدلع) أبيه

منصور : تستاهلين .

نورة : بس غالى

منصور : يرخص لك

نورة : ١٠٠ ألف

منصور : اعتمد .. هات البون

هكذا تبدو صورة الزوجة فى بداية المسرحية ، وقد قدم الكاتب شريحة مصغرة من الأسلوب المتداول فى هذا المنزل .. عينة يقاس عليها بقية المعاملات .. فهى زوجة تحب الاقتناء والمظاهر ، تستخدم الدلال سلاحا تحقق من خلاله ما تريد ، وهى هنا عندما تطلب رأى الزوج فى العقد لم يكن بيدها . كى يقول الزوج رأيه ، ولكن هذا العقد يكون قد استقر برقبتها ، أى أنها أختارت وانتهى الأمر . وليس على الزوج إلا أن يلبى رغبتها وهو التاجر المشهور الذى يعد نموذجا بين التجار فى السخاء والكرم . فلابد أن يكون كريما في بيته ومع زوجته أمام تاجر المجوهرات المتنقل من بيت لآخر يبيع بضاعته وربما زاد عليها فى نقل الأسرار . وهذا سوف يكون أحد هذه الأسرار إذا لم يوافق الزوج علي الشراء .. سوف ينتقل هذا النبأ في البيوتات الكبيرة والتي يملكها فى الغالب تجار مثله. وعلى ذلك يكون رأى الزوج محايدا لايحمل الموافقة المباشرة ولكنه يقرر بأن الذوق «حلو» . وهنا تسرع الزوجة وهى شاهرة سلاحها مقررة بأنها تريده ، فقد استقر وخروجه من رقبتها شيء ليس بالسهل . ولايكون علي الزوج إلا أن يوافق برغم تحذير الزوجة بأنه

غالي الثمن . وكأنها تقصد من وراء هذا الغلاء أن تضعه فى موقف حرج وهو التاجر .. حتى ولو كان المبلغ باهظا فإن التحدى يمكن أن يصل إلى أكثر من ذلك . وبلغة التجار يوافق طالبا «الفاتورة» لدفع القيمة . إذن فالزوجة هنا وظيفتها تحقيق مطلبها الشخصى. ويمكن أن يكون هذا المشهد مقياسا لبقية حياتها . فالكاتب يبرز أسلوبا واحدا ومن غير الممكن أن ينقل الحياة كاملة فى هذا البيت.فلقاء واحد يكفى للحكم على بقية الأحداث .

هذه نورة زوجة منصور التاجر الثرى . وهذه شريحة من حياتها يعقبها شريحة أخرى تتساوى مع الأولى فى الكيف وإن اختلفت في النوع وهى لزوجة مسنة «أم نورة» والمسماة بأم فرج ومع زوجها بعد انتهاء حوار منصور ونورة وخروج الصائغ مباشرة :

أم فرج : (تهدأ قليلا) منزل مبارك .. عليكم بالعافية .. هذى البيوت موبيته
(وهى تنظر إلي الأب بغيظ) .

تقول أم فرج هذا الحوار بالرغم من أنها لم تكن هادئة وهى تعاتب زوجها ، فهى ترمى إلى هدف بعيد تكون قد اتفقت عليه مع الزوج ، فهذا منزل ابنتها : بناء حديث وتأثيثه فاخر .. يحتوى علي كافة الكماليات والتحف .. بمقارنته ببتهم لايساوى شيئا .. إذن فهى تصف بيتها دون أن تراه حينما تجعل بيت ابنتها أساسا للمفاضلة . وبرغم تقدمها فى السن تكون رافضة لنوعية الحياة ، تريد حياة أفضل رغم معارضة الزوج ولكنه لايجد بدا أخيرا من الاستسلام .

وهذا الهدف المبيت هو العمل علي بيع البيت الذي يسكنونه مقابل نقود سائلة يمكن لهما أن يحققا ، أوأن تحقق هى ما تنشده ، تضحى بأغلى ما يملكه الإنسان وهو البيت ، والذى يعد مأوى أى أسرة . وهى تصفه لزوجها «ولك وجه تقول بيت بعد .. هذا بيت اللى إحنا ساكنينه ؟.. إذن فالزوجة التى بلغت من العمر أرذله تفكر فى بيع بيتها المملوك لهما علي أن تستأجر شقة فى أحد البيوت الراقية بجزء من ثمن البيت على أن يكون الجزء المتبقى وسيلة لتحقيق المتعة للسنين الباقية من العمر .. ويأتى ذلك التوقيت مع تشييد منزل الابنة التى لاتعد أحسن منها ، ورغم معارضة الزوج الذى ارتضى أن يعيش في بيته القديم بقية عمره حيث الاستقرار الحقيقى . ولكنه ينفذ رغبة الزوجة ويتم فعلا بيع البيت بمبلغ كبير .. بشيك يستحق السداد مضاعفة بعد عدة شهور .. وكأن الأم هنا باعت البيت لتدخل فى تجارة لكى تزيد الرصيد .. وتمر الأحداث ، ويزول استقرار

السوق التجارى ليرتفع البعض من التجار ويضيع الباقى حيث يكون منصور واحدا منهم وينكشف رصيده بالبنك . وكان لابد أن يؤدى ما عليه من التزامات وشيكات حررها علي نفسه بضمان الرصيد والتجارة .

ومن خلال هذا الحدث تكون صورة أخرى لنظرة الرجل إلي المرأة عامة وكأنما هى في البيت لتأدية واجبات فقط ، في الوقت الذى تمد فيه الزوجة يدها إلى الزوج ولكنه يأبى بشدة أن يكون المنقذ هو الزوجة التي تعيش لهدف لاتزيد عليه . فنورة تريد أن تقف بجانب زوجها وهى تعرض عليه بيع كل ما تملك لسداد بعض ديونه .. ولكن الزوج يقف أمام تلك المساعدة موقف الرافض لوقوف الزوجة بجانبه .. وذلك إما كبرياء منه أن يمد يده لامرأة حتى ولو كانت زوجته ، أو عدم اعتراف منه بحقها للتدخل فى مثل هذه الأمور التي لايقوى على حملها سوى الرجال .. فتدخل المرأة في مثل هذه الأمور كسر للقاعدة وخروج علي المألوف .. ربما يقتنع داخل نفسه ، ولكنه يخشى تفشى النبأ بين التجار فيهتز موقفه وهو الذى كان ذا مكانة مرموقة بارزة .. بأن امرأة أنقذته من الضياع :

نورة : أقول منصور .. الفلوس اللى حولتهم باسمى فى لندن اللى بغيت تشترى فيهم أراضى .. جيبها وأعطهم للناس .

منصور : لا .. لا .. هذى خليهم هناك ينفعون .

هذا الموقف يكشف مدى عدم اعتراف الرجل بالزوجة كمشاركة فى مصير خطير . فهو مازال يعدها نوعا من الكماليات في البيت . تطلب هذا أمر مقبول وواجب ، والرجل عليه أن يلبى ذلك إرضاء لغروره وكبريائه على أنه الملجأ بالنسبة للمرأة . والعكس مرفوض .. فهو فى أزمة مالية يريد الخروج منها ويأبى أن يعلن ذلك لولا تدخل نورة فى الأمر . وحينما تعلم الحقيقة التى كان عليه أن يقرها أمامها تهون عليه الأمور وتذلل له العقبات بالمنطق . ولكنه لايعترف بذلك حتى يصل بها الأمر أن تتخلي عن كل ما تملك . ويكون الرفض أيضا هو الرد الوحيد من جانب الزوج . ربما بأن المال باسم الزوجة وهو يرفض أيضا يدها الممدودة إليه لإنقاذه . وهذا يوضح أيضا صورة المرأة بالنسبة للرجل الذى أوجد لها وظيفة محدودة داخل البيت في دائرة ضيقة ، وقد نسى أو تناسى أن تلك المرأة مخلوق مثله تماما ويمكن أن يكون لها رأى وعقلية خارج نطاق البيت تعادل رأيه إن



مشهد من مسرحية ( فرسان المناخ ) والتى عرضت على مسرح الفنون
أول يناير ١٩٨٣ .. تأليف عبد الحسين عبد الرضا

لم تفقه أحيانا . هذا الرأى وهذه العقلية تسجن داخل البيت ولاتستغل حتى لمجرد التشاور .. وهذا الموقف يشبيه بموقف «هلمر» من زوجته «نورا» فى مسرحية بيت الدمية لإبسن أذ يبدو التأثير واضحا حتى فى اختيار اسم الزوجة فى كلتا المسرحيتين .

وإذا انتقلنا لصورة أخرى من خلال عمل آخر وهى مسرحية الجوع لعبد العزيز السريع حيث تبدأ بزواج غير متكافىء استمد قواه المصنوعة من الثروة التي تفجرت فجأة فاكتسحت المنطق . وهونت من قيمة العواطف وسموها . فقد أثرى أبو داود من تثمين بيته ، فقرر ، وهو الكهل على مشارف الشيخوخة أن يتزوج من فتاة صغيرة ، يجدد بها شبابه الآفل . وقد أعانته ثروته علي تحقيق رغبته .

وإذا فتشنا عن صورة المرأة فى الزواج فسوف نتكشف صورتين مختلفتين من خلال العرف السائد ، يكون الرجل طرفا لتكوين هذه الصورة بالإضافة إلى صورة كثيرا ما تتكرر فى المسرح الكويتى .

فالكاتب يتعرض لقضية عامة مرتبطة بكيفية إتمام الزواج من خلال شخصيات عبداللطيف ، داود ، أبو داود ، الأول متيم بحب لايمكنه أن يدافع عنه أو أن يعيشه بسبب رفض المجتمع لهذا المبدأ .. حيث إن الشىء الوحيد للارتباط هو الزواج ولا مكان للحب لأنه مرفوض شكلا ومضمونا .. وعبداللطيف هذا ينشد الزواج ولكن من خلال الحب الذى يقرب وجهتى النظر بين اثنين سيرتبطان ، ويرفض العم - ولي أمره - لا لسبب إلا لأنه يريد أن يزوجه ابنته هو حتى لا تتفتت الثروة خارج نطاق الأسرة . أما الثانى فهو داود الذى يصر الأب علي زواجه بأى شكل ليبعده عن بيته خوفا منه علي زوجته الشابة . كذلك يرفض زواج ابنته فاطمة حتى تكون حارسا علي أخيها ويقولها صراحة «لن تتزوج فاطمة ما بقيت أنت بالبيت بلا زواج» وتتوالى الأحداث المليئة ، بالمشكلات المرتبطة بصورة المرأة الكويتية .

فالصورة الأولى قد تكونت من عبد اللطيف الذى أحب ولكنه لم يستطع أن يصل بهذا الحب إلى نهايته الطبيعية وهو الزواج ، وقد وضح ذلك من الحوار الذى يدور بينه وبين صديقيه محمد وداود . بعد نقاش طويل يتكلم عبداللطيف الذى رفض فى البداية الخوض فى أى حديث ولكن مع إصرار صديقيه يتكلم .

محمد : أنا أقدر أقولك شيء واحد .. إنت إنسان قاسى ولاعندك إحساس .. البنت هذى تعذبت علشانك .. ولكن قسوتك مالها حدود .. لأنك تعتبر نفسك غنى والبنت هذى ما هى بمستواك .

داود : إحساس .. صحيح ما عندك إحساس

عبد اللطيف : أنا عندى إحساس .. أنا عندى إحساس .. لكن أهلى والناس ماعندهم إحساس .. أحبها علشان أحطمها .. أحبها علشان أشوه سمعتها .. أحبها علشان ارتكب جريمة لا تغتفر .. ما عندنا ناس يؤمنون بالحب .. عندنا الزواج بس .

داود : وأنت تبى تحبها وتلفظها .. معلوم زواج .. تحبها وتتزوجها .

عبد اللطيف : إذن الزواج بعد الحب .. لكن أنا ما عندى فرصة .. أنا غنى صحيح .. لكن تقدر تخلى أهلها يوافقون .. لا .. لا أنا ولا جدى يقدرون .

من هذا الحوار يتكشف أسلوب التعامل لإتمام الزواج .. فالحب كما هو واضح مرفوض ، والرجل عبد اللطيف يخشى أن يستمر هذا الحب ولو من جانبه . فالفتاة تريده وتبادله هذا الحب فهى تختلس النظر إليه وهو جالس علي المقهي وفى هذا تضحية بالغة من جانبها . وقد لاحظ ذلك إخوانه ولكنه إزاء ذلك يفضل الصمت عن الكلام فربما يجد فى هذا الصمت هروبا من ذلك المأزق الذى يعيش فيه . فهو قد آلى علي نفسه أن يبتعد عنها محاولا أن يقتل هذا الحب فى مهده خوفا عليها . إنه يواجه معركة تحوى جبهتين إحداهما أهل الفتاة الذين سيرفضون مبدأ هذا الحب وكذلك سيكون الرفض من منطلق عدم موافقة الأهل حتى لا تضيع عليهم الثروة التى يخشون تفتيتها .. أما الجبهة الثانية فهم الأهل الذين يصرون على أن يتزوج ابنة العم وهو لايشعر من ناحيتها بأية عاطفة .

وبالرغم من أن صديقه داود يعارضه فى فكره . إلا أنه يوضح له أن الحب الذى يعقبه هجر مرفوض ، أما الذى ينتهى بزواج فهو الصحيح . وهكذا فإن داود نفسه يكون مؤيدا لفكرة عبد اللطيف .. إذن فالزواج فى كل الأحوال لايكون للمرأة رأى فيه .. حتى أن الرجل نفسه يتزوج باختيار الأهل غالبا . وعلى ذلك فالطرفان متساويان أمام ذلك

الزواج الذى ينفرد الأب غالبا فى إتمامه دون تدخل من أحد . وهذه الطريقة وإن كانت مقبولة فى الماضى . فإنه مع انتشار وسائل الإعلام والمدنية الحديثة أصبح الشباب يتمردون عليها .

والحوار الذى يدور بين عبد اللطيف وداو يؤكد ذلك عندما يريد داود أن يخفف هموم المغلوب علي أمره والذى أعياه التفكير دون أن يصل إلي نتيجة مع عمه :

داود : حاول إنك تتفاهم معاه ..

عبد اللطيف : ما قصرت لكن الكل معاه لأنه غنى .. لأنه كبير ولأنه ذكى ينظر إلى نفسه .. وأنا دايما مغلوب على أمرى .. يقول إنه يحبنى ويدور على مصلحتى .. لكن أنا ما أبيه يدور على مصلحتى .. أبى أنا أتعب علشان أدور على مصلحة نفسى .. أبى أنا أبحث وأصنع حياتى ومستقبلى .. ما أبى أحد يفكر عنى .. ما أبى .. ما أبى .. ما أبى .

من حوار عبد اللطيف تتضح الصورة التى كانت سائدة والتى أرادها جيل الآباء أن تسود حتى يظل الأمر بأيديهم وكأنهم يريدون للعادات أن تستمر لأنهم نشأوا عليها لتنتقل من جيل لأخر، وكما كان للأجداد سيطرتهم سابقا فها هم الآباء قد أتى دورهم لكى يعيشوا ويمارسوا هذه العادات .

وإذا كان عبد اللطيف قد بدأ حواره وهو المغلوب على أمره .. لكنه ينهيه بالتمرد وإثبات الذات حيث يرفض مساعدة أحد حتى ولو كان عمه . معلنا بأن مصلحته لابد أن تنبع من ذاته هو . وبالفعل ينفرد بالرأى ويخطو خطوة إيجابية تحطم تلك العادات عندما يذهب وحده خاطبا فاطمة أخت داود برغم أنه لم يوفق فى البداية ولكنها محاولة تكفى أن تكون بداية يمكن أن تعمم وتنتشر .

فعندما يدخل أبو داود بيته وفاطمة تداعب أخاها من أبيها - وهذه عادة تأصلت فى المسرح الكويتى للرجل المسن الذى نجده متزوجا للمرة الثانية إما بعد وفاة الزوجة الأولى أو أن يجمع بين الاثنتين - فى وجود زوجة الأب «شريفة» يطلب الأب من ابنته الانصراف مع أخيها . ويكون تصرف عبد اللطيف الذى يحدث صدى فى هذا الموقف ومدى تفكير الأب وخوفه على زوجته من ابنه :

الأب : ما قلت لك على اللى جاى يخطب فاطمة .

شريفة : إن شاء الله بترده بعد على العادة .

الأب : أكيد لازم أرده .

شريفة : وتاليها يا أبو داود .. إلى متى هالبنت ما تعرس .

الأب : عن يتزوج أخوها.

من ذلك الحوار يتكشف نتيجة لقاء عبد اللطيف والأب حيث يدور الحوار حول تلك المحاولة التى أقدم عليها عبد اللطيف ، وهى «الرفض» ولم يكن أول من حاول خطبة الفتاة بدليل سؤال الزوجة عما إذا كانت ستتم الموافقة فى هذه المرة أم أنه سيرفض كعادته. وهنا نجد الأب قد ملك أمر الفتاة فهو لايريد لها الزواج لا لشىء إلا لوجود أخيها الجاثم فى البيت يصول ويجول بحرية تامة . والأب هنا يخشى إن تزوجت فاطمة الابنة وهى هنا أيضا بمثابة الحارس على أخيها والتى بأتمنها الأب على زوجته والخوف من الابن الذى يعد بالنسبة له يحمل كل صفات الشباب والحيوية .. وشتان الفرق بينهما فى كل شىء والزوجة شريفة شابة فى مقتبل العمر .. إذن فهو أى الأب يحتفظ بالابنة كرهينة حتى يتم للأخ الزواج أولا، والذى سوف يكون فيه بديل عن فاطمة وهى زوجة الابن . ثم بعد ذلك يمكن أن يفكر فى أمر إتمام زواج الابنة . هذه شريحة من الصورة التى ستتكشف معالمها كاملة مع بقية الأحداث .

وإذا كان عبد اللطيف هذا قد تمرد على إحدى العادات فإن داود الابن يوافق ذلك بل ويتخذ هذا الخط طريقا له . وسوف يتضح ما إذا كان سيستطيع أن يواصل هذا الطريق حتى النهاية ؟! فهو يرفض الزواج على الطريقة القديمة فى حين أن زوجة الأب تلح باستمرار لأن يتم زواج الابن بأية طريقة حتى يخلو لها البيت مع أولادها .. فهى دائمة الوقوف بجانب الابنة أو الابن ، وذلك يرجع لأن لها فى ذلك مصلحة شخصية وهى الانفراد بتملك البيت دون مشارك .. وفى الحوار السابق تعاتب الزوج لعدم موافقته على زواج فاطمة . وهذه كانت أمنية أرادتها فاطمة أن تتحقق لأنها لم يكن لها فى هذا البيت دور سوى مراقبة الأخ ومراقبة كل ما يطرأ فى البيت من زيارات لطلب يدها . وفى كل مرة تصدم لعدم الموافقة .. وكأية فتاة فهى تحلم ببيت تكون فيه سيدته كبقية الفتيات اللاتى فى سنها وتم لهن الزواج .

وهذا العتاب من قبل زوجة الأب لم يقصد به مصلحة فاطمة . قدر ماتهدف من ورائه إبعاد الأبنة عن البيت .. تتحول إلى حوار آخر يستهدف الابن داود وهى تخطط لنفس السبب .. فهى تريد أن تستأثر بالبيت . وما فيه دون أن يشاركها أحد ، ولن يتم لها ذلك قبل أن يتزوجا، ويتضح ذلك فى الحوار الذى يدور بينها وبين الزوج :

شريفة : لو كان غيرك كان ماصار ولده هالشكل ..خزينة إنت ولا ماكو ولد يطلع من شوفة أبوه مثل ولدك .

هكذا تفكر وتتكلم شريفة مع الأب . . فهى تريد تحقيق الحلم .. فمع فاطمة تكون فى صفها ضد الأب . وهى هنا بسبب الابن داود فهى تقلب الأب عليه بل وتبرز له قوة الابن أمام ضعفه ، وهى تنتظر رد الفعل السريع . فإن كان الزوج مازال يحتفظ برجولته حقا فلابد أن يتخذ قرارا حاسما فى هذا الشأن . إما الزواج وإما الطرد وكلاهما سوف يتبعهما إبعاد للابن وهذا وحده يرضيها .

ومن هذا الموقف تتضح صورة اخرى من الزواج . وطرفاها الأب وشريفة ، وواضح أن هذا الزواج لم يكن متكافئا فى السن ، وقد أشار الكاتب فى هذا الشأن أن الطفل ابنها لم يكن عاديا بل مخبولا وهذا نتيجة للزواج غير المتكافىء كما أشرنا إلى معظم المسرحيات الكويتية حيث يكون الزوج ذو الزوجتين الذى غالبا مايكون له ابن من الزوجة الثانية معتوه فى حين تعمل الزوجة الثانية جاهدة على إثارة الخلافات بين الأب وأبنائه من الزوجة الأولى بغية الاستقلال بكل شىء دون أن تهتم بنتيجة ما يترتب على ذلك من طرد وتشريد مادامت هى ستكون مستقرة .

ويكرر عبد اللطيف المحاولة مرة ثانية لزيارة منزل أبو داود ليخطب فاطمة ويقابل بالرفض هذه المرة أيضا لعدم رضاء والده عنه، ومن ثم عن هذه الزيجه ليثبت هنا أن الكلمة الأخيرة للرجل رب البيت وأن ليس للأبناء حق لا يوافق عليه الأب حتى ولو كان هذا الحق هو الزواج . وينتهى اللقاء الذى يحضر آخره الابن والذى يبدى اعتراضه لهذه الطريقة لعدم اقتناعه بذلك الأسلوب حيث يكون أيضا رافضا الزواج بهذا الأسلوب :

داود : ( بعد أن يختفي عبد اللطيف ) ليش يابه هالشكل

الأب : شلون .. تبينى أرضى برجال عاصى والديه وأزوجه بنتى

داود : حرام عليك يابه .. مهو زين الظلم .. فهو زين

الأب : ( يتجه لداخل المنزل غاضبا ) مهو شغلك البنت بنتى وأنا حر فيها (يلتفت قبل خروجه ) إذا مت أنا اتصرف

من خلال هذا الحوار يتبين أن الأب يصر على رأيه مؤيدا تصرفاته ومن على شاكلته من الآباء مرجحا هذا الرأى ضد أى من الأبناء فى حين أن الأبن داود لم يكن ليوافق على ذلك . الأمر الذى يجعل الأب ساخطا عليه ، وهو ما يزال يقولها صريحة أن رأيه هو الصواب مهما حدث وأن هذا الرأى لن يسقط طالما بقى حيا، أما إذا مات فسيموت هذا الحق معه . وحينئذ سيكون للابن حق التصرف ولكن ليس قبل ذلك . أيضا فإن الأب وهو فى ثورة غضبه يقرر للأبن أنه الأمر الناهى وأن الفتاة هى ابنته وله الحق كما يحلو له فى تقرير مصيره هو أيضا .

وإذا كان الابن قد بدأ يتمرد ويقف موقف الند للأب فما يراه حقا مشروعا فإن الفتاة بالكلمة سوف تتمرد ولكن دون فاعلية . يخرج عبد اللطيف غاضبا ، وكذلك الأب يترك المكان ويبقى الابن داود وحده غاضبا . فالغضب هنا أصبح سمة مشتركة على وجوه الجميع ولكن الأسباب تختلف . وتقتنص الزوجة فى هذا التوقيت الفرصة كى تشعل تلك الثورة والغضب وبداخلها أمر أرادت أن تنهيه ونجد داود وحده ، وهذه هى الفرصة :

شريفة : ( تدخل ) زين كذيه

داود : ( باستغراب و غضب ) شنهو زين كذيه شتبين

شريفة : زين كذيه برد الولد ويخلى أختك بدون زواج

داود : وانتى شتبين الحين

شريفة : يعجبك أختك تقعد بدون زواج وأهى كبر جدى وإنت ما تدرى إن أبوك حالف مايزوجها إلا إذا تزوجت أنت .. ليش ماتتزوج .. أنت ما أنت رجال .

لقد أرادت زوجة الأب أن تعرى الموقف تماما دون تدخل من أحد . فهى تقصده فى حوارها لأنه العقبة التى تقف فى الطريق فإذا ازيلت تحقق لها ماتريد . وتبدأ شريفة

حوارها معه فى هدوء وكأنه عتاب من أجل مصلحة الطرفين الابن والأب ، وهى تعلم تماما ان كليهما لم يلق قبولا ولكنها أرادت الاستفزاز دون أن تفقد جزءا من شعورها . وحينما يرد عليها داود بأسلوب كانت تتوقعه تكرر السؤال مرة ثانية ولكنها مدافعة هذه المرة عن فاطمة ، الأخت ونقطة الضعف بالنسبة له . فهو رجل لايعيبه شيء ولكن الأخت فتاة ضعيفة . ومن هذه النقطة تركز شريفة حوارها مع داود بأسلوب هادىء مستفز . ويزداد داود غضبا حتى تواجهه بالحقيقة التى يعرفها ولكن هذه المرة تصل إليه من شريفة غير المرغوب فيها ، وهى تكشف له هذه الحقيقة القاتلة وتزيد فى الحوار وتعلن امامه حقيقة ثانية تزيد مرارة عن سابقتها وأن هذه الأخت ستبقى هكذا بدون زواج طالما لم يتخذ هو خطوة إيجابية نحو تحقيق زواجه . ثم تختتم الحوار وهى تطعن فى رجولته التي لا تكون دافعا على المطالبة من ناحيته هو بهذا الزواج والتى تكون ثمرته تأكيدا لرجولته . وهكذا تصل شريفة إلى ذروة مقصدها ولن يكون حوار أوقع من هذا . فهى قد كشفت أمامه كل الحقائق المؤلمة بالنسبة له وحملته عدم زواج أخته هذا فى توقيت قاتل وهو ثورة الغضب الذى خرج به نتيجة لقائه مع أبيه .

وإذا كانت شريفة قد دخلت مباشرة عقب خروج الأب . فإن ذلك يعنى بالتأكيد انها كانت تسترق السمع . وسمعت بالفعل كل مادار . لذلك فقد وجدت فى هذا التوقيت فرصة للضغط على داود الذى لن يستطيع أن يدافع فيكون الهجوم المستمر من جانبها . هكذا كان تصرف المرأة زوجة الأب فى هذا الموقف .

واذا كانت شريفة تخطط لكل هذا من أجل الاستقلال بالحياة مع أولادها وتقوم بالتنفيذ بواسطة أقنعة تتغير حسب الموقف فإن هذه الحيلة لم تفت داود وهو الشاب الذى يعيش حياته كما يحلو له ومع أصدقاء يتزود منهم المعرفة كل حسب ماحصل . فهو يرى من زوجة أبيه تنوعا فى الحوار الذى لايخرج عن مشكلة الزواج سواء له أو لأخته فيبادرها :

داود : أنا ماأتزوج .. عناد .. إنتى مالك شغل .. كل هذا وحريصة على وعلى أختى .. ولا تبين تبعدينا عنك .

هكذا يبطل داود مفعول ذلك المخطط الذى أعدت له شريفة طويلا وتلونت من أجل تنفيذه لوجوه عديدة . فى هذه الجمل القليلة يكشف داود حقيقة الأمر بالنسبة لها حينما

يقرر أمامها بأنه لن يتزوج ، ولم يتركها عند هذا الحد بل زاد عليه متحديا الموقف الذى أثارته وهو يضيف إلى ذلك موجها كلامه لها بأن وجودها فى هذه القضية أمر غير مرغوب فيه . فهى لا تمثل شيئا ذا أهمية فى حياته .وبعد كل ذلك يقولها صريحة حتى لا يكون هناك ثغرة يمكن المرور من خلالها . وهو أنها إذا كانت تفعل ما تفعل إنما ذلك يرجع لمصلحة خاصة بها هى وليس من أجلهما لأن غايتها الوحيدة هى إبعادهما عن البيت. هكذا تتضح صورة زوجة الأب التى يعد زواجها من الأب استمرارا لسطوة الرجال فى التدخل الذى لا رجعة فيه فى امر إتمام الزواج الذى يكون للأب فيه الرأى وحده . دون مراعاة امور كثيرة مثل التكافؤ فى السن والثقافة والعاطفة .

واستمرارا لتوضيح الصورة والصراع من أجل إثارة مشكلة الزواج من طرفين جمع الحب والعاطفة الأخوية بينهما وهما داود وفاطمة . فهما يعيشان فى هذا البيت الذى نشآ فيه وكأنهما غريبان لوجود هذه الزوجة الدخيلة . ويكون لفاطمة مع أخيها موقف آخر تتكشف من خلاله الحقيقة التى تعيش بداخلها، ولا يمكن لأحد انتزاعها رغما عنها ولكنها تصرح بها مباشرة لأخيها . فهى ان لم تقلها الآن وله بالذات فمتى تقولها ولمن ؟؛ فبعد حوار حاد بين شريفة وداود فى وجود الأب وفاطمة تنفرد هى بأخيها :

فاطمة : ليش ما تتزوج .. ليش

داود : ( يبتسم ساخرا ) وانتى شيهمك من زواجى تبينه بزوجك.

فاطمة : ( تصرخ به ) إيه .. أبيه يزوجنى .. عيب ولاّ عار .. تبينى أقعد بور .. تبينى انظر لن يتجمد وجهى ويشيب راسى وأذبل .. ما تدرى .. شريفة اليوم زعلت لأنى قلت لها خالتى .. ومعها حق لأنى كبرها .

لم تقبل فاطمة أن تقف مشاهدة للأحداث دون الاشتراك الفعلى فهى طرف أساسى فيه وإذا تعقد سيكون عقبة فى طريق مسدود فى الأصل . ستضاف هذه العقبة إلى السد لتؤكده ، ولتعلن أنه لا مخرج ولا أمل . إذن فلابد أن تتكلم ربما تصل إلى ثغرة تكون معبرا لتحقيق غايتها . وتفاجئه بالسؤال عن عدم زواجه إلى هذه الساعة . ولأن داود لماح يفهم ماترمى إليه من السؤال وأنها أيضا تعمل من أجل مصلحتها . ولكنها فى هذه المرة أخته وليست بزوجة أبيه . وبرغم ذلك يوجه إليها بعضا من الحقيقة دون مراعاة لشعورها.

فكثرة الأحداث التى يتعرض لها سواء من الأب أو زوجته ثم أخيرا من الأخت والتى لا تعطيها العادات والتقاليد الحق للخوض فى مثل هذه الأمور .هاهى ذى تتجاوزها بل تحطمها وتخوض معه فى حوار مثير لتقول رأيها بصراحة وتزيد حينما يوجه إليها إجابته بأنها تريد أن تتزوج هى . وترد بجرأة فقد تخطت حاجز الرهبة حينما قالت رأيها فى عدم زواجه ، وكسرت التقاليد البالية فهل تقف جامدة عند هذا الحد أم تخوض الطريق الذى كان محرما عليها وعلى أبناء جنسها أن يقتربن منه . تعلنها أمامه مدوية وهى تصرخ أنها تريد أن تتزوج نعم تريد ومالضرر فى هذا . فهل ذلك الزواج ليس حقا مشروعا .. أليس هذا الزواج بداية الحياة لكل أنثى يصل بها السن إلى حد معين واذا ما تجاوزته تقل القيمة . تقولها: إنها تريد أن تتزوج قبل ان تضيع الفرصة وهى التى تقارب زوجة أبيها سنا وإن زادت .

ولكن الأخ يصل بالحوار ليكشف حقيقة أخرى وهى الزواج بالنسبة له . فهو يعترف بأنه لم يرفضَ فكرة الزواج ولكن ليس أى زواج . فهل يتزوج لمجرد الرغبة من الأب الذى يصدر الأمر ليكون هو أداة التنفيذ لهذه الفكرة بعد أن يكون الأب وزوجته قد خططا لهذه الزيجة دون أن يكون له رأى فى ذلك إن لم يكن هو صاحبه الأوحد . وهل اذا هو تزوج بهذه الطريقة ستستمر الحياة الزوجية إلى نهايتها .. واية حياة ستكون . إنه لم يرفض الزواج لمجرد الرفض . ولكنه رافض الطريقة التى سيتم من خلالها ، الأب يختار ويقرر ، وعليه هو ان ينفذ ورغم أن هذا هو العرف السائد ولكنه هو أيضا يريد أن يحطم هذا العرف . إنه يريد ان يتزوج ولكن عن اقتناع من داخله . بل واكثر من ذلك اقتناع من داخل الطرف الأخر . الذى سيكون شريكا فى حياة . اذن فالأمر ليس بالسهولة . زواج يتم باختيار الأبوين وماعلى الشباب إلا الطاعة والتنفيذ . والنتيجة غير مضمونة والفشل فى هذا الطريق مدمر . فهو هنا يقولها صريحة لأخته التى لا يخشاها فى هذا الموقف. يقولها بعد أن عاش حياة من قبل خططت له وقام هو بتنفيذها ولكنه فشل ولم يستطع الاستمرار .

ومن هذا الفشل أعاد حساباته لكل مامن شأنه أن يمس حياته المستقبلية والتمسك بهذا الحق من ناحية مهما كانت العاقبة حتى أن زوجة الأب اتهمته بالجنون ، وهذا أمر طبيعى من ناحيتها . فهو قد تمرد على العادات الراسخة فبأى شأن يمكن أن يوصف . هذا من منطلق أنها- أى زوجة الأب - قد تزوجت بهذه الطريقة رجلا يكبر أباها سنا . يقولها

داود لأخته صريحة أيضا :

داود : شوفى .. أنا ماعندى استعداد أضيع حياتى مرة ثانية يكفى أنى فشلت
فى دراستى .. وطلعت من المدرسة .. ما أبى أفشل بزواجى ..
أنا ما أقدر أضحى .. حتى ولو كان علشانك إنتى .. فهمتى .

لقد اتخذ داود من فشله فى الدراسة نقطة بداية يحيطها الحرص قبل اتخاذ القرار، وإذا كان فشله فى دراسته يرجع إلى اختيار الأب له فى سن لا يمكن معها إبداء أية معارضة فهو يقوم بتنفيذ رغبة دون إبداء رأى وله فى ذلك كل العذر . ولكن النتيجة التى خرج بها لم تكن هى المرجوة فكأن الفشل هو المصير . وهاهو علي وشك أن يخطو خطوة أخرى نحو المستقبل وهى الزواج . وأيضا يبرز دور الأب فى الاختيار ولكنه هذه المرة فد نضج فكريا وتعلم درسا قاسيا وهو الآن ليس مستعدا لتكرار الماضى ولتلقى فشل آخر يمكن أن يكون النهاية . ومن هذه النقطة فهو رافض أيضا لأى طرف يتدخل فى هذا الشأن ولأى سبب مهما كانت نتيجته . حتى لو كان الثمن الأخت الوحيدة وحرمانها من الزواج . بالإضافة إلى أن عدم موافقة الأب على زواج ابنته كان سببه الأساسى الخوف من الابن على زوجته الشابة وهو سبب يوضح مدى ظلم الأب فى اختيار زوجته الثانية وعدم التكافؤ بينهما حتى يصل الأمر أن يخشى عليها من ابنه الذى يحمل اسمه ويجعل الابنة رهينة بالبيت . جعلها ورقة رابحة يلعب بها أمام الابن الشاذ الذى يرفض أمرا أبويا حيث كان ذلك يعد شذوذا . وعلى ذلك فالفتاة لا حيلة لها أمام ذلك الجبروت سواء من قبل الأب أو من ناحية الأخ .

ولكن فاطمة تكون قد وصلت إلى مرحلة من اليأس يصعب معها إحكام العقل وهى تخشى أن تصل إلى الهاوية . ترى أنه لا أمل فى ذلك البيت رغم أن شريفة تقف بجانبها تماما وإن كان ذلك لمصلحتها الخاصة ... ولكنه صوت يضم إلى صوتها . ولكن هل للمرأة أصلا صوت يعتد به ؟؛ ربما جال بخاطرها هذا اليأس أيضا مما دفعها وقد خلعت ثوب الحياء ولها العذر فى ذلك أن تعرى الموقف تماما دون الاهتمام بالعاقبة :

فاطمة : شفهمت .. شتبينى أفهم أنا منك .. تبينى أفهم ماعندك رجولة ..
أنا أختك .. أنا عرضك .. أنا إذا قمت ماتزوجت دمرت حياتك ولعبت
بشرفك .

ثم تضيف فى موقف آخر

تبى الناس تأشر عليك بالشارع وتقول هذا أخو فلانة

لقد وصلت فاطمة فى هذا الحوار إلى ذروة التعبير عن شعورها الدفين بلا حرج ، وذلك كرد فعل ونتيجة لما صرح به الأخ وأغلق أمامها أبواب الأمل جميعها . فلم تجد مخرجا سوى أن توجه نفس السلاح وهو الصراحة المكشوفة فإن كان الأخ قد ضحى بها ، ففى يدها سلاح تخشى استعماله إن مر الوقت دون ان تتزوج ، لكنها الآن تهدد بأن تستعمله وسوف تكون العاقبة وخيمة . ستلصق به هو . فهو الرجل ولابد أن يتحمل . سواء فى سبيل سعادتها وإما نتيجة تعاستها وعليه الاختيار . فقد جعلها اليأس تلقى بإحساساتها الداخلية وتعامل الأخ وهو الرجل الثانى فى البيت بوجه مكشوف ولم تقف الجرأة عند هذا الحد . بل تعدته إلى الرجل الأول وهو الأب ، فهى لم تجد نتيجة من الصمت والانتظار فلا غير قول يفجر الموقف ولن تخسر شيئا إن لم يسفر هذا القول عن تعديل فى الموقف، وربما تظفر بتحقيق الرغبة . كذلك فإن اعترافاتها هذه تكون بمثابة ثقل وأزيح عن كاهلها وعلى ذلك تستمر فى الحوار المكشوف ليصل إلى الأب ؛

فاطمة : احنا عيالك يابه .. كل اللى فينا منك إنت

هكذا تصل فاطمة بحوارها إلى حد الاتهام ، ولمن ؟ ؛ للأب الذى يعد نفسه الآمر الأوحد . فهو هنا يتلقى التهمة مباشرة . ويكون الدافع هنا تفريغ الشحنة الانفعالية للأخ. وبدخول الأب وثورتها مازالت مشتعلة فتصيب الأب بقدر منها ولو بسيطا ولكن معناه قاتل .

هكذا كان الصراع بألوانه المختلفة من أجل الزواج . دائرة كل حلقاتها مفرغة تحتاج لمن يملؤها، ولكن تشوبها العقبات التى تولدت من عادات موروثة تراضتها الأجيال وهى ليست على استعداد للتخلص منها مهما كانت النتيجة ، وذلك واضح من خلال المسرحية .

إن حوار فاطمة مع الرجلين أحدث نذيرا للخطر القادم يخشاه كل منهما إذا لم تتخذ خطوة إيجابية نحو تحقيق رغبة فاطمة التى بلغت من السن ما يجعل الشباب يحجم عن التفكير فى مثلها، وذلك بعد أن رفض الأب عبد اللطيف الذى ينتمى إلى زمرة الشباب وربما يكون آخرهم .لابد أن الرجلين قد فكرا طويلا فى حوار فاطمة لكل منهما

والذى يشوبه التهديد . ولكن تأثيره للأخ يفوق بكثير ماأحس به الأب الكهل الذى عاش حياته إلا قليلا . ولكن داود وهو الشاب الذى ينتظره مستقبل لم يخط فيه بعد خطوة واحدة والذى يعد المسئول قبل أبيه عن هذه الأخت حيث إن الأب مشغول بامرأته الشابة وأولاده الصغار الذين يود تربيتهم . هذا الأخ داود هو المسئول الأول وربما الأوحد عن هذه الأخت التى أصبحت تشكل له من الحظورة مايجعله يقبل الزوجة التى اختيرت له والتى لم يكن له رأى فيها . بل يتم زواجه لكى يزيل العقبة التى تحول بين إتمام زواج أخته من عبد اللطيف التى تعده بدورها هدية لن يجود الزمان بمثله بالقياس للعمر الزمنى. وهذا الزواج يعد بحقيقة أول انتصار فى محيط العائلة والذى لم يكن متكافئا تماما ولكنه يتم عن اقتناع من الطرفين : عبد اللطيف الذى ذهب خاطبا عن طيب خاطر ، وفاطمة التى ارتضته قبل موافقة أبيها ، بل ورأت فيه أملا غاليا تمنت أن يتحقق ، وعلى ذلك نجح هذا الزواج وصمد حتى النهاية دون إثارة أية مشاكل . بعكس داود وزوجته الثرية التى اختارها الأب ، ورغم ماتتمتع به من جمال إلا أن الطرفين أو الزوجين لم يتفقا تماما وخصوصا من جانب داود . وربما كانت الزوجة مقتنعة ولكن رابط الزواج لابد أن يتوافر له الوفاء بين الطرفين . ونتيجة لذلك أن يفترق الزوجان وهما مازالا فى الشهور الأولى من زواجهما . افترقا وهما داخل البيت . فكل منهما اتخذ مكانا للمبيت بعيدا عن الآخر وهذا يعد منتهى الشعور بعدم الرضا . ويمكن أن يكون ذلك من طرف الزوج فقط. والزوجة هنا تجد نفسها مضطرة لهذا التصرف بوحى من كرامتها فهى مرفوضة من الزوج . وربما حأولت مرارا إصلاح ذات البين ولكنها تلجأ أخيرا إلى اتخاذ هذا المكان المنفرد كى لا تكون حملا ثقيلا عليه ولكى تثبت له أنها ليست أقل منه فى شىء . يكون ذلك حينما يكاد داود ان يفيق من حلم مزعج استدعى من خلاله بعضا من الماضى الذى لم يكن بحال من الأحوال أكثر حظا من هذا الحاضر .. استدعاه ليعيشه ويجد فيه متنفسا يهرب من خلاله ، من هذه الحياة المرفوضة ولو لساعات بعيدا عن الناس . ولكنه لا يجد فى ذلك الماضى سوى التكرار للحاضر، ولا يخرج منه إلا بذكريات مؤلمة تتجسد فى سوء معاملة الأب للأم . وهاهو يكرر حياة أبيه بزواجه من بدرية :

داود : ( يتحرك وهو على السرير .. يصرخ ) تعالى .. تعالى يمه .. ( تتضح الرؤيا ويأتى الأب من الداخل تتبعه شريفة خائفين فزعين )

شريفة : ( خائفة ) بسم الله الرحمن الرحيم

داود : آه .. آه .. آه ..

الأب : ( يكلم داود بحنان ) داود .. داود .. داود .. شفيك ييه وين ولت زوجته؟

شريفة : نايمة داخل

داود : ( ينهض وينظر للأب بحدة ) إنت ليش ماتتركنى وتفكنى ليش لاحقنى حتى بنومى .. إنت تعذبنى .. أنا ماأبى منكم شىء .. فكونى .. ارحمونى .

هكذا تولد عن هذا الزواج المفروض على داود والمقبول رغما عنه تلافيا لحدوث مالا يحمد عقباه من قبل فاطمة بعد هذا التصريح الذى لم يغير فى الأب شعورا . ولكن داود يتحمل نتيجته وحده وهاهو يجنى الثمار تعاسة ونكدا وما أشبه ذلك ، ويصل إلى حد الكراهية لزوجته التى لا ذنب لها ولم يمض على زواجها كثير، واصبحت ضحية وهى تشعر بانها فد فرضت عليه . وهاهى تعيش المعاناة بكل مافيها من مرارة وذل واحتقار من الزوج فما ذنبها إلا أنها زوجته .

لقد تزوجت فاطمة عقب إتمام زواج داود كما سبق أن وعد الأب . تزوجت من عبداللطيف الذى ارتضته وارتضاها وعاشا سعيدين ، واطمأن الأب على زوجته بوجود بدرية زوجة ابنه فهى بديل فاطمة وحارس على داود، ولكن هاهو الفشل يهدد هذا الزواج من البداية ولم يكن يخفى على شريفة ذلك دون ان تعلم الأب . يدخل الأب وزوجته على صوت الصراخ الصادر من داود ليجداه غارقا فى النوم مصارعا لأحلامه التى أفقدته شعوره . تخاف الزوجة من الموقف فى حين الأب ببقايا أبوته لداود يطمئن عليه موقظا إياه كى يفيق من هذا الحلم المزعج ولكنه يفاجأ أيضا . فابنه ينام وحده ، وأين زوجته إذن. وترد بدرية بأن زوجته تنام بالخارج ليفيق داود من تلك المعركة التى هزته وحطمته ليجد الأب وزوجته أمامه فلا يجد سوى ان يكيل للأب بما فى داخله معلنا رأيه بصراحة تخيف الزوجين فيهربا . إذن فالأب يشاهد بعينيه الفشل السريع نتيجة اختياره هو وزوجته لزوجة ابنه دون أن يشاركه الرأى وقد نسى أو تناسى أن الزمان قد دار بعجلته

مع التقدم الحضارى والإعلامى مهملا إياهم متمسكا بحقه الذى ورثه من الآباء والأجداد الذين مارسوا عليه نفس الضغوط من قبل . ورغم أنه عانى منها أثناء زواجه ولم يكن موفقا فى حياته الزوجية ، وربما كان ذلك نتيجة الاختيار المستبد إلا أنه يكرر مأساته الزوجية مع ابنه ولم يعطه الحق الذى لم يستطع هو أن يعلنه مع أبيه . ليس هذا فقط ولكنه لم يعطه الحق الذى أعطاه لنفسه حينما تزوج شريفة والتى كانت من داخله دون مشاركة سواه . يرى الأب هذا الفشل فى زواج ابنه الذى يصل إلى حد الهجر وهو مازال حديث الزواج ثم يتقبل الهجوم الذى يوجهه داود دون دفاع من قبله لأنه لم يجد مايقوله. ربما لأنه شعر بالخطأ . ومايهمنا هو الوصول إلى هذه الصورة من الزواج الذى تم من طرف أجنبى غريب وهو الأب بعيدا عن داود وهو الزوج الذى سيعيش تلك الحياة دون أن يشاركه أبوه فيها . وهذه الصورة لم تكتمل بعد فملامحها مازالت غير واضحة .

ومن الموقف التالى سوف تكتمل الخطوط التى تجسد هذه الصورة من خلال الزوجة بدرية والتى تعد شريكة لداود فى هذه الحياة الزوجية . فلابد أيضا أنها تشاركه المعاناة.وحتى إذا افترض أنها مقتنعة بهذا الزواج فالطرفان لابد أن يكونا على وفاق حتى تستمر الحياة .ويكون لبدرية دور فى هذا الفشل وإن لم يكن لها يد فيه ولكنها مضطرة للخوض فى هذا الطريق الوحيد دون ان تجد بديلا، وبمنطق الرفض للعادات القديمة ومن منطلق الوعى الحضارى تتمسك بدرية بحقها وصوتها المعلن عن هذا الحق، بل وتتخذ خطوات إيجابية كان من الصعب على سابقيها أن يخطوها لأن الزوجة كانت فى الماضى طيعة ولو سلبت حقا أو كل الحق .. فبدرية بعد أن ينقضى الليل الثقيل بأحلامه المزعجة وهروب الأب و زوجته من داود . تستعد لترك بيت الزوجية نتيجة معايشة المستحيل مع زوج فقدت معه كل معنى للحب ولم تشعر به كزوج فكان لابد أن تتخذ هذه الخطوة :

بدرية : ( تدخل غاضبة وتفتح الخزانة وتخرج ملابسها وعباءتها )

شريفة : ( تدخل ) بدرية .. العقل زين

بدرية : خلاص .. أنا ماأقدر أصبر أكثر .. مليت

شريفة : بس توكم متزوجين .. حرام يابدرية .. لازم تأخذينه بالسياسة .

هكذا تلجأ بدرية إلى الهروب من بيت الزوجية الذى لم يعد يحمل أى معنى لتلك التسمية ، ولم يكن كذلك منذ إتمام الزواج الذى بنى على خطأ والذى تم لا لشىء سوى

تنفيذ رغبة الأب ولإنقاذ مستقبل الأخت المرهون بذلك الزواج الذى قتل منذ اللحظة الأولى وأثمر ضحيتين عاش كل منهما فى طريق لا يلتقيان أبدا .

ومن العجيب أن شريفة زوجة الأب هى التى تتدخل لمنع ذلك الخلاف . ولا عجب فى ذلك فحياتها مستقرة طالما وجدت بدرية . وبدونها لن تضمن لنفسها وجودا فى هذا البيت . فبدرية صمام الأمان بالنسبة لها . ولذلك تحاول أن تجعلها تعدل عن ذلك التصرف وفى نفس الوقت تكون فى موقف المدافع عن داود لخلق بصيص من الأمل فى نفس بدرية وبث الخوف من نتيجة هذا القرار من جانبها وهى التى لم يمض عليها كزوجة وقت طويل مما يجعل صدى هذا التصرف فى غير صالحها . ولكن بدرية الزوجة إسما فقط تبوح بما فى داخلها . وإذا كانت شريفة قد طلبت الصبر فهى تعترف بأنها قد عاشت هذا الصبر بما فيه الكفاية . بل عاشته إلى قمته ، ولم يتبق منه شىء يمكن أن تعيشه حتى أنها سأمت حياتها فى هذا البيت .

ولم يكن الزوج داود أقل منها إحساسا بفشل ذلك الزواج الذى وجد فيه عبئا ثقيلا غير مرغوب فيه يحمله كرها ولا يجد مناصا من الهروب منه سوى إهمال واجباته كزوج وعدم الاهتمام بزوجته كإنسانة والتى يشعر بأنها قد فرضت عليه مدى الحياة ، إن هى صمدت . ولذلك فهو من جانبه يسلك كل الطرق التى تجعلها تنفر منه فهو يرى بدرية وشريفة ويسمع ما يدور بينهما ولا يحرك ساكنا وكأن الأمر لا يعنيه .. منتظرا لمن يكون النصر . وتكون لها الغلبة متمنيا ان تكون المنتصرة بدرية . فبرحيلها يرحل عنه هذا العبء الثقيل وتكون قد حملت عنه ما كان يتمنى أن يحدث :

داود : ( ينتبه ويجلس على فراشه وينظر إلى الاثنين دون ان يتكلم )

ويستمر الحوار بين بدرية وشريفة التى تهدئ من روعها مهونة عليها تلك الأهوال التى تحسها وتيسر لها أمورا تراها غاية فى الصعوبة ولكن دون جدوى فهى مصرة تماما على ترك البيت الذى سلبها كيانها وأهدر كرامتها كزوجة من عائلة . وتتبادلان الحوار الذى يكون داود طرفا بارزا فى تلك المشكلة .

داود : بتقصدين تحققين وياي .. هذا ما لا أرضاه

بدرية : أنا ما أكلمك .. أنا خلاص .. ماكو فايدة فى الكلام أروح لأهلى .

فداود هنا لا يقبل مجرد الحديث معه من زوجته واصفا حديثها معه أنه تحقيق يكون من خلاله هو المتهم والزوجة هى المحقق . هكذا يكون حكمه على كلام الزوجة وهو يدل هنا على مدى النفور من التعامل معها ولو لسؤال عابر ويقرر أن الرفض من ناحيته سيكون هو الرد.

ولكن الزوجة بردها على داود تكون قد أكملت الصورة التى رسمها الكاتب لها من خلال زواج يتم نتيجة تخطيط من الآباء دون الرجوع إلى من يعنيهم الأمر ولو لمجرد التشاور أو السؤال . فهى تقرر أن حديثها ليس موجها إليه أى أنها قد أسقطته من حسابها أو حياتها ولو مؤقتا . فهى تصرح أنه لا فائدة من أى شىء . حتى الكلام لم يعد يجدى وأن الخلاص هو اللجوء لبيت الأهل والعودة إلى القاعدة التى سوف تجد نفسها ثانية كما كانت من قبل وتكون الآمال قد خابت .

ويجد داود فى هذا الموقف مأربه وقبل أن تؤثر شريفة عليها وقد وصلت إلى هذه النقطة . ومن منطلق كرهه لها وللحياة بصفة عامة ومادامت هى ضلعا فيها لا يتردد فى أن يلقى ببعض كلمات تكون دافعا وحافزا لعدم قبول أية نصيحة من شريفة . فهو يرى الحدث الذى سيمنحه الاستقلال يتصاعد ولا يريد له الانحدار .فما يكاد يصله منها الرغبة فى ترك البيت والذهاب إلى الأهل حتى يبادرها بقوله :

داود : ياالله ( ينهض ) بتروحين لأهلك .. مع السلامة

شريفة : اذكروا الله .. ليش تصيرون يهال

داود : مافي تقارب بيني وبينها .. كل شىء يرجع لأصله .. (يذهب للداخل) ..

يساعد داود زوجته فى البداية على تنفيذ القرار الذى اتخذته بالموافقة للذهاب إلى الأهل والتى تحمل أكثر من معنى . فهو يوافق زوجته على مغادرة البيت وهذا فى ظاهر الحوار ، ولكن ما بداخله يبرز أن قرار الزوجة هذا طال انتظار تحقيقه وهاهو اليوم ينفذ وكأن هذه الموافقة بمثابة الطرد . حتى إذا تدخلت زوجة الأب للتوفيق بينهما لم يترك داود الفرصة لبدرية أن تتدخل لا تضعف في موقف اتخذته بحزم وجدية فيكون الرد من جانبه وهو شاملا الإحباط للمرأتين معا . فهو يعترف لشريفة أن مغادرة الزوجة للبيت هو الحل الوحيد لعدم توافر التقارب بينهما . وهذا يجعل استمرار الحياة الزوجية مستحيلة . واذا

كان هذا الاعتراف ردا على نصيحة شريفة فهو أيضا يسمع بدرية التى ماتزال تجمع حاجاتها مما يجعل لهيب الثورة التى تشتعل داخلها تزداد وتفشل معها أى محاولة من شريفة لعدول الزوجة فيما اتخذته من قرار .ثم أيضا يكون قد كشف صراحة عن شعوره ناحيتها وإن كانت قد عاشت هذا الشعور من قبل ولكن كان من المحتمل تكذيبه إن أثبتت الأيام عكسه . ولكنها فى هذا الموقف تؤكد ما أحسته من قبل وإن كان بداخلها بعض من أمل فى التغيير . فهاهو داود قد قطع بكلماته هذه ماتبقى من أمل بل زاد حينما طلب رجوع كل منهما إلى أصله . أى أن لا رجاء في العدول عن هذا القرار . وإذا كانت بدرية فى هذا الموقف لا ذنب لها إلا أن المسئولية تقع كاملة على الرجل الذى يصعب تغيير موقفه . بعكس المرأة التى يمكن أن تتعايش مع الواقع إذا ماكان الطرف الآخر وهو الرجل مبديا رغبة فى استمرار الحياة بإيجابية تجعل المرأة تتقارب لهذه الحياة . وإذا مالم يستطع الرجل قبوله فى هذا الموقف .

يصل الأمر إلى مرحلة التأزم بالرغم من توافق الرغبة لدى داود وبدرية فى مغادرة البيت . وتفشل شريفة فى التغيير ، وهى هنا تخشى على استقرارها من الانهيار بسبب ماسيكون فى الوضع الجديد . فلن يقبل زوجها على أن يجمع البيت بينها وبين داود منفردين . فإما هى وإما الابن . وسوف ينتصر الابن الذى وقف موقف الند لأبيه هذه المرة بعد فشل اختيار الأب وسوف تكون هى الخاسرة . ولكنها قد بذلت أقصى ما يمكن من معسول الكلام وقد انتهى الأمر .

وقد ارتضى داود هذا الواقع حتى أنه بعد أن اعترف أمامها برأيه . لم ينتظر لسماع الرأى الآخر بل تركها وانصرف مما يدل على أنه لا يرغب فى استمرار الحوار . ورغم أن شريفة تستمر فى إسداء النصيحة لبدرية التى تشعر بأنها قد طعنت فى كبريائها لتضع حدا فاصلا لهذا الموقف :

بدرية : إذا الزواج هالشكل أنا ما أبيه

داود : ( يعود وهو ينشف وجهه ويديه ) « يخلع قميصه ويفتح الخزانة ويأخذ جلبابه ويرتديه ثم يكمل ارتداء ملابسه »

الأب : ما انتو « يدخل » ما انتو متعودين من الشيطان

داود : يبه خلاص .. كل شىء انتهى

بدرية : « تلبس عباءتها وتأخذ ملابسها » ودونى لأهلى

الأب : صبر

داود : يبه أرجوك لا تتدخل ، خلينى أتصرف .. هذى حياتى واختصاصى

الأب : بس يأوليدى زوجتك معاها حق

بدرية : مايفيد عمى

إن الموقف قد اتخذ بعدا آخر فى تدخل الأب الذى بيده كل شىء واجتمعت الأطراف كلها وفى حين تكون بدرية قد اتخذت قرارها بعد سماعها لكل ماقيل برفض الحياة الزوجية بهذه الصورة فى حين أن الزوج داود لا يعير ما حدث اهتماما يذكر فهو يستعد للخروج كعادته . ويتدخل الأب محاولا إعادة الأوضاع على ما كانت وهو يحمل الشيطان تبعات ما حدث أو يحدث وفى داخله ثقة فى أن ينهى هذا الخلاف . على الأقل هذا ما ورثه عن الآباء فالأب له الكلمة والباقون عليهم الطاعة مهما كان الموقف ، وهذى إحدى سلطاته التى لا تعلوها سلطة ، وقد نسى هذا الأب أن دوره قد انتهى وأن إتمام زواج داود كان آخرها وكان يمكن إلا يتم لولا وجود الأخت طرفا فيه .وهاهى فاطمة قد تزوجت وأصبح هو الآن حرا طليقا يتصرف بإرادته دون ضغوط أو تهديد . وهنا يرد على الأب حينما يريد الإصلاح مصرحا له بأن كل شىء قد انتهى وهذا قرار لا رجعة فيه وعلى الطرف الآخر « بدرية » أن تطلب مغادرة البيت على أن يكون بصحبتها أحد . وكانت هذه هى العادة المتبعة . ويحاول الأب تهدئة الموقف ملاطفا بدرية دون توجيه اللوم لداود وهو يتمنى أن يكون الصبر وسيطا فى هذا الموقف . ولكن داود يكشف له الحقيقة التى تبين أن كل مايحدث يخصه هو ولا أحد سواه . وأن هذه هى حياته وهو يريد أن يستقل بها ويقرر بشأنها ما يراه وما يحسه دون تدخل من أحد ، ويكون هنا قد خرج عن فلك الأب تماما . ومع موقف داود المتشدد يكون الإصرار الذى لا رجعة فيه من قبل بدرية ، ويكون لها النصر فى هذا الموقف لتنفيذ ما أراد والفشل من جانب شريفة والأب الذى انتهى سلطانه .

ولتأكيد التخلص من الموقف نهائيا لا يدع داود للأب فرصة اصطحاب بدرية لبيت العائلة فربما يمكنه التأثير عليها فى الطريق وإعادتها مرة أخرى وفى هذه الحالة لن يجرأ

على طردها لاحترام الارتباط الذى وافق هو عليه . ولأنها فى هذا الموقف قد طلبت بنفسها ترك البيت وما كان عليه هو إلا أن وافق على رغبتها . اذن فهى التى طلبت مغادرة البيت بمحض إرادتها وهى فرصة تندر أن تتكرر ثانية . وعلى ذلك يسارع هو فى اصطحابها حتى لا يكون أمامها فرصة للتراجع أو التأثير . بل يمكن أن يكيل لها ما لم يستطع قوله فى بيته لقطع خط الرجعة نهائيا . دون التفكير فيما يمكن أن يحدث بعد هذا الوضع الجديد . فهو من ناحيته واثق من موقفه فى البيت لأنه ينظر إلى شريفة امرأة أبيه على أنها فى منزلة أمه ، وهذا ما لم يتوافر لدى الأب . وينتهى الأمر بأن تترك بدرية البيت بعد أن فاض بها الكيل ، وهذا ما يوافق رغبة داود . وعلى الجانب الآخر يتبقى الأب وزوجته الذى هز هذا الموقف استقرارهما وخصوصا من ناحية الأب الذى لا يأمن ابنه على زوجته ، وهذا بالطبع بسبب عدم التناسب فى هذه الزيجة . كما هو واضح فى المسرحية فهو رجل قد بلغ من العمر أرذله وهى مازالت فى مقتبل العمر حتى أنها تقارن بينها وبين الابنة فاطمة على أنها تكبرها .. ثم إن داود ينتمى إلى الشباب . وعلى ذلك فالأب يرفض وبشدة وجود ابنه مع شريفة وحدهما حتى أنه لا يفكر فيما حدث لداود وزوجته بل فكر على الفور فى استدعاء فاطمة ابنته وقد نسى أو تناسى أنها أصبحت زوجة فى بيت رجل آخر . ولكن هذا ما طرأ على فكره :

الأب : اتصلى بفاطمة .

شريفة : ليه .. الحين

الأب : والله ما أدرى شمسوى .

لقد شتت ما حدث فكره حتى أنه لم يعد يدرى ماذا يفعل أو ما هى الخطوة التالية التى سوف يخطوها . كل مقصده الآن هو إحلال فاطمة مكان بدرية وليكن ما يكون . وعندما تسأله الزوجة عن السبب وهى أعلم به لا يجد ما يرد به فقد ملكته واختل أمامه ميزان الطبيعة التى نشأ فى أحضانها مقدسا تقاليدها كغيره من أبناء جنسه وجيله ، وقد تناسى أن هذه الطبيعة قد تغيرت عن الماضى بعوامل كثيرة كما غيرت الإنسان نفسه . وتحضر فاطمة مع زوجها ليشاركا الأب مأساته التى يجد نفسه عاجزا عن فعل أى شئ ويدور الحوار الذى تعترف فيه الأخت بسر فشل هذا الزراج :

فاطمة : إذاً تبون الصح .. إحنا كلنا مقصرين .. أهو ما كان لازم يتزوج .

الأب : شها لكلام هذا .

فاطمة : فعلا الزواج بالغصب ما يفيد .

إذن فقد وضحت الصورة . فإن داود لم يتزوج راضيا بل رضخ تحت إلحاح الأب ومطلب الأخت حيث وجد نفسه عقبة فى الطريق وعلى ذلك نفذ تلك الصفقة وهو يعرف مقدما أنها خاسرة ولكنها التضحية المطلوبة من كافة الأطراف .

ويشتد الصراع بين العائلة مكتملة كلها فى صف وداود وحده فى ناحية أخرى تكون بغيتهم العمل على الوفاق الذى يرفضه تماما وهو وحده والأمر فى ذلك الحين بيده وقد تحرر من أغلال والده وغير مستعد فى الدخول فى دائرة ثانية حتى يصل الأمر إلى أن يقولها كالصاعقة بعد نقاش حاد :

داود : لكن ما علىّ منكم .. أحصل على السعادة اللى أبيها لكن هذا لازم أكون أقوى منكم .. علشان أتجاهلكم وأضع حياتى بإرادتى .. أنا خلاص ( يصرخ ) .. أنا ما أبى بدرية .. طلقتها .

وينهى الكاتب المسرحية عند هذا الحد بعد أن اكتلمت الصورة للمرأة من خلال الزواج الذى أشار فيه من خلال هذه المسرحية لثلاثة نماذج للمرأة وهن : فاطمة تلك الفتاة التى عاشت على أمل هو حق لها حتى كاد أن يضيع منها إلى أن أعلنت الثورة على الكل بجرأة تارة والتوسل تارة أخرى لتحصل أخيرا على هذا الأمل وتنجح فى حياتها . كان هذا النجاح والاستقرار بسبب التوافق بين الطرفين : الزوج الذى ذهب للأب خاطبا ورفض وأعاد الكرة إلى أن تم هذا الزواج . وكذلك فاطمة التى رأت فى عبد اللطيف الأمل الأخير ، وهو يتقدم إليها من الشباب ولوضاع فالآتى بعد - إن وجد - سوف يكون من الشيوخ . ثم شريفة تلك الزوجة التى ارتبطت بالأب بعد وفاة زوجته الأولى والتى لم يكن مقتنعا بها إطلاقا . وإن لم يشر الكاتب إلى السبب ، ولكن يمكن القول أن عدم الاقتناع كان سببه المباشر إقام الزواج بناء على اختيار الأهل حيث كان على الزوجين الطاعة دون نقاش لأن العرف يقول ذلك إلى أن يكتشف الحقيقة التى تكون من المرارة على الزوجة أكثر من الزوج وعليهما أن يتقبلاها . ولو استطاع الأب أن ينهى حياته

الزوجية مبكرا كما فعل داود ما تردد . وها وقد حلت شريفة الفتاة التى تقارب الابنة فى السن . ويتم الزواج أيضا بناء على طلب ورغبة الأب فى الزواج من هذه الفتاة ويكون المال دافعا على القبول من ناحية الأهل فهو فى تصورهم نعم الرجل والزوج الذى يمكنه أن يهيئ للبنت مستقبلا سعيدا متناسين فارق السن إذ يمكن للمال فى هذه الحال أن يعوض السن والشباب فى كثير .

وكان نتيجة هذا الزواج عدم التكافؤ الذى يولد الغيرة من قبل الزوج حتى أن الشك يصل به إلى ابنه ، بحيث لا يوصف بالاستقرار لأن الشك يكون قائما فى أية لحظة ومدمرا هذا الزواج فى لحظة أيضا . بالإضافة إلى أن هذا النوع من الزواج قد تمخض عن نسل مشوه ، وهذا وحده دمار لمعنى الزواج الذى لم يؤت ثماره ناضجا .

أما النوع الثالث والأخير فيتمثل فى بدرية تلك الزوجة التى مارس الأهل عليها هوايتهم فى اختيار الرجل المناسب الذى لم يكن هو الخاطب بل الوالد بالطبع دون الرجوع إليها وإن كانت ستوافق حينما سألوها فهى لم تكن مخطئة فى تصرفها بأن تركت البيت، بل لأنها وصلت إلى درجة اليأس مع هذا الزوج الذى لم يكن على استعداد لمجرد الكلام معها . وأتموا الزواج ربما دون أن يسأل داود عن رأيه فى العروس فهو ينفذ رغبة أبيه فى استيراد فتاة تحل محل الأخت فاطمة وتسمى زوجة . حتى يتسنى الزواج للأخت وإلا فلا. فكان دور داود التضحية من أجل إنقاذ الأخت ومن أجل الخوف من العار الذى تهدد به الأخت . وعلى هذا الأساس كان الفشل نهاية هذا الزواج الذى لم يدم طويلا .

ومن الملاحظ أن البناء الدرامى للمسرحيتين كان مجرد تجسيد لأفكار الكاتب وتابع لها ، وذلك أن غاية الكتاب المسرحيين كانت منصبة على الأنماط الاجتماعية التى ميزت صورة المرأة الكويتية المعاصرة . ولذلك فإن الخطوط الدرامية المشكلة لنسيج المسرحيات كانت بمثابة الخيوط التى علقت عليها هذه الأفكار والمضامين والاتجاهات الاجتماعية ، ونظرا لأن المسرح الكويتى مسرح ناشئ ، إذ لا يزيد عمره على ثلاثين سنة . فإنه لا يتوقع اتجاهات طليعية أو حتى مستحدثة فى مجال البناء الدرامى أو الشكل الفنى . بل كان الشكل مستمدا من الأشكال المسرحية المعروفة عالميا والتى أصبحت تقليدية إلى حد كبير . ولذلك فهو مسرح أفكار وأنماط اجتماعية فى المقام الأول . ولكن التوقع مع مرور الزمن وتعميق التجربة المسرحية قوميا أن يرسى المسرح

الكويتى تقاليده الخاصة به والنابعة من الممارسة العملية . ولذلك كان التركيز فى هذه الدراسة على المضمون الاجتماعى ممثلا فى الملامح المتعددة لصورة المرأة فى المسرح الكويتى ، إذ أن المرأة محك خطير يمكن أن تقاس به حركة المجتمع ككل . بل ويقاس به إنجاز المسرح الكويتى أيضا .

# الفصل الثالث

## ( الاستقلال الفكرى)

لا شك أن الإنسان تتحكم فى تكوين شخصيته مواقف متعددة منذ نشأته إلى أن يشب فتيا ويصل إلى عمر تسمح له بتكوين رأى مستقل ناضج نابع من داخله معبرا من خلاله عن احتياجاته سواء المادية أو المعنوية . وهذه المواقف يتلقاها باختياره ومنها ما يفرض عليه ولكن لايبقى بداخله سوى الذى يتقبلها وما عداها فمواقف عابرة سرعان ما يتخلص منها . وله فى ذلك الحرية المطلقة حيث لا سلطان من الغير على الفكر والعاطفة التى لا تتكشف إلا لصاحبها دون سواه . وقد أثبت لنا تاريخ البشرية صحة ذلك متمثلا فى طائفة العبيد الذين كانوا ملكا خالصا للبشر من أبناء جنسهم كما يتملك الطفل الدمية يفعل بها ما يشاء وقتما يشاء فكان هؤلاء العبيد يفعل بهم مثلما الدمى . وقد استطاع السيد أن يمتلك من العبيد كل شئ ماعدا الفكر الذى يعد نعمة تجسد معنى الحرية . ومثال ذلك فى الإسلام كثير كبلال الحبشى وعمار وآل بيته الذين اختاروا المنهج. ولم يستطع الأسياد العدول بهم عن ذلك حتى بالموت .

إذن فالفكر لدى الإنسان نابع من ذاته ولوكان موجها فلن يتقبله المرء إلا إذا اقتنع به تماما . وهذا الفكر يعد مكونا لشخصية الإنسان ومطورا لها مادام قائما . وعلى ذلك فما يخص الإنسان لابد أن يخرج من داخله أو على الأقل يكون له دور فى صنعه . أما إذا عرض ذلك الفكر ليشكل المستقبل وصاحبه رافضا إياه فسوف يتحطم ذاتيا نتيجة عدم قبوله . إذن فالاستقلال الفكرى ضرورى لاستمرار الحياة الكريمة التى تبنى على إقتاع واقتناع وهما بمثابة قوتين اتحدتا لتفرز الرغبة الذاتية ..

وصورة المرأة فى المسرح الكويتى فى هذا الفصل عامة والاستقلال الفكرى لها على وجه الخصوص والتى رسمها الكتاب المسرحيون لها سواء بالسلب أو الإيجاب

تتجسد فى أكثر من نص .. منها مسرحية غلط ياناس عن فكرة عبد الكريم مراد . للكاتب المسرحى عبد الرحمن الضويحى ، وقد عرضت عام ١٩٦٥ ( فرقة المسرح الحر ) لمدة اثنتين وعشرين ليلة .

يتعرض الكاتب من خلالها لقضية سيطرة المال على الفكر من قبل الرجل الذى يفرض رغبته فى الزواج من فتاة جامعية مستغلا حاجة والدها الملحة للعمل لديه . فهو مصدر رزقه الوحيد . ويساومه الرجل « أبو وليد » بين بقائه وزواجه من ابنته الجامعية «ليلى» التى خططت لحياتها الزوجية مع زميل الدراسة «حسنى» ، ويصر أبو وليد على تحقيق رغبته يسانده فى ذلك ثروته التى اعتقد أنها تحقق له المستحيل ويشترى بها كل شئ حتى الإنسان .ويتشتت فكر الرجل أبو على حينما يقدم لابنته هذا العرض الذى لا يكون من داخله مقتنعا به . وأمام زوجته التى لم تكن أمها ، ترفض الابنة ولا تقتنع الأولى بهذا الرفض من قبل ابنة زوجها ليلى . فهى ترى فى هذا الزواج صفقة إن تمت فسوف تحقق لها الحياة الكريمة التى تصنع لهم المستحيل ، وأمام اصرار الابنة على الرفض وتحدى زوجة الأب ووقوف الأب بينهما تتملكه الحيرة إلى أى الجانبين يكون ميله حتى يكون قراره فى مساندة الابنة والوقوف بجانبها وليكن ما يكون .. وتهدد وتقرر زوجة الأب بأن الطلاق هو الثمن فى حالة عدم إتمام هذا الزواج .

ويصر الأب ويتمسك بموقفه تجاه ابنته . وتطوى الأيام هذا الحدث لتنتقل ليلى لبيت عمها بعد وفاة الأب واختفاء زوجته ليعاود العم الكرة ثانية بشأن هذا الزواج الذى يختار له ابنه المعتوه زوجا للابنة ليلى . وبرغم معارضة الأم وهى الزوجة الثانية للعم .. وتكون ليلى مؤيدة لقرار زوجة عمها . ولكن إصرار الرجل يظل قائما ، وأيضا أمام هذا الرفض تكون المساومة إما الابن المعتوه أو أبو وليد مرة أخرى ، ذلك الرجل الذى اتخذ من الزواج لعبة وهواية طالما سانده المال . ويشتد الضغط على ليلى ويتقدم الشاب حسنى الذى ارتضته الفتاة شريكة لها إبان دراستها فى الجامعة .. ورفض العم هذا الغريب بحيث لا يكون أمام ليلى سوى الاستسلام والرضوخ للزواج وعليها يقع الاختيار مابين اثنين ابن عمها المعتوه أو أبو وليد .. وينتصر الأخير الذى لا يبغى سوى المتعة فقط من وراء هذا الزواج وليس بناء أسرة وذلك على كره من ليلى .

ويتم الزواج الذى بنى على باطل رغم موافقة الفتاة والذى لا يكون فيه ولو خيطا

رفيعا يربط ما بين الزوجين . فالرجل يرغب فى أن يحيا كما يحلو له دون نقاش . وحينما تطلب مناقشته يكون الاتهام بالخيانة مع الخادم «سلطان» الذى يتلقى الطعنة بدلا من الزوجة حينما أراد أبو وليد التخلص منها انتقاما للشرف الذى صورت له نفسه أنه تلوث وتكون النهاية المؤلمة حيث بينها الكاتب فى مسرحيته .

ولا شك أن المسرحية تكشف الصورة واضحة لأكثر من نموذج للمرأة التى يسيطر الرجل فكريا عليها ومقاومتها له بكل ما تملك من طاقة .

فبينما يصر أبو وليد صاحب الشركات على طرد مخدومه أبو على ولا يقبل أحدا لعدوله عن هذا القرار يعلم بأنه أب لفتاة على قسط وافر من الجمال فيكون ذلك أكبر وساطة له ليس لعدوله فقط عن قراره بل وعرضه لأكبر المناصب على الأب الذى يغمل فراشا والذى يمتلك العروس .ويتصافيان وعلى ذلك يكون عرض الخطبة التى تعد بمثابة بركان تفجر فى وجه الرجل الأب . وينعكس عليه ذلك النبأ نشوة وسعادة ويوافق على الفور ظنا منه أن أبا وليد يخطب ابنته لابنه وليد الشاب الذى يناسب الابنة تماما وليس فى ذلك غبار . ويكرر الأب على أبى وليد صحة هذا القول الذى يعده من وجهه نظره غير متكافئ على الأقل اجتماعيا . ويؤكد أبو وليد قوله معترفا بأنه فى كامل قواه العقلية .. ويعيد الأب سؤاله مرة ثالثة حتى يطمئن قلبه ولكن هذه المرة يوضح الأمر بسؤاله عما إذا كان وليد قد رأى ليلى واقتنع بها أم لا . وهنا تتكشف الحقيقة التى يصدم بهاالأب :

أبو وليد : إنت بتفتكر إنى خاطب بنتك حق وليد .. ؟

أبو على : عيل هاه ؟

أبو وليد : أنا خاطبها حق أبو وليد .. حق صاحب الشركات حق التاجر المعروف . العم حمد

أبو علي : لكن

أبو وليد : أنا أبى منك الجواب عقب يومين ولا أنا أعرف شلون اتصرف.

وبهذا الموقف يشعل الكاتب الصراع الذى من خلاله يتولد الحدث الذى يبرز الاستقلال الفكرى ، وكذلك السيطرة الفكرية التى تظهر فى شخصية العم حمد صاحب

الشركات . فهو يعلم بتلك الفتاة ليلى من صديق فيمتد حبها أمامه حتى ينسى أو يتناسى قراره ضد الأب وكأنها أى ليلى شئ ثمين أراد افتناءه فهو يعرض على الأب هذا الزواج ولم يذكر له صراحة من سيكون الخاطب حتى أن الرجل أبا على يعتقد أن الخاطب وليد . ولكن أبا وليد يقرر بأن الزواج حقه هو وليس حق ابنه . حق صاحب الشركات رجل الاعمال وكأنه صفقة أراد أن يكسبها كى يضيفها إلى ممتلكاته . وإذا كان أبو على قد وافق بادئ الأمر فهو لم يكن يعلم أن الخاطب هو الأب وليس الابن ولكنه عندما يصدم بالحقيقة يعارض أكثر من مرة لينهى العم حمد المقابلة بالتهديد إن لم يوافق . ولا يجد الأب أمامه سوى زوجته للتشاور معها :

أبو على : يا أم على لا أنتروى شوى الأول وتاخذ رأى ليلى

أم على : هذا اللى ناقص بعد ، انشاورها .. البنت مالها شور

هذا الأب وقد عاد لصوابه متفهما لغة العصر الذى تغير باستحداث أشياء كثيرة لم تكن موجودة فى الماضى .فهو لم يوافق العم حمد على اقتراحه بل إجابته كانت الاعتراض ولم تكن رفضا ولكنها كذلك لم تكن موافقة . هنا تبدو حصافته فى موقفه . فالعم حمد رجل معروف . ثرى ، وهو لا يزيد عن فراش يعمل لديه أجيرا ، كذلك كان من بعد نظرة آن ترك الباب مواربا عسى أن توافق الفتاة صاحبة الأمر . وعلى ذلك كان جوابه مجرد المعارضة فقط . وها هو يريد أن تشاركه الأمر مع العلم أنه أيضا قد تزوج للمرة الثانية من فتاة تصغره بكثير وهو يعلم أن ذلك الزواج قد تم بطريقة العم حمد مع الفرق الكبير فى المستوى المادى ، وإن كان الفارق كبيرا أيضا فى المستوى الثقافى بين ليلى وزوجته ، فإن كان الأب يعطى ابنته حق المشاركة فى موضوع الزواج فهو يرى أن السنين والتغيرات التى طرأت كافية لإصلاح أخطاء عدها الماضى حقوقا ، وزوجة الأب فى ردها لم تكن قاسية بقدر ماكانت تقيس الأمور دون النظر للمتغيرات التى لم تغنم منها شيئا . وهى أيضا فى إجابتها تفجر موقفا ربما مر عليه سنين طويلة عندما تزوجت هى من الأب وامرأته على قيد الحياة ، فقد تم الزواج دون أن يؤخذ رأيها وهذا واضح من قولها «البنت مالها شور »

ولكن الأب لا يرضخ لرد زوجته ويصر على مشاركة ليلى الرأى ، ويدور حوار تكون فيه زوجة الأب طرفا ثالثا مؤيدا لإتمام ذلك الزواج الذى سوف ينتشلهم من

الحضيض الغارقين فيه إلى بعض من نعيم ، والأب على الحياد وإن مال بعض الشئ إلى جانب رأى ابنته مؤيدا لما تقوله . وهى الفتاة التى خرجت إلى الحياة الجامعية وتزودت من الكثير مما درست فى الثقافات المختلفة . ومن منطلق الوعى نتيجة الاحتكاك تناقش ليلى بعقلية متفتحة وهى بالطبع تخفى فى نفسها أمرا لم يكن الموقف مناسبا للإفضاء به . وبرغم أن زوجة الأب تقف ضدها فى كل قول إلاأن ليلى تحسم الأمر موجهة حديثها لزوجة أبيها :

ليلى : ولا .. يامرت أبوى أنا ما عندى فية زواج .. والزوج لا حقه على وأنا الى أقرر مصيرى .

ثم توجه حديثها مرة ثانية لأبيها:

يبه لا تنس أن أبو وليد مشهور بتعدد الزوجات وأنه أكبر منك . ولا يناسبنى سنا ولا علما.

وترد على زوجة الأب التى لا تدع لها وقتا للتفكير :

لا يا مرت أبوى .. وهذا هدفى فى الحياة .. أنا مستعدة آخذفقير مسكين ويكون مثقف ويفهمنى ..

من هذا الحوار يتبين أن استقلال الفكر لدى الفتاة ليلى وحرية الرأى المكبوت ولكنه موجود كلما أرادت زوجة الأب أن تبتره لاقت ليلى بحجتها . وهذا لم يأت من فراغ . فهذا النموذج من النساء الذى قد أخذ حظه من التعليم والثقافة قلما يوجد فى المسرح الكويتى . وعلى ذلك تنطق ليلى وترفض وجهة نظرها التى أن قوبلت بالرفض فذلك نتيجة العجز عن رد الفعل . وإلا إذا كان الرد منطقيا فستكون كفة ليلى هى الأرجح . وفى ردها على زوجة الأب تستخدم اللفظ «لا» دليل الرفض وعدم الاقتناع بالإضافة إلى ما يحمله هذا اللفظ من رد الكره والحقد الموجهين إلى ليلى من زوجة الأب التى تريد السيطرة عليها حينما تهدد . ويكون الرد هو رفض العرض المقدم ، وتضيف أن ذلك الزواج يعنيها وحدها ، وهى أيضا بمفردها التى ستقرر عندما ترى ويكون الرد « بلا » مرة تانية . وهى توضح بألفاظ فوق مستوى ثقافة زوجة الأب لتشعرها بالعجز ، وفى نفس الوقت لكى تحتفظ بشئ لنفسها .. أخفته لأن الوقت لم يكن مناسبا للكشف عنه ، ولكنها تلمح به حينما ترفض العم حمد رجل المال والسلطان وهى تفضل عليه فقيرا

مسكينا ولكنه متعلم يمكن التفاهم معه . وكأنها تقصد شخصا بعينه وإن لم تقنعها زوجة الأب التى كانت ندا لها . ولكن ذلك يعد جرأة من الفتاة التى استطاعت أن تقول لا وفى نفس الوقت تبدى موافقتها أى تقول «نعم» لشئ آخر وإن لم تعلن عن الاسم فيكفيها الوصف الدقيق أى أنها تملى شروطها فى الرجل الذى ترتضيه زوجا ، وهذا أمر خطير بالنسبة لزوجة الأب التى سبق أن تزوجت دون أن يكون لها رأى . وهذا دون شك قمة الاستقلال الفكرى المنطقى لأن ذلك الرفض من قبل ليلى مبنى على أسس منطقية جذورها الماضى ونتائجها المستقبل فلم يكن هذا الرفض لذاته ولكنه من دراسة ما سبق حدوثه فى مثل هذه المواقف ثم نتائجه التى كانت فى الغالب ما تكون مشوهة وغير طبيعية . وهكذا كان رد ليلى على امرأة أبيها ردا فيه تحدو مرارة موجهة للطرف الآخر ، وكأنها فى هذا الموقف تريد أن تثأر لنفسها .

ولكن الفتاة تتغير حينما تعامل أباها .. ففى ردها عليه اختلفت تماما مع أن الرد توسط الردين السابقين وكان أيضا مقنعا . ورغم أنها توجه اليه صفعة دون قصد منها عندما تصف أبا وليد بأنه يكبره فى السن . ولكنها سرعان ما تتم الوصف المقنع .. فهو كذلك زير نساء .. فرق السن مضاف اليه فرق الثقافة والعلم . أى انها كانت قادرة على أن تحارب فى جبهتين ولم تترك سؤالا إلا وأبدت فيه رأيها ولصالحها .

ولا تعدم زوجة الأب الوسيلة التى تعجز أمامها ليلى الابنة عندما تجسد إن هى تقهقرت خطوة أخرى فى قولها :

أم على : لكن لا تنسى أنه يبى يطرد أبوك من الشغل بعدين إمنين ناكل ؟!

ليلى : أنا مستعدة أشتغل .. وأريحك يابه .. أنا أحمل شهادة عالية وأقدر أشتغل بأكبر وظيفة .

ويكون الرد المفحم من ليلى على تلك المشكلة التى أبرزتها زوجة الأب معتقدة أنها سوف تسلم وتستسلم لا محالة . فالتهديد هذه المرة بالضياع . بفقد الأب عمله مصدر رزقهم إن لم ترضخ للأمر الواقع . وهذا يدل على اكتساب ليلى الخبرة التى تخلق الحل المباشر لأية مشكلة فهى هنا بإجابتها لم تقنع زوجة أبيها بضآلة المشكلة فحسب بل أضافت إلى ذلك ميزة أخرى تكون فى صالح الأب الذى تريد له الراحة فى هذه السن . ويكون نتيجة ذلك دون شك وقوع زوجة الأب تحت إمرة ليلى إن تحقق لها ذلك . فالعرض

هنا يحمل أكثر من معنى . وربما لم يخطر ببال ليلى ذلك التأويل ولكن دهاء المرأة الأخرى يمكن أن يصل إلى أبعد من ذلك . وهذا واضح فى ردها عليها مباشرة فى قولها :

أم على : هذا اللى ناقص يا ليلى .. تشتغلين

ففى رد ليلى السابق كشفت أمام زوجة الأب صورة لم تكن تتوقعها وهى التى ارتضت بمصيرها فى هذا البيت أقل من المتواضع بمثابة زوجة وأم وخادمة وها هى ليلى ابنة الزوج التى تحمل الشهادة العالية تقدم العرض الذى يكفل لها مكانة لا ترضيها بالطبع . فهى تستنكر ما تقول . ولم يخطر بفكرها أن من حقها ،أى ليلى ،أن تشق طريقها من حيث أنهت دراستها وهم فى هذا المستوى المعيشى الفقير . هنا يقترن الاستقلال الفكرى بالاستقلال المادى ، أو هو ثمرة له بالفعل أو القدرة عليه والاستعداد له هو أكبر سند لبناء الشخصية المستقلة للمرأة . وكما لم تجد زوجة الأب ثغرة يمكن النفاذ من خلالها يصعب عليها أن تسلم والأب لا حول له ولا قوة أمام ذلك الجبروت بعد أن سدت الابنة أمامها كل طريق بإقناع لا يدع مجالا للمناقشة . بل وكان الرد يزيد ويحمل طعنات تتلقاها الزوجة عاجزة فتبادر بالقاء الأمر القاطع الذى لا يقبل مناقشة :

أم على : أنا أقولك لازم تتزوجينه

ليلى : وأنا أقول ما أتزوجه

أم على : تتزوجينه وأنت حمارة

بعد أن عجزت زوجة الأب إقناع ليلى بذلك الزواج الذى تعده من جانبها معجزة ستتحقق محاولة معها بكل الوسائل . تصدر الأمر والأب فى موقف ضعف نتيجة عدم التكافؤ بينهما ، وإلا فالموقف حتما كان سيتغير لأن الكلمة سواء الأولى أو الآخيرة للرجل وليست للمرأة طبقا للعرف ولكن أى الرجال ؟ إن زوجة الأب تلجأ هذه المرة إلى إلقاء الأمر القاطع وتكون ليلى ندا قويا لها يخرج بنفس اللهجة والأمر والقوة . فهى تملك حرية الفكر المستقل الذى اكتسبته من كثرة الاحتكاكات المتعددة سواء فى محيط الجامعة مع الاساتذة أو مع الزملاء والكتب والمراجع ومن كل ذلك خرجت شخصيتها من ثمرة المحيط المفتوح الذى لا حجر عليه . يكون رد ليلى مليئا بالتحدى الواضح القوى، ومع صلابة موقف الابنة وقصور زوجة الأب مع قلة الحيلة لا تجد سوى الألفاظ السوقية الجارحة ترميها بها وهى متأكدة هذه المرة أن ليلى لن تجرؤ علِى رد الصاع بمثله أمام

والدها الذى تكن له كل احترام وهى فى هذا المقام زوجته ، ولن يقبل أن يجدها فى موقف مهين حتى ولو كانت هى الخاطئة . وبالفعل تعجز ليلى عن معاملتها بالمثل. وذلك ليس تقصيرامنها بل نابع من تربية وثقافة تلقتها وعرفت كيف تتعامل بها . إلى هذه النقطة والابنة ترد الهجوم بمثله وبأعنف منه بالمنطق الذى لا يدع مجالا للشك من قبل زوجة الأب التى أقامت هذا الصراع بينها وبين ليلى . وعندما تفشل تلجأ إلى نقطة الضعف بالنسبة لليلى وهى الأب الذى تعلم تماما مكانته لدى الابنة فتكون المساومة فى هذه الحالة إما الزواج الذى تخطط هى له وإما الطلاق :

أم على : تزوجينه غصب عنك

ليلى : جان أمرى بيدك أتزوجه

أم على : إنتى وابوك مالكم أمر .. الأمر كله عندى

ليلى : ما أتزوجه

أم على : تتزوجينه .. شوفى يبو على .. إما أنك اتزوجها .. وإلا أعطنى ورقة طلاقى

أبو على : وسعى بالك يم على .. اشتقولين با ليلى ..؟

ليلى :(تنكب بحجر أبيها تبكى) يابه جان تحب أعيش تعيسة اجبرنى على الزواج.. وأنا مستعدة

لقد بدأ الموقف يتخذ شكلا جديدا حينما تلجأ أم على لأسلوب العنف بدلا من أسلوب الأمر العادى ، فهى أمام غريم شرس وينفس الاسلوب يكون الرد حينما ترى ليلى إثارة نقطة يهبط معها الموقف أمام أية امرأة مهما يكن جبروتها على الأقل فى البيئة العربية وهى أنها توافق على هذا الزواج ولكن تحت شرط - وهى تعلم مسبقا أن العرض سوف يبوء بالفشل - أن يكون أمرها بيدها . وهذا بالطبع مالم تستطع إثباته فهى لا تزيد عن كونها زوجة أب وظيفتها الأولى رعاية الأبناء والزوج ولا تمت لها بصلة. تفرغ ليلى هذه الشحنة وهى تظن أن الأمر سيقف عن هذا الحد . لقد اهتدت ليلى إلى هذا المنطق من كم المعرفة التى تزودت بها فى مراحل حياتها التعليمية ، وتكون زوجة الأب قد فاض بها متعدية كافة الحواجز وتعلنها مدوية أن الأب وابنته لا أمر لهما وهى الوحيدة صاحبة القرار. ما دامت الابنة قد تكشف الموقف أمامها هكذا فلا تجد ما ترد به

سوى الرفض لكنها لم تكن فى موقف المهزوم برغم ما أثير .. ثم الضغط المستمر من زوجة الأب .. ترد على الرفض ،بالإصرار على تنفيذ الأمر ولا تدع مجالا هذه المرة للرد بالإيجاب أو الرفض بل إن الأمر قد انتهى إلى هذا الحد . ثم توجه الكلمة للأب الذى لم يكن لوجوده أهمية تذكر .. تنذر وتحذر وتضع أمامه خيارين .. إما أن يكون الأمر منه هو بتزويج الابنة وقد استغلت هذا الفعل من ليلى فهى توافق على الزواج ممن بيده الأمر وبرغم أنها صرحت بأن هذا الأمر بيدها هى فقط ولكنها تستعمل الكلمة كسلاح تضعه فى يد الأب كى يضرب به . هذا شرط ، أما الآخر فيكمن فى كلمة واحدة وهى الطلاق، والأب هنا فى موقف ضعيف أمام الاثنين . ومن خلال حواره يكشف عن مدى هذا الضعف . فهو لا يستطيع تنفيذ الشرط الثانى وإلا نطق بها على الفور منهيا المشكلة برمتها حيث إنه فى قرارة نفسه لم يكن موافقا على هذا العرض من أبى وليد . ولكن أمام إصرار وطمع الزوجة مع احتياجه لوجودها فى البيت وهو فى مثل هذه السن وقد تعود عليها . يرجوها أن تهدأ لأنه ليس مستعدا لفقدها . إذن فلا بد أن ينفذ الشرط الأول وأن يكون الأمر هذه المرة صادرا فيه لابنته . ومن منطلق نقطة الضعف أيضا يوجه حديثه للابنة التى أثبتت وجودها مستعطفا ولسان حاله يقول أن الموقف كله أمامك، والعرض من الزوجة قد سمعته فالاختيار الأن يقع من الرد الذى سيتحددفيه المصير، وهى أعلم بمدى ارتباط أبيها بهذه الزوجة . وفى هذه اللحظة تكون ليلى قد وضعت فى موقف وعليها أن تقرر بين مصيرين كلاهما صعب. ويحمل فى داخله التضحية . إما أن يضحى الأب باستقراره وراحته وهو فى هذه السن وإما أن تضحى هى بحياتها وهى ما تزال فى مقتبل العمر . وإذا كان البكاء قد سبق الرد منها فهذا دليل العجز . ولكن أى عجز وهى فى حضن الأب انها تمتلك فكرا عميقا ولكن القرار الحكيم سوف يجلب على الأب تعاسة وتعبا ستكون هى السبب لأنها قالت لا .. وبذكاء تحول الابنة هذا الاختيار إلى الأب وزوجته طرفا فيه ، وسوف تطيع ، إنها تضع الأب فى موقف صعب ولكنها تصرح بأن الطاعة سوف تكون الرد منها . فهى تطلب منه تقرير مصيرها موضحة بأن الزواج سوف يكون مصدر تعاسة .. ولا يعنى هنا رد الأب. ولكن الذى يهم هو الوصول إلى مدى تمسك البنت برأيها وعدم الرضوخ بسهولة للأمر الواقع ، بالإضافة إلى تحليل صورة المرأة المتمثلة فى زوجة الأب ، وإلى أى مدى خاضت الطريق وإن فشلت . فهى قد حاولت كثيرا واستعملت كافة أساليب الضغوط للخروج من هذا الموقف منتصرة .. فكان

الاستقلال الفكرى من خلالها قد وصل إلى الذروة فى تهديدها للابنة والأب معاً .. وإن استنكر هذا الأسلوب ولكن وظيفته هنا لازمة ومنطقية كجزء رادع لفكرة تعدد الزوجات كهواية وليست اضطرارا .. إن الصورة قد وضحت من خلال الابنة وزوجة الأب على حرية الفكر كل حسب موقفه وثقافته حيث إن النصر فى هذه الجولة كان للإبنة التى انضم الأب إلى جانبها حينما وازن ما بين الموقفين .. ووجد أن تضحيته هو بإرادته ستكون أقل ضرراً وصعوبة إن هو ضحى بالابنة التى تعيش بداية حياتها وهو قد قارب النهاية .. فكأن الأب هنا كان بمثابة عامل الترجيح في هذا الموقف . وتنتهى زوجة الأب من اللعبة ولكن الصراع واللعبة نفسها يظلان باقيين مع الابنة في الفصل الثالث .

تنتقل ليلى إلى بيت عمها بعد وفاة الأب . وقد أصبحت وحدها . عاشت بين زوجتين للعم وشاب معتوه هو ابن العم لتعيش صراعا آخر فى هذا البيت بعد أن أنهت معركتها الأولى بالنصر بقوة إرادتها وفكرها الواعى المتولد من شخصيتها ، وقد ساندها الأب الذى تفهم موقفها تماما . تنتهج «صبرية» الزوجة الثانية للعم نهج زوجة أبيها أم على بعد أن ملت وجود ليلى فى حياتهم كدخيلة تفوقهم جميعا في كل شىء . تعرض على العم «الزوج» صفقة رابحة وهى زواج ليلى من «ناصر» الذى يعد مصدر إزعاج فى البيت ، تتمنى أن تستقل به وحدها ، وقد نجحت فى ذلك فيما عدا هذا الابن المعتوه . إذن فبزواجه من ليلى التى لم تكن لها مثقال ذرة حب فسوف تشعر بالرضا الذى تنشده . وليس غريبا أن يكون العم ذا الهيبة لقمة سائغة سهلة بين يدى صبرية ، وهذا مرجعه أن العلاقة بين الزوجين غير المتكافئين تسير من طرف واحد وهو الأقوى غالبا .

يجد العم في العرض المقدم فرصته لكى يثبت للزوجة مدى تمسكه بها حتى لو كان المقابل التضحية بأغلى ما يملك . فتكون المباركة التى لا توافق عليها أم ناصر الزوجة الأولى . ويتبين ذلك من الحوار الذى يدور بينها فى وجود صبرية :

أم ناصر : ياابو ناصر حرام عليك .. نصور موحق ليلى

أبو ناصر : ليش

أم ناصر : البنت متعلمة ، نصور ما يصلح لها ، ولا هوه مال زواج الحين ، وهيه أكيد موراضيه فيه .

أبو ناصر : واحنا بنشاورها

ويستمر الحوار الذى لا تصمد الزوجة أمامه كثيرا حيث يشهر الرجل أمامها سلاحا فتاكا وهو التهديد بالطرد ما دامت معه الزوجة الثانية فتوافق رغما عنها . في ذلك الحوار يتبين مدى تمسك الرجل بعاداته دون النظر بالنتيجة أو المستقبل الذى يبنى علي غير أساس طالما رأى هو ذلك . ورغم معارضة الأم هذا الرأى إلا أنها لاتقوى على التغيير . فهى فى موقف ضعيف لوجود الزوجة الثانية حيث إن ما يحدث يرضى غرورها وهى تشيد بموقف الزوج صاحب الكلمة التى لاترد لتثير بداخله الإقناع والتشبث بهذا الرأى .

ويستمر الحدث موضوع الزواج إرضاء لخاطر الزوجة الثانية وإصرارا من العم لتنفيذ هذه الرغبة . وبرغم وقوف أم ناصر ثانية ضد هذا العرض ورفض الزوج وتذبذب الابن ناصر الذى لايقوى علي تكوين رأى فى موضوع ، ويتضح عدم توازنه حينما يرى أويتراءى له صور لاوجود لها . وبرغم ذلك لايتراجع العم عن هذا الموقف . فهى الآن تصارع في مكان غريب مع أشخاص لا يعنيهم أمرها . العم وزوجته وهم أصحاب السلطان في هذا البيت وإن كانت أم ناصر لا توافقهم فى نفس الوقت لاتستطيع أن تقف بجانب الفتاة . وبالرغم من ذلك فهى تنطق بكلمة حق خوفا على ابنها المعتوه من هذا العرض الذى لايعلم نتيجته . كذلك من منطلق التعاطف مع ليلى ، ولكن في الخفاء حيث تجد الفتاة أن المعركة هذه المرة حامية . فقد سبق أن خاضت مثلها ولكن مع طرف واحد وهى زوجة أبيها الذى وإن كان مسلوب الإرادة إلا أنه لم يكن ضدها . فى هذه المرة استطاعت أن تتفوق علي غريمتها وأن تبطل كل ما دبرت . ولكن الموقف تغير كثيرا . فهى أمام رجل ذى هيبة وفي منزلة الأب إن لم يكن كذلك في وضعها الراهن ، ولا يمكن أن تتفوه بكلمة يمكن أن تسبب جرحا ، هذا العم تسانده بل تدفعه زوجة لا تتقبلها وتود التخلص منها . هذه الزوجة ملكت من السلطة والسلطان ما جعلت العم طوعا لأمرها . إذن فالمعركة هذه المرة شرسة وغير مأمونة ، ولا تبدى ليلى رأيا . فبرغم أن ناصر هذا معتوه أو مجنون ولكنه ابن العم وكيف يمكنها أن تكشف هذا العيب وهى تعيش في بيتهم . وأبوه عمها وولي أمرها. من هذا المنطلق كان عجزها عن الدفاع ، ولو كان العم قد أصر على هذا العرض فمن أجل إرضاء الزوجة الثانية لا أكثر حتى أنه يتراجع سريعا حينما يعرض عليه العم حمد طلب خطبتها مكررا ، للمرة الثانية تجربته الأولي مع الأب التى باءت بالفشل . ويرى العم فى هذا الطلب مخرجا من هذه الورطة التى اختلقتها

صبرية وسرعان ما يزف إلي ليلى هذا النبأ السعيد كما يظن ، ولكى تتخلص من ناصر ولده المجنون . وترى الفتاة في هذا العرض صدمة جديدة لا تقل عن سابقتها وتحاول مع العم الرفض المسبب وهو طلاق أبيها لزوجته بسبب هذا العرض . ثم موت الأب نفسه متأثرا . وكأن العم حمد هو السبب في كل ذلك . فكيف لها أن تتزوج من قاتل أبيها ؟! ولكنه الاختيار : الرجل الغنى المسن أو الولد المجنون :

أبو ناصر : شوفى عطاك الله .. شتبين .. إما نصور وإلا أبو وليد وفكينا من هالسوالف .

ليلى : لكن ياعمى

أبو ناصر : (مقاطعا) بس ولا كلمة . شاورى نفسك وأبى الجواب باكر .. يانصور يابو وليد

ليلى : ياعمى جان نبى الجواب الصحيح .. أنا لا أبى لا ناصر ولا بو وليد وجانك متضايق منى قول .

لم تكن ليلى طوال هذا الحدث عاجزة عن الدفاع وإبداء الرأى الآخر ولكن الموقف كان أكبر منها وهى تعيش خارج بيتها، وترى أن ما يحدث هو سداد لثمن الأقامة. ولكنها تجد فى العرض الآخر مبررا لأن تتكلم وتدلى برأيها . فقد زيد فى العرض (أبو وليد) ويمكن من خلاله هو بالذات أن تكشف ما بداخلها دون خجل أو خوف . وإذا كان العم هنا يقدم هذا العرض فإنه لم يقدمه من تلقاء نفسه إلا إذا كانت صبرية لها بصمات فى هذا العرض ومؤيدة له وهى التى لا يسعدها وجود الفتاة مع العائلة التى تعد هى سيدتها الأولى بلا منازع ، ولكن هذه الغريبة جاءت بشخصيتها المستقلة ولن تقوى على إخضاعها . وربما كان ذلك دافعا لإنهاء هذا الزواج الذى تكون فيه ليلى طرفا، المهم إبعادها سواء أكان ناصر أو أبو وليد أو أى شخص آخر . ترفض ليلى أبا وليد بشدة والسبب غيرغامض وهو موقفها السابق منه ولايجد العم سوى التهديد بالابن ناصر حتى ، يقع الاختيار الحر على أبى وليد ، وهو هنا لايعنيه من أى تتزوج فهو يطيع الأمر والرغبة وينفذهما لا أكثر . ويمنحها الفرصة كى تختار ليوم واحد معتقدا أن هذه اليوم فترة وجيزة ضيقة لأن يتخذ الإنسان فيه قرارا مصيريا ولكنه تعمد ذلك حتى لايدع أمامها فرصة أكبر ولكى يضيق عليها الخناق ويخرج بنتيجة سريعة . ولكن الفتاة بسرعة البديهة ترد

علي العم دون انتظار وبما يريد أن يسمعه فى الغد وهو الرفض من كليهما مع الإشارة فى آخر حديثها بكلمات إنذار معناها غير واضح موجهة إليه . وهو هنا لن يصله المغزى الحقيقى من وراء تلك الكلمات «وجانك متضايق منى قول» فهى لم تقلها استعطافا ولكن معناها إعادة الحسابات بالنسبة إليها للخروج من هذا المأزق مهما كان الثمن ، وهى التى تثق في نفسها وقدرتها على شق طريق بمؤهلها الذى يجعلها غير خاضعة لسلطان أحد . ولكن العم يعطيها فرصة للتفكير ربما اهتدت إلى شىء . وتصر ليلى على الرد الفورى ليتراجع العم مرة ثانية ويفتح باب الحوار لتكشف هى عما يجول بخاطره معترفة له بأنها لا تمانع الزواج . ولكن الوقت لم يحن بعد ، وسوف تقرر موافقتها بعد زيارة من توافق عليه . ويترك العم مجالا لاستمرار الحوار الذى لايريد من خلاله أن يعرف سوى من يكون هذا الرجل ومستواه العائلى ومركزه المالى . فإن كان يشابه أبا وليد فلا بأس .

ويحاول العم أن يصل مع ليلى إلى ما يرضيه عن هذا الإنسان والفتاة تعطيه الإجابة التى لا تشفى :

أبو ناصر : هذا حسن .. اللى تقولين عنه . غنى

ليلى : الغنى غنى النفس . وبعدين غناه علمه .. والعلم ما يزول

أبو ناصر : أترين هذا اللى تقولين عنه ؟ أى حسن ! من أى عائلة

ليلى : من أمة محمد .. خبرتك تشوفه وتعرفه .

هكذا يسأل العم بطريقة تقليدية . فما يعنيه من هذا الزواج بعد التخلص من الفتاة هو مركز الرجل سواء المادى أو العائلى ، وربما أحدهما يكفى لكى يكون بديلا عن الآخر . وذلك واضح من خلال سؤاله . فهو يريد أن يعرف أولا المركز المالى ولو كان غنيا لما سأل عن العائلة . ولما لم يوفق برد شاف يرضى فضوله ألقى بالسؤال الثانى عن مركزه العائلى وأيضا تصله إجابة مجملة لايمكنه أن يستخلص منها مقصده بالتحديد . وأمام أسئلة العم تكون الفتاة مستعدة دائما للإجابة بثقة ظاهرة . وهى التى تعلم عن ذلك الشاب كل شىء فهو لم يكن غنيا أو من عائلة معروفة أو أصيلة . وهذا لن يحقق موافقة العم . وعلى ذلك تكون إجابتها بعيدة عن مغزى السؤال ، ولكنها تحتوى وإن لم يفهمه العم . فهى تؤكد له أنه غنى ، وإذا كانت الثروة هى مفهوم الغنى فالنفس أيضا لها

غناها . ويضاف إلي ذلك التعليم الذى حصله الشاب وهو سلاح لايقل عن الغنى إن لم يكن هو مصدره وأساسه الحقيقى ، وهما أيضا أى غنى النفس والعلم لا يزولان . وهى هنا تضرب مفهوم العم بما تعنيه . فالثروة التى أساسها المال يمكن أن تزول فى لحظات . ولكن ثروة العلم باقية لاتزول . والعم لايدرك ما ترمى إليه الابنة ليلى وإلا بادرها بعكس ما سأل . فهل اقتنع بأنه غنى وعلى ذلك يكمل بقية الأسئلة ، ربما . ولكن ليلى تستمر فى الإجابة ثانية فهو يسأل عن عائلته وأيضا تخشى الفتاة المصارحة حتى لاتكون الإجابة عقبة في الطريق وهى التى تعلم عن العم تمسكه بهذه الشكليات . وإن وقع هو نفسه فيها بزواجه من صبرية التى لم تكن من عائلة أصيلة بل كانت بيسرية . فتكون الإجابة أيضا شاملة «من أمة محمد» وعليه هو أن يصل إلى أصل تلك العائلة إن استطاع . وهكذا تخرج ليلى من مأزق وإن لم ينته بعد ولكنها فى موقفها هذا تثبت وجودها بعد أن استجمعت بعضا من القوة . وهذا الموقف لم يكن معترفا به . فلم يكن للفتاة الكويتية التصريح للخوض فيه حيث لم تكن قد طرقت باب العلم لنهايته .

وعلى ذلك لم يكن الاحتكاك قد نضج والشخصية قد اكتملت فلم تكن تستطيع أن تخطو فى هذا الطريق أكثر من المصرح به ، وربما كانت تكمل ذلك الطريق بواسطة الأم التى كانت بدورها لا تجرؤ على الخوض أمام الرجل . وبذلك تكسر ليلى الحاجز الذى ظل سنين طويلة سدا منيعا أمام الفتاة . وتصل بفكرها المستقل إلي نفس المستوى فى الحوار وإن زادت عليه نتيجة الفارق الواضح في الثقافة والتعليم والانفتاح على أمهات الكتب. ويلتقى العم بالشاب حسن الذى لا يتقبل منه ردا ووصفه بأنه بيسرى أى غير أصيل وينهى اللقاء السريع بالرفض ، وتعلم ليلى وهى الغريبة فى ذلك البيت والتى لم تكن مرغوبا فى وجودها من قبل الزوجة الثانية للعم ولا تجد ما تقوله سوى الرفض التام لمبدأ الزواج :

ليلى : ما أبى بو وليد .. ولا أبى زواج بالمرة .

أبو ناصر : ما يطلع بيدك .. حسباك مثل أبوك .. تقضين عليه .. لحقتى عليه وذبحتيه .. أنا أعرف شلون اتصرف .. إلا بو وليد .. رضيتى .. ولا مارضيتى (ويخرج)

ليلى : (وحدها تبكى) .

لقد وجدت ليلى أن كافة الطرق قد أغلقت في وجهها . وأن العم ليس بمنزلة الأب الذى كان يسمع منها وضحى بزوجته من أجلها ، وهى إن كانت قد عاشت حلما أرادت له أن يتحقق ودافعت عنه بما للفتاة من سلاح وإقناع ، وأمام هذا الرفض والتمسك فى نفس الوقت بالرجل حمد امتزجت الأمور أمامها حتى لم تجد ردا علي إصرار العم سوى البكاء وهو لم يدع مجالا للرد بل اعتبر هذا الأمر الأخير هو النتيجة التى لابد أن تترجم لواقع وكان له ما أراد .

على أن الشاب حسن الذى علقت عليه ليلى أمالا كبيرة لم يكن موقفه إيجابيا بحال من الأحوال.

أما الفصل الرابع فتجسد الفتاة ليلى من خلاله معنى الاستقلال الفكرى الإيجابى في هذا العمل .. وقد سبق أيضا فى الاستقلال الفكرى من خلال مواقف زوجة العم صبرية والتى تمكنت من فرض إرادتها على الكل حتى أن العم كان أداة تنفيذ هذه الإرادة. ووضح أيضا من خلال زوجة الأب أم على بعد أن تلغى وجود الزوج المسن معلنة أن الكلمة في البيت لها وحدها .

تتزوج ليلى من أبى وليد بعد صراع عنيف أقامته مع زوجة أبيها وانتصرت وفقدت الأب . ثم مع عمها وزوجته لعدة مواقف انتصرت فيها . فيما عدا الموقف الأخير الذى وجد العم أنه لن يصمد أمام عناد تلك الفتاة . فهى تقارعه الحجة بمثلها وقد فاقتهم جميعا بمنطقها وثقافتها فيرميها بآخر ما لديه من أسلحة وهو وصف الشاب حسن بعدم الأصالة . وتكون النهاية بالنسبة لها غير سعيدة متمثلة في الزواج الذى لم يكن متكافئا . فالرجل أبو وليد له حياته الخاصة التى تصنع بثروته حتى أنه أهمل بيته ولم يكن يعود إليه إلا مع الفجر . وكانت تلك حياته التى ملت منها الزوجة ليلى وحينما يفيض بها الكيل لاتجد سوى المناقشة المنطقية لمواجهته . وتبدأ أيضا مرحلة صراع تحاول أن تصل إلى مستواه بشخصيتها . فالعرف قد أعطى الرجل حقوقا محرمة على المرأة . وهو هنا يستغل هذه الحقوق ليتعالى عليها ، ولكنها تحاول بثقافتها وفكرها أن تتحداه وتثبت وجودها كزوجة . فلها حقوق لابد أن تحصل عليها وليست بالدمية في البيت يعبث بها الرجل وقتما يشاء . وتقولها في وجهه صريحة :

ليلى : هذا سجن .. حرام عليك (تبكى) .

أبو وليد : إنتى إشعرفك بالمدنية ... يابنت مانى قايل

ليلى : اشبتقول

أبو وليد : يابنت الفراش

ليلى : والله لو الفراش حى جان بنته مادشت بيتك لكن مع الأسف .

لقد تم الزواج بعد مقاومة شرسة يكون الطرف الآخر فيها الرجل والعم وهى بمفردها لم تجد من تلجأ إليه وكان لابد لها أن تختار إما الولد المعتوه أو أبا وليد وتزوجت دون أن تختار وبفكرها المستنير تحاول أن تساير الأمور وقد أصبحت أمام أمر واقع : زوجة لرجل عجوز زير نساء وهى واحدة من حريمه . فكان عليها أن تتأقلم مع هذه المستجدات فى هذه الحياة وفى هذا البيت الواسع المكتظ بالأثاث الفاخر الخالى من الوفاق . فإن لم تكن سعيدة فعليها أن تبحث عن تلك السعادة ، وأن تعيش هذا الدور للحفاظ على هذا الرباط المقدس الذى حملته رغما عنها . وذلك يتطلب وجود الزوج فى البيت ولو لبعض الوقت . ولكن ذلك لم يحدث منها هو يعود مع الفجر منهكا يكاد يخلع ملابسه إن لم ينم بها وهى لا تقوى على الحساب . وبفكرها الممزوج بالعفاف تتحمل كثيرا إلى أن يفيض بها الكيل فتترجم إحساسها الذى يكاد أن يمزقها إلى مواجهة حادة وتقيم معه حسابا حينما تعترف له أن ذلك القصر ، هو سجن ، ويهم الزوج أن يتطاول عليها بالسب . فهذا أقصى ما يمكن أن يصل إليه مع تلك الزوجة التى تفوق شخصيتها وجوده فيبحث عن نقطة الضعف بالنسبة لها أو كذلك سولت له نفسه فيقولها دون تردد «يابنت الفراش» وهو معتقد أن ذلك اللفظ يحمل معنى المهانة . ذلك منطقه الذى يزن الأمور بقيمتها المادية . ولكن الزوجة تسحقه حينما تعلن له أن ذلك الفراش حال دون اتمام ذلك الزواج فى حياته ولم يقبله زوجا لابنته حتى ولو كان الثمن طلاق زوجته هو وفى هذه السن . إلى أى حد كان ذلك الفراش يحتقر هذا العرض الذى رأى أنه صفقة خاسرة بالنسبة له على الأقل . ولكن هذا الزواج يتم وهى تأسف وتكشف له بعضا مما بداخلها وعليه أن يصل بفكره إلى هذا الإحساس . ولكن الفرق الكبير فى لغة الحوار من جانب الزوجة يجعل المعنى المقصود لايصله . وفى هذا الموقف تكون الزوجة قد انتصرت عليه برغم أنه الرجل . وتتجلى الصورة واضحة للاستقلال الفكرى للمرأة ، والذى تمخض عن الثقافة والتعليم ولم يأت من فراغ . ويستمر الحدث الذى ينتهى سريعا بعد أن يقتل الزوج الخادم

لشكه فى خيانته مع زوجته ولسنا بصدد تحليل الموقف والدافع الحقيقى وراء إرتكاب الزوج هذه الجريمة .

من مجموعة المواقف الذى ذكرت يتجسد الاستقلال الفكرى للمرأة دون النظر لمصدره ففى النص يبرز هذا المعنى لثلاث شخصيات هن : أم على وهى تمثل التسلط على الرجل وقد أعلنتها صريحة أن الرأى فى هذا البيت لها وحدها وليس للرجل رأى . فهى لم تستقل برأيها فقط ولكنها تستأثر بهذا الرأى . وكذلك صبرية زوجة العم التى يعلو صوت الفكر عندها حتى أن العم نفسه يقوم بتنفيذه ويكون هذا المعنى واضحا وصريحا وهو تسلط نابع من فارق السن بين الزوجين ، وهذه نقطة واضحة فى المسرحية . كما أنها لافتة فى كثير من الأسر . أما ليلى فهى وحدها التى تمثل الاستقلال الفكرى النابع من الوعى الثقافى وسلامة البناء العقلى والروحى . فلقد جسدته فى أكثر من موقف وبالندية المنطقية والفكرية .

وإذا تطرفنا لنص آخر كى نستخلص منه صورة للاستقلال الفكرى ، فإن مسرحية الكويت سنة ٢٠٠٠ لسعد الفرج والتى عرضت على مسرح كيفان يوم ١٩٦٦/٢/٥ ولمدة أربع عشرة ليلة لهى نموذج تتضح فيه هذه الصورة .

يتعرض الكاتب من خلال هذه المسرحية لمشكلة رأى أنها تفرض نفسها على المجتمع الكويتى مع تفاقمها تباعا . ألا وهى اعتماد الشعب على كل ما هو مستورد فى الاستهلاك دون التفكير فى بناء اقتصاد إنتاجى يمكن الاعتماد عليه . وكذلك إسراف البعض فى التجول فى شتى أنحاء العالم طلبا للسياحة والاستجمام غير مبالين بالتكاليف الباهظة طالما أن عائد النفط مستمر معتقدين أن هذا العائد لن ينقطع . ومما سبق ينسج الكاتب خيوط مسرحيته من هذا الخطر التابع الذى يتوغل داخل الإنسان بمرور السنين مستحوذا على قدراته بعد أن استسلم لشكل هذه الحياة بادئا أحداثه زمنياعام ٢٠٠٠ مفترضا أن ينبوع النفط قد نضب متنبئا بنوعية الحياة التى سوف يتعرض لها الشعب . وذلك من خلال أسرتين لأخوين : أحدهما «أبو علاوى» وزوجته وولده والآخر «أبو فهد» وولده وابنته مريم . فى البداية يقوم الكاتب بتصوير شريحة من الحياة فى الكويت بعد أن بلغت الرفاهية ذروتها . يعترض الابن علاوى على كل ما يحدث مهددا بحلول كارثة . تشاركه الرأى ابنة العم مريم وتسير فى فلكه ويكون الحب بينهما رابطا حيث تستنكر

العائلتان هذا التصرف.. ويصل الأمر باتهام علاوى بالجنون .. ثم الطرد . ولكن يصلهم بعد ذلك نبأ استنفاد النفط وانقطاع الاستيراد وتكون النتيجة التهديد بالضياع والجوع لعدم استعداد ودراية الشعب للعمل من أجل الحياة ، وقد ركن إلى الإسراف في عشرات السنين الماضية دون التفكير في عمل . هذا يحدث بعد عام من طرد علاوي ليجد الشعب نفسه بلا دخل ولا عائد أو حتى عمل يتقنه ليكون له سلاح . ويكون علاوى هو المنقذ في هذا الموقف الصعب وقد تقلد منصبا يمكن للمرء من خلاله أن يتعلم حرفة كى يعيش منها وتكون المفاجأة التى تؤرق المجتمع لأن هذه الحرفة هي التى كانت سائدة فى عصره ، قبل ظهور النفط حيث كان يتقنها الرجال وقتئذ لأنهم توارثوها منذ الصغر . ولكن الرجال سنة ٢ وهم أطفال بداية النفط قد تعودوا على الحياة السهلة وقد اندثرت هذه الحرف تماما فهل يمكن لهم أن يتقلدوها مرة ثانية بأيد ناعمة وتكوين مرهف ؟ ! ويحاول علاوى أن يجد لكل فرد مهنة تناسبه يقتات منها وإلا فالموت جوعا هو المصير . ويكون الفشل والموت هما النتيجة لكل من خاض هذه التجربة . ويكون حكم علاوى عليهم جميعا الاتهام الجماعى للشعب الذى لم يستطع أن يؤمن مستقبله وعليه أن يتلقى نهايته التى ارتضاها سابقا .

هذا ملخص مختصر لمضمون المسرحية والتى تكون الابنة مريم والزوجتان هن موضوع الاستقلال الفكرى كما صورهن الكاتب وهذا التصوير لابد أن يذكر مع التوقيت الزمنى للمسرحية وهى سنة ٢٠٠٠ .

فمن البديهى أن تنقلب الموازين رأسا على عقب فى كل شىء . أى أن هذا الاستقلال الفكرى فى هذا الزمان ٢٠٠٠ لن يكون حدث ذا أهمية ولكن التعرض لنص كتب فى العقد السابع من القرن العشرين ومن هذا التحديد الزمنى يكون التعرض لصورة وشخصية المرأة فى هذا العمق .

فى بداية المسرحية حينما يقوم علاوى باستنكار ما يحدث من بعض الشباب فى منزل العم من رقص تشاركهم ابنة العم مريم وهو يحثهم على تجنب خطر قادم إليهم .. يتهمونه بالجنون فى حين أن مريم توافقه وترفض رجاء الضيوف لطرده من المنزل :

ميرى : اللى ماهو عاجبه هالكلام .. يطلع من بيتى

لقد عاشت المرأة وتحررت إلى درجة كبيرة وها هى ميرى أو مريم قد ملكت أمر نفسها تماما فهى تتصرف فى البيت كما لو كان ملكا خالصا لها وليس لأبيها وذلك ضمنا فى المواجهة التى تتم بينها وبين مدعويها .. غير متناسين أنها فى هذا الموقف تعد مضيفة وربما كانت هى نفسها ضيفا لدى كل عضو من أعضاء ذلك الجمع . أى أنها تتخذ هذا الموقف الجرىء معهم وهى ليست فى غنى عنهم . ولم يكن الدافع هنا حب مريم لعلاوى فقط . ولكن الاقتناع بما يقوله .

لقد أعطى الكاتب فى هذه المسرحية المرأة استقلالها الفكرى إلى درجة كبيرة . وذلك الحوار السابق خير شاهد . فهى تتحدى الجماعة من أجل فرد واحد . إذن فلم تكن الرفاهية مصدر استقلال الفكر لديها بل كان المنطق العملى المستنير . فهى تضحى بأصدقاء المتعة من أجل فرد ربما لن يجلب لها سوى المشاكل . ولكنه الصواب الذى تؤمن به .

علاوى : يعنى موافق ياعمى أسكن عندكم .

مريم : أيه موافق ولا عنده مانع .

وهذه بالطبع صورة مفترضة اصطنعها خيال الكاتب لما سيكون عليه حال الفتاة فى الكويت بعد أربعين عاما من كتابة هذه المسرحية وعرضها . وهى صورة تستمد خيوطها وألوانها من الواقع وتحليله فى ضوء عوامل موضوعية.

إلي هذا الحد يصل الاستقلال الفكرى عند الابنة فى موقف كهذا وهى تعلم مدى شعور الأب بالنسبة لعلاوى للأفكار السوداء أو المتشائمة التى يبثها أينما حل .

ورغم ذلك توافق مريم بالنيابة عن الأب وتؤكد هذه الموافقة بأنه لا مانع لدى الأب.. والأب لا يحاول التعبير عما بداخله فيوافق :

العم : (مترددا) طبعا .. طبعا موافق .. بس على شرط

علاوى : شنهو الشرط

مريم : تاكو لاشرط ولا شىء .. ما هو جذيه يابه

العم : معلوم جذيه ..أحنا بينه شروط.. أكل نبن أنه إذا كان عندى شرط

يوافق العم مترددا ، إذ لو كان الأمر بيده لما وافق ولكنه يجد نفسه مضطرا وحينما يشعر بعجزه أمام هذا التصرف يجد لنفسه مخرجا كى يثبت من خلاله وجوده فى أن هذه الموافقة مشروطة . إذن فسوف يملى شروط وعلى أساسها تتم الموافقة وربما لايتقبلها علاوى فيكون العم هنا قد حقق ما يريد . وبالطبع لو أمهل العم لكى يملى شروطه فسوف تكون بمواصفات لا يتقبلها علاوى . ولكن ذلك لم يتحقق لاقتحام مريم ذلك الحوار وترد عن الأب هذه المرة أيضا بالنفى القاطع فى عدم وجود أية شروط وتطلب من الأب أن يؤكد ويصدق على كلامها ولايمكنه إلا أن يوافق على ما قالت .

وفى هذا الموقف يتكشف التناقض الغريب بين المرأة والرجل الذى يصادر رأيه دون أن يتفوه بل يوافق على هذه المصادرة وقد اعتلت المرأة مكانا يفوقه . فرأيها الأساس وماتقوله فى وجود الأب ينفذ دون مناقشة أو حتى إبداء رأى .

وإذا كان الأب هنا قد وافق فذلك لوجود ابنته ولكن الثورة بداخله تكاد أن تفتك به وهو يريد التخلص منهاولكنه لايستطيع فى وجود الابنة . إلى هذا الحد تحتل هذه المكانة ، ربما كانت رؤية الكاتب لنوعية الحياة فى الوقت الحاضر - زمن كتابة المسرحية - وتنبأ بذلك الوضع فى التوقيت الزمنى الذى أشار إليه .تصل المرأة إلى مكانة يكون الرجل أدنى منها . أو كأنه قلب الوضع تماما فى العلاقة بين الرجل والمرأة . يؤكد ذلك الحوار الذى يدور بين العم وعلاوى حيث يحاول العم أن يتخلص من ثورته المكبوتة :

العم : ميرى .. لو تروحين تشوفين أمج .

مريم : (وهى صارخه) ليكون تغلط عليه بشىء

العم : أمرج .. قلت أمرج

تخرج ميرى ويبقى العم وعلاوى .. ويبدأ ينظر كل منهما للآخر نظرة ملل وضجر .

(علاوى ينتظر من العم أن يتكم ولكن دون جدوى)

علاوى : قول شعندك اخلص .. اشعندك بتحملق عيونك فينى

العم : إنت حمار

علاوى : بس .. سهلة

العم : أنت ثور .. يابه بيقول المثل اللى ما يبيك ما تبيه

لقد وافق العم على إقامة علاوى بمنزله وذلك رغما عنه ورضوخا لرغبة ابنته التى علت شخصيتها على رغبته . ولكن تلك الموافقة لم تصدر سوى من ظاهره فى حين أن داخله رافض تماما ومشحون كرها وحقدا . رأى أن يخرج كل ذلك قبل أن ينهار فيكون حديثه لابنته الذى يتصف بالرجاء مع كلمة «لو» فهو هنا لا يوجه إليها أمرا قاطعا . بل أنه أختيارى : نفذ أم رفض فهذا راجع لرغبتها . هكذا تكون الفتاة مصدر قلق للأب وبفكرها الناضج تصل إلى ما يرمى إليه الأب وبسلطان شخصيتها يكون توجيه الأمر منها له . ويكون الصراخ التعبير المصاحب للحوار . ويوافق الأب مؤكدا لها الطاعة دون مناقشة ربما للأسلوب القاسى . ويمكن أن يكون بسبب عدم استمرار الحوار حيث إنه فى شوق لأن ينفرد بعلاوى كى يفرغ شحنة الغضب فى وجهه . وتنصرف الابنة ليتخلص العم من البركان الثائر داخله فى شكل قذائف لعنات لعلاوى والذى يتقبلها راضيا .

إلى هذه الدرجة تكون الفتاة الابنة قابعة على أنفاس الأب الذى يراعى بل يخشى مواجهتها، وإلى هذا الحد تكون المرأة قد وصلت إلى الاستقلال الفكرى حتى أصبح عملاقا تتحطم أمامه الآراء المغايرة . لقد أعطى الكاتب المرأة من خلال المشهد السابق دفعة هائلة أحدثت انقلابا كليا في بناء شخصيتها التقليدية .

الابنة تسيطر على الأب بشخصيتها القوية في حين ترضخ لعلاوى ولم يكن هذا ضعفا منها بل اقتناعا، وبعد تفكير ترى أنه على صواب ولها فى ذلك الحرية الكاملة فى اختيار اسلوب الحياة حتى ولم يطلب للأب ذلك .. إلا أن الحوار يستمر بين العم وعلاوى الذى يكيل له من قاموس الحقد والبغض الكثير :

(تدخل مريم تحمل علبة فى صينية .. وبها مصاص .. تقدمها للأب يأخذها ويبدأ يشرب منها) .

مريم : هه يابه شلونك وياعلاوى

العم: آنه ويه علاوى .. شيء شيء شيء

هكـذا لا يجرؤ الأب أن يعترف أمام ابنته بالحقيقة حتى ولو كان الحوار يقترب من الكوميديا . فهو بالرغم من سبه لعلاوى وما كال له من قذف ووصف فهو يخفي ذلك الوجه ويبرز وجها آخر حتى لا يقع تحت المساءلة من ابنته التى تشكل له على وجه الخصوص دون الأم قلقا يصل إلى حد الخوف . وتفسير ذلك أن الابنة قد نالت كل حقوقها المشروعة فى غياب الرجل الذى كان بمثابة رمز القوة والرهبة فى البيت لذهابه وانغماسه فى أعماق الحياة التى ارتضاها وعاشها وقد أهمل ما سواها . فنشأت الفتاة تتزود بكل أشكال المعرفة بشتى الوسائل فتفوقت فى كل شىء ونمت شخصيتها فى حين كان الأب يفقد ما صنعه الدهر شيئا فشيئا . لقد تغير موقف الأب فجأة بعد دخول ابنته وهو الذى يعرف عنها ما تكنه لعلاوى . إذن فلن يرضيها سماع ما تكره بالرغم من أنه لم يقل كل ما أراد قوله .

ويستمر الحوار فى وجود الابنة التى بوجودها استطاع علاوى أن ينال قسطا كبيرا من الحرية للتعبير عن آرائه دون خشية الأب الذى شعر بانهيار أعصابه إن لم يخرج كل ما بداخله بلا خوف . إذن لابد من إزاحة ذلك الجدار الرابض وهى الابنة حيث إن علاوى قد وصل فى حواره إلى ما يريد قوله مسترسلا دون توقف فيوجه الأب حواره إلى ابنته مرة ثانية مكررا نفس الطلب السابق :

العم : ما تروحين ياميرى تستعجلين أمج .. انه وراى أعمال وأخاف أطلع تسافر ما أشوفها

ميرى : حاضر ( تخرج )

العم : أنت متقولى اشعندك فى بيتى وتتهجم على وعلى عائلتى

من هذا الحوار يتبين مدى ما وصلت إليه المرأة من التحرر الذى منحها الحرية فى كل شىء ومنها الفكر المستقل المتحرر . فإذا كان الأب يرى فى مغادرة الابنة المكان تنفسا يمكن له أن يعبر عما بداخله بصراحة لا تصادر وبحرية لا يحجر عليها فإنه ذكر أيضا ضمن حواره سفر الأم التى يريد أن يراها ليودعها . إذن فهى سوف تسافر وحدها لقضاء عطلة الأسبوع فى فرنسا . ويذكر الأب أنها منذ أسبوع كانت فى روما .. وربما بعد أسبوع فى بلد آخر وهو قابع فى الكويت يدير عمله . إذن فهذه صورة أخرى للمرأة

المتحررة فكريا والتى تخطط لنفسها وتنفذ فى الوقت الذى يحلو لها . وبالفعل تنفذ الابنة ما طلبه الأب هذه المرة دون تحفظ أو إصدار إنذار كما سبق . وذلك لأن الحوار الذى دار قبل هذا المطلب كان طويلا استأثر علاوى على نسبة عالية منه والأب مستمع رغما عنه ولايرد سوى بكلمات قليلة اعتراضا وليس إبداء رأى . فهو يرى أنه فى موقف استعداد لرد أى عدوان منه على علاوى، وبقوة لايستطيع تحملها أمام هذا الذى يعد غير مرغوب فيه . وما أن تخرج الابنة حتى يواصل العم الهجوم على علاوى .

ومن هذا الموقف يتكشف أن الأب لم يكن لديه الجرأة أن يفعل أشياء معينة أمام الابنة . على العكس من المرأة التى تفعل ما يحلو لها دون الاهتمام برأى الرجل . وهذا واضح فى حوار الأب للابنة أخاف أطلع تسافر ما أشوفها » إذن فالأم قد عقدت العزم على السفر وحددت الموعد والرجل سوف يذهب لعمله فى حين أن الأم ستغادر الكويت دون الرجوع للزوج، وفى هذه الحالة عليه هو أن يسعى لرؤيتها بغية وداعها . هكذا تكون العلاقة بين الأب والابنة والزوجة التى تسيطر عليه دون الابنة والرجل لايملك سوى الاستسلام في هذا الجو المشحون بالأوامر والرغبات التى عليه أن يقوم بتلبيتها . وهكذا تتضح وتصل صورة المرأة إلى هذا القدر بل وتتعداه فى مواقف أخرى . فعلى حين ترغب زوجة العم فى الرقص على أنغام موسيقى أجنبية وتطلب من زوجها مصاحبتها يعتذر العم فتراقص نفسها ، ثم تتجه للابن ليكون بديلا عن الأب التى ترميه بالاتهام بالكبر . ويحاول الرجل أن يبدى رأيه ولكن الزوجة لاتسمع له لأنها تكون فى تلك اللحظة قد اندمجت فى اللحن وكأنها قد دخلت إلى صلاة :

ويحاول العم أن يتكلم ولكن زوجته تبدأ تردد اللحن مع الاسطوانة مما يضطر الزوج (العم) أن ينهض ويرقص معها حتى يكلمها . ويحاول أن يكلمها) .

زوجة العم : بعدين يابو ميرى .. بعدين .. أنا منسجمة الحين .. منسجمة

(علاوى يوقف البيك أب ويقترب من زوجة العم التي تكون قد توقفت عن الرقص)

علاوى : أنتى شنهو .. ومنسجمة هه

زوجة العم : متوحش .. متأخر .. يعيش فى القرون الوسطى من سكان النجوم

ميرى : يللى ياعلاوى .. قدامى داخل (تسحبه إلى الداخل)

من هذا الحوار يمكن أن نتعرف علي صورتين للمرأة وإن اختلفتا فى المظهر ولكن جوهرهما واحد . فالصورة الأولى لزوجة العم التى سبق أن قررت السفر وهاهو الزوج يخشى ألا يحظى بلقائها قبل مغادرة الكويت فيكون هو الداعى لأكثر من مرة حتى تتنازل وتحضر . لا لتودع الزوج أو تجرى معه حوارا ولكن لكى تبدأ جولة من الرقص الذى أدمنته لدرجة أنها لاتقبل الدخول فى حوار حتى لا تفقد إيقاع الحركة، وحينما تدعو الزوج لمرافقتها وهو غير مستعد لتقلب مزاجه الذى عكره علاوى لا تعبأ بعدم التلبية وتختار الابن بديلا بعد أن تصفه بالشيخوخة . ولا يعترض الرجل . . ولكنه يرضخ لأمرها لاحتياجه الشديد إلى إجراء حوار معها قبل سفرها ربما لأمور متعددة ولا تقبل الزوجة منه كلمة واحدة وعذرها أنها منسجمة مع إيقاع الرقص .

كل ذلك على مرأى ومسمع من الزوج والابنة والابن (عوعو) كما يحلو للأم أن تناديه . هكذا تكون زوجة العم قد ملكت زمام الأمر تماما ولم تدع للرجل مجالا لإثبات الوجود الذى شغلته . والابنة لا تبدى أى اعتراض فهى الأخرى امرأة وقد تعودت النساء على امتلاك الزمام فى هذه الحقبة من الزمان كرؤية الكاتب . فالابنة توافق الأم على كل ما يصدر منها بدليل أنها لم تعترض والابن لصغر سنه لم يكن قد نضج بعد حتى يمكنه ابداء رأى . ولكن علاوى ذلك الشاب الثائر على كل ما هو شاذ وما أكثره ، يتحداها ويفقدها ذلك الانسجام عندما يوقف جهاز الموسيقى ويخرسه منتزعا منها تلك المتعة ويزيد فى أن يتطاول عليها كرجل احتفظ بخصائص الرجولة المتوارثة والتى افتقدها غالبية الرجال حتى هذا العصر سنة ٢٠٠٠ . ويتخذ منها موقفا صارما مستعدا لخوض معركة لايحفل بما تنتهى . لتبرز صورة أخرى من خلال الابنة مريم التى شهدت ما دار بين الأب والأم ولم تتدخل . ولكنها هذه المرة وفى هذا الموقف وبعد أن توجه زوجة العم السباب ، تتجه مريم إلى علاوى وتطلب منه مغادرة المكان بصيغة الرجاء وليس الأمر ، ويوافق علاوى لتبدأ جولة أخرى من السباب واللعنات موجهة إلى علاوى، وهذه المرة من الرجل العم توافقه زوجته . فقد اتحدا على خصم واحد . من هذا الموقف تكون مريم قد تدخلت بين الأم وابن العم فهى لا تقوى هذه المرة على مجابهة الأم التى تتفق معها في

الجنس عكس ما حدث مع الأب وكيف عاملته وكم رضخ لرغبتها . وكان بسبب ابن العم أيضا . وهى ترى صداما آخر طرفاه الأم وابن العم وبالطبع فإنها تقف بجوار ابن العم لكنها في الوقت نفسه تضع فى الاعتبار أنها لو تدخلت فستكون المعركة خاسرة لا محالة ، خاصة وأن العم لن يقف سلبيا هذه المرة فهو يكن لعلاوى كرها وحقدا وسوف ينضم إلى زوجته وستكون كفة الأم هى الراجحة . والابنة لا تريد ذلك . وإن دل هذا على شيء فإنما يدل على ذكاء من الابنة نابع من فكر مستنير مستقل لا سلطان عليه من الأب أو الأم . وهكذا تتضح صورتان للمرأة من خلال زوجة العم وابنتها ميرى .

وأيضا تكون المرأة الثانية «أم علاوى» صورة أخرى لهذا الاستقلال الفكرى الذى يسمح للمرأة وأعطاها حق توجيه الرجل كما تريد ليكتمل ثالوث الاستقلال فى الموقف الذى يجمعها وزوجها مع العم ، وبعد نقاش حول علاوى وحالته الشاذة من وجهة نظرهم والتى أدت إلى طرده من بيت أبيه يستغرق هذا الحوار وقتا ليس بقصير مما أقلق أم علاوى :

أم علاوى : يللى المباراة ما بقى عليها شيء تأخرنا وايد

أبو علاوى : زين .. عن إذنك ياأخوى لا تتأخر المدام عن المباراة بعدين تصير مصيبة .

هذه صورة أخرى يكون فيها وجه الشبه كبيرا إذا ما قورنت بصورة زوجة العم التى تعد من مجانين الرقص على الموسيقى الغربية . فكذلك أم علاوى تعشق الرياضة التى تجيدها والزوج يقف موقف المشجع الذى يساند زوجته ويدعو لها بالنصر الذى سوف ينعكس صداه عليه أيضا أينما وجد . وذلك واضح فى حواره مع أخيه . فهو يتركه بعد وليمة لم تكتمل وحوار لم يستمر لمصاحبة الزوجة التى يطلق عليها المدام حتى لا تصل بعد الوقت المحدد فتكتب لها هزيمة . وهنا يصف الزوج هذا الموقف أى التأخير مصيبة وهو يعلم فى قرارة نفسه أنها سوف تصيبه هو بالذات .

ومن حوار أم علاوى الموجه للزوج بحضور العم يتضح أنه يتخذ صفة الأمر وماعلى الزوج إلا التلبية والطاعة الفورية دون نقاش، والعم لا تعليق من جانبه ولا غرابة فى ذلك. فهو ليس بأحسن منه حالا وربما اعتاد الرجل على مثل تلك المعاملة .

ويجسد الكاتب الأنقلاب الذي غير صورة المرأة نتيجة للواقع الجديد الذى فرض نفسه بشدة من خلال التطور الحتمى للمجتمع الكويتى المعاصر .

وهكذا فقد تجسدت ثلاث صور وضح من خلالها المدى الكبير للاستقلال الفكرى عند المرأة ومدى استغلال هذه الخاصبة لفرض الرأى الذى يصل أحيانا إلى سلب أو إضعاف شخصية الرجل . هكذا تصور الكاتب أن المدنية السريعة واللامبالاة المنتشرة وانصراف الرجال إلى ملذاتهم يمكن أن يولد هذا الواقع من وجهة نظره . فعندما يفقد الإنسان رسالته الحقيقية في الحياة . ويصبح عاجزا عن تلمس الطريق نحو مستقبله . فإن أى شىء يمكن أن يحدث له دون أن يستطيع مواجهته أو حتى الهرب منه . لكنه لو تخلص من روح القطيع . وتمتع بالاستقلال الفكرى الناضج . فإن أية أضواء مزيفة مهما كانت مبهرة لن تصيب بصره بالعمى .

# الباب الثالث

# على الصعيد الأخلاقى

# الفصل الأول

## ( الوعى والقصور )

المسرح نقد للحياة .. هذا المبدأ كان موضع اعتبار على مر العصور . حتى وإن لم يكن واضحا بدرجة ما فى بعض الأزمنة أو بعض الفنون . وإذا اختلف وجه النقد ، نقد الحياة ما بين التراجيديا التى تهتم عادة بالقضايا الإنسانية المصيرية ، والكوميديا ، التى تتجه مباشرة إلى نقد المجتمع وإظهار جوانب النقص فيه . فإن التراجيديا الحديثة ، والكوميديا المعاصرة . تجعل من نقد الحياة أساسا لها ، والخلاف يكون من نوع القضية المطروحة على خشبة المسرح وأسلوب الكاتب فى معالجتها . وطريقة الممثلين فى تجسيدها وإقناع الجمهور بها .

إن «نقد الحياة» يعني إظهار ما بها من عيب ، أو ما بنا من أفراد أو أنواع ، أو طبقات ، أو مهن ، من عيوب شتى . ولكى يستقيم تكوين العمل المسرحى وينشب صراع يعبر عن تعارض إرادتين أو أكثر واختلاف فى وجهتى النظر تجاه أمر واحد . فإن الكاتب المسرحي لابد أن ينتقي شخصياته بطريقة تعطى الصراع فرصته فى الاحترام والتصاعد ، ذلك التصاعد الذى يجعل الجمهور المشاهد يترقب ، ويتشوق ، ويطلب العرض ، بدلا من أن يستهجنه ، إن الأمر يتوقف قبل كل شىء على مهارة الكاتب فى انتقاء القضية أو المشكلة موضوع الصراع ، ثم انتقاء الشخصيات التى ستتصارع حولها ، والصفات الأساسية للفريقين طرفى الصراع ، وليس من الضرورى أن ينشب الصراع دائما بين الكمال والنقص . أو بين الوعى والقصور ، والكمال – على أى حال – ليس مطلوبا فى البطل الدرامى (ولا حتى فى البطل التراجيدى أذ لا بد من ثغرة تؤدى إلى الخاتمة الفاجعة) ولكن أنواع النقص يمكن أن تختلف ، وكذلك أنواع القصور .

والإنسان هو أرقى الكائنات الحية الذى يحمل العاطفة متعاملا بها ومعها منذ اللحظات الأولى لوجوده . والإنسان هو الذى ارتقى بهذا الإحساس وهذبه من الغريزة الحيوانية التى لا حدود لها إلى إحساس يتناسب مع الطفرات التى أحدثها واستحدثها مع الاكتشافات الهائلة فى العلوم الإنسانية . وعلى ذلك ارتقى الإنسان وارتقت الأحاسيس بداخله ، وكان للمرأة نصيب كبير فى التعامل مع تلك الغرائز وذلك لطبيعة حياتها المستقرة نسبيا والتى تمنحها فرصة أكبر من الرجل فى التأمل والتحليل . فهى تفوق الرجل فى الوجود داخل المنزل بعيدا عن مشاكل العمل . ولديها فرصة لتنمية هذا الاحساس الذى يصل فى الغالب إلى حد الوعى الجاد والمرهف بل والحدس .

وقد مر المسرح الكويتى على هذه الخاصية مر الكلام ، بل وانتزع من المرأة هذه الخاصية التى تميزت بها .. وجعل القصور يطغى تماما على الوعى عندها . ومن خلال المسرحيات التالية سوف تتضح الصورة لهذا المفهوم من خلال التطابق بين الوعى والقصور.

ففى مسرحية «للصبر حدو»د لخالد رمضان ، التى عرضت للمرة الأولى لمدة ١٦ يوما ابتداء من ١٠| ٧ |١٩٨١ .

لجأ الكاتب إلى تجسيد مشكلة انتشرت فى الكويت . وهى الزواج للمرة الثانية دون أدنى تفكير فى العاقبة التى ستخلق ضحاياهم أقرب الناس إلى الزوج لمجرد نزوة يتوفر لها المال السهل وهو الدافع الأول لذلك السلوك المستحدث . يبرز ذلك من خلال أحداث المسرحية التى نعرف من حوارها أن الأب يعترف لأخيه بزواجه فى القاهرة من فتاة فى عمر أبنائه وكان قد حضر للبحث عن خادمة تساعد زوجته فى عمل البيت التى أعياها كثرة محتوياته مع اتساعه . ولكنه بدلا من أن يبحث عن الخادمة يعجب بالفتاة «سوسن» ويتزوجها ويعود للكويت على أن تلحق هى به ... وتصله برقية بموعد وصولها ويجد الزوج نفسه فى مشكلة . فالأسرة فى انتظار الخادمة التى ذهب الأب لإحضارها . وهو بدوره ينتظر الزوجة التى عقد قرانه عليها .. إذن فالزوجة الثانية سوسن أصبحت تحمل لقبين : خادمة وزوجة . ولا يدرى الرجل كيف يتخلص من هذا الموقف وتكون النتيجة عكس ما يأمله . ولكن الزوج يخشى الاعتراف المجرد ويقتنع أن المصارحة لن تتم إلا بالتدريج .

تحضر سوسن مع الابن «محمد» وأبيه (الزوج) على أنها خادمة دون علم منها . ويدور الحوار المشحون بالمفارقات ويتطور الحدث . والزوجة والابنة «سناء» مقتنعتان أنها خادمة برغم التصرفات التى لا تدع مجالا لشك فى أنها ليست خادمة .حتى أن الابنة من منطلق أنها جامعية تلمح أنها ليست بخادمة ، ولكنها لا تصل أيضا للحقيقة التى تعترف سوسن نفسها بها أمام الجميع حتى تنتهى المهزلة التى وضعت فيها دون إثم منها والتى تسبب فيها الأب بتصرفه الخاطئ مرتين : الأولى حينما أتم الزواج .. والثانية بإخفائه حقيقة هذا الزواج .

وهذه المسرحية تشتمل على أربع لوحات يكون اعتراف الزوج لأخيه فى اللوحة الأولى.ثم تصل نفيسة أو سوسن كما يحلو للأب أن يناديها فى اللوحة الثانية حيث يكون فى استقبالها فى المطار الزوج وابنه محمد . وما أن يصلوا إلى البيت حتى يبدأ الاحتكاك بين الزوجة نفيسة والزوجة الأولى وابنتها سناء . ومن الحوار الذى يدور بينهم والذى لا يحمل أى معنى للفرق بين خادم ومخدوم حسبما العرف السائد فى أى بلد . بالرغم من هذا يفترض الزوج بل يتأكد من عدم كشف الحقيقة . ويصدق حدسه .فالحوار الموجه من نفيسة للزوجة أو لسناء الابنة المثقفة لا يوحى بأية فروق .. خادم وسيد .. فحينما تراها الزوجة الأم ترى فيها شبابا مبكرا .. ثم زيا فاخرا وماكياجا مبهرا ، فلا تكاد تصدق ، ولكنها أيضا لا تصل بفكرها إلى أبعد من ذلك ، وتستسلم للموقف دون أية ملاحظة سواء منها أو من الابنة . ويكون السؤال الأول للأم موجها إلى الزوج :

الأم : هذى هى ؟ !

نفيسة : أيوة يا طنط .. هيه بلحمها وشحمها .. ياسى قاسم برضه هيه دى

الأب : أيوه ياسى نفيسة .. برضه نعم

الحوار السابق بداية بين أطراف المشكلة التى بدأت ، وهذا موقف المرأة المتمثل فى الأم الزوجة والابنة سناء من هذه الوافدة .. فسؤال الزوجة عنها منطقى لا غرابة فيه من سيدة تريد التأكد من امرأة يقال إنها خادمة ، ولها كل الحق فى ذلك ، ولكن الغريب هو الرد الذى يحتمل أكثر من معنى فبالنسبة للزوجة المفروض أن يكون من خادمة لسيدتها والألفاظ المتداولة فى هذه المواقف معلومة جيداً . أما من الطرف الآخر وهى نفيسة فردها أيضا طبيعى فهى ترد على امرأة تتساوى معها وإن لم تزد هى عليها

بمؤهلاتها التى انتزعت منها ، أى من الزوجة ، بحكم السن . وتعنى مسحة الجمال والشباب المبكر والدلال المصرى الذى لايتوافر في الزوجة الأولى فى هذه السن المتقدمة والتى ترفض الاعتراف بها . فإذا كان رد نفيسة طبيعيا بالنسبة لها ، فهو ليس كذلك بالنسبة للأم . ويؤكد هذا توجيه الحوار للزوج بعد أن تجيب على سؤال الأم بألفاظ مجردة من التكلف بقولها « ياسى قاسم » والتى لا تجرؤ الزوجة الأولى على ندائه بهذا اللفظ أو المعنى . فهل يمكن أن يكون الرد من خادمة وافدة إلى الكويت ؟ ! المفروض انها غريبة وتهاب الموقف . وعلى الرغم من ذلك فالحوار مستمر عاديا دون أن يعترض أحد منهم بأى تعليق . وكأن الرجل قد انتصر فى هذا الموقف . فهو يدخل على زوجته وأولاده زوجة ثانية مفترضا فيهم السذاجة والقصور عن الفهم إلى هذه الدرجة .

ويستمر الحوار الذى تكون فيه نفيسة ندا قويا أمام كل أفراد الأسرة ، والزوج لايملك إلا التصديق على قولها دون أدنى اعتراض حتى ولو كانت مخطئة . ولا يحرك هذا الموقف ساكنا من كلتا المرأتين أو أدنى شك في حقيقة أمرها . هذه بداية الصورة التى سوف تتأكد عندما تكتمل ملامحها .

وفى حين يدخل الابن محمد حاملا حقيبتين ثقيلتين ويسأل أين يضعهما ويصله الأمر من أبيه بأن يضعهما هو عنه ، ويكون الاعتراض من الزوجة الثانية التي تخشى على مابداخلها . مما يثير فضول سيدة البيت « الزوجة الأم » من هذه المرأة الخادمة :

نفيسة : ويخليهم ليه .. دول بتوعى ياقاسم

سناء : ويه اسم الله .. ندرى بتوعك .. بناكلهم

الأم : واللا بنوقهم .. حطهم ياوليدى . قطعوا قلبك مايسوى عليك ( يضع الشنط) .

الأب : لأ شلهم وديهم داخل .

محمد : ( بعد أن يضع الشنط ويحملهم مرة ثانية ) الحين أشلهم واللا أحطهم .

نفيسة : يقولك انت ياحليوة .. يامكلبز شيلهم

محمد : مدام حليوة ومكلبز . مانى حاطهم .. إلا على قلبى ياجميل

الأب : حطهم حط الله حيلك لايا .. لايا ( يتهدد عليه ) ياالله أذلف

هذا الحوار يضيف شيئا قليلا على ملامح الصورة التي تشكلت فى بداية الحوار ، فبينما الابن يطلب المعرفة لتوجيه الحقيبتين .. يكون الخلاف من كل طرف .

فالأم تشفق عليه من ثقلهما . والأب يريدهما مكانه . ونفيسة تعترض خوفا علي مابداخلهما والابنة تستنكر مايحدث . ثم يعود الأب آمرا ابنه بحملهما داخلا بعد أن تبدى الأم إشفاقها على وليدها . ويقع الابن فى حيرة بين كل هذه المتناقضات والأقوال والمواقف . ويكون الدلال من نفيسة للابن الذى يتقبل المعنى بنشوة ، كل ذلك التشابك وربة الدار وسيدتها المفترضة لاتصل إلى معنى لتفسير مايحدث ، وحتى الابنة سناء يكون ردها استنكاريا لا أكثر ، ثم توجه نفيسة حديثها للأب باسمه مجردا من أية مقدمات وهذا مالا يحدث من الزوجة الأولى أم الأولاد . فهل يمكن لخادمة أن تنادى سيدها باسمه مباشرة أو حتى أحد أفراد العائلة مهما صغر سنه ؟! ويكون اعتراض سناء على موقف الحقيبتين لا أكثر وكأن أباها قد فقد احترامه ولم تستوعب أبعاد الموقف . ثم تضيف الأم مؤيدة حوار ابنتها وكأن لفظ النداء من نفيسة لم يصل سمعها . فهل ذلك الموقف لم يوح لهما بحقيقة هذه الخادمة التى جردت رب الأسرة من هيبته . يزاد على ذلك استحسان الابن محمد لما توجهه إليه نفيسة من الفاظ تحمل معنى المغازلة فيطيع الأمر بعد أن يتضارب رأى الأب والأم ولايدرى هو من سيكون له الأمر حتي يطيعه . ويكون الأمر من نفيسة فلا يعبأ الابن بوالديه مفضلا الرأى الأخير الذى ارتضاه . يكون رد فعل الأب مثيرا للشك والريبة . فهو يعنف الابن بقسوة تصل إلى حد الطرد من أجل بضع كلمات من هذه الوافدة نفيسة ، وكأن الغيرة قد بدأت تسرى بداخله .. ويكون أمام الجميع هذا التصرف . ولاتصل نتيجته داخل الأم أو الابنة . مجرد الشك ، سوى أن الأم ترتاب فى حقيقة هذه الفتاة كما تعتقد فهذا المظهر لايدل أبدا على خادمة :

الأم : سناء .. سناء .. مصيبة .. مسنحه ومكشحة ماكنها يايه تشتغل خادمة .

سناء : كشخة على الطل .. كلهم أول مايجون هالشكل .

تكاد الأم أن تصل إلى بعض من الحقيقة ولكنها تتردد فى تكهنها حينما توجه الحوار لابنتها ، وهى هنا قد نسيت أو تناست مادار بين زوجها وابنها من أجل تلك الخادمة ، وكيف أنه تطاول علي ابنه وأبعده حينما لمحت نفيسة ببعض كلمات استحسنها الشاب وكان لها وقع الصاعقة على أبيه مما جعله أمام عائلته يثور هكذا على ابنه الأكبر الذى يحمل منزلته بعد الأب مباشرة .

وقع هذا الحوار ورد الفعل دون أن يترك صدى لدى الزوجة أو الابنة . ولكن أقصى ماتوصلت إليه الزوجة هو الشك . مجرد الشك فى أن مثل هذه الفتاة يمكن أن تكون خادمة . وإذا كانت الزوجة قد ارتابت فى الأمر إلا أن الابنة المتعلمة تنفي هذا الظن مؤكدة أن كلهن على هذه الحال في بداية الأمر . وكأن مادار من حوار من نفيسة موجه للأب لم يثر تساؤلا لماذا هذه الخادمة تتناقش معهم دون تحفظ وخصوصا من ناحية رب الأسرة ؟! ولم تكن بالطبع هى الأولى التى تتولى الخدمة فى هذا البيت . أى أنها على وعى تام بالفروق الواضحة التى يجب توافرها بين الخادم والمخدوم ، كل ما فى الأمر أنها أى الأبنة سناء تختلق لها العذر أمام الأم التى بدورها يساورها الشك . فهى امرأة وزوجة تعلم تماما منزلتها لدى الأب بعدما أفقدتها عشرات السنين نضرتها والجزء الأكبر من حيويتها . ثم وجود هذه الفتاة بهذا الوصف داخل البيت لابد أن تحرك عاطفة أحد ولاتصرح ولكنها تخفى ذلك فيمكن أن يكون الابن وهو شاب ويرجح أن يكون الزوج :

الأم : (لسناء) مهو جابها صغيرة وايد . والله أنا خايفة منها .

سناء : أحسن يمه .. كل ماصارت صغيرة .. أنشط حق الشغل .

إن الحدس لدى الأم بدأ يسيطر عليها .. ففى الحوار السابق تستبعد على نفيسة وهى بهذا المظهر ، أن تكون خادمة ، ثم فى هذا الحوار تعترف بالخوف منها أى أن الوعى يبرز لتفسير الإحساس ولكن الأم لا تستطيع الاستمرار . وهنا نجد الكاتب قد منحها جزءا من الوعى الذى سرعان مايذوب . يساعد على ذلك تحليل سناء للموقف والتفسير السطحى .. ربما لعدم الخبرة وربما أيضا لتهدئة الأم التى لو استمرت على هذا الشك فسوف تصل إلى حالة غير مرضية . والنتيجة عدم الوصول للحقيقة المدمرة إن استمرت . وتظل الأم على عدم الاستقرار فى الرأى الواحد الذى تبدأ فى الخوض فيه ولاتستطيع أن تصل إلى نهايته عندما تجد مبررا يوقفها عند نقطة الوصول . فهى ترى الزوج يصطحب نفيسة وهو يحمل الحقيبتين :

( يذهبان معا ويحملان الشنط ويخرجان )

من هذا المشهد يكون تعليق الأم :

الأم : عجيبة .. أشوفها تعون أكثر من اللازم .. لاعمى ولاعمتى العادة يقولون ياستى ياسيدى ماشفناش ولاسمعناش . ما أدرى توها غشيمة أول مرة تشتغل .

هكذا يكون تحليل الأم لهذا الموقف ، وتكتشف أخيرا أن نفيسة لم تنادها بسيدتى وهى ترى الزوج فى صحبتها للخارج . ومع ذلك لم تثر أى اعتراض ولم يترك هذا الموقف فى نفسها تساؤلا تصارح به ابنتها على أقل تقدير ، فهى تشك ، لكنه شك سلبى لايدفعها إلى المصارحة أو المواجهة بحقيقة مايدور بداخلها .

كل هذه الأحداث ليست كافية لكى تكتشف الأم أو الابنة حقيقة تلك الوافدة برغم مايدور أمامهما من تصرف سواء من نفيسة أو من الرجل رب الأسرة نفسه والذى يفترض فيه الخشونة والغلظة أو الحزم في تعامله مع النساء ، فهو يتنازل عن أشياء كثيرة أمام تلك المرأة التى تعد حتى الآن فى نظرهما خادمة . وبرغم معارضة الأم على تصرفاتها ، أى نفيسه ، فإنها لم تعارض تصرفات الزوج تجاهها . ويؤكد ذلك الحوار الذى يدور بين الأم والابنة ومحمد الابن الأكبر فيما يخص الأب والخادمة :

محمد : يمه أنا سمعت أبوى بيقولها فوفو

الأم : غربال .. أخاف لها اسمين

سناء : لأم يمه .. يمكن سامعهم يدلعونها أهناك ويسمونها فوفو

محمد : متعت وياها طول الطريق ورة وفرحان فيها

الأم : شلون

سناء : طبعا فرحان مدام يايبها تخدمه .. طبعا يفرح فيها وهوه يعرفها أكتر واحد فينا .

الأم : عيل شحقه قاعد وياها ورة .

فى الحوار السابق يكشف محمد الابن وجها آخر يمكن من خلاله الوصول إلى حقيقة هذه الوافدة . فهو يعترف بأن الأب يدللها ثم يضيف أنه طوال الطريق من المطار وحتى البيت كان جالسا معها فى المقعد الخلفى بالرغم أنه يوجد مكان بجانب قائد السيارة وهو المكان الطبيعى لها . من الموقفين السابقين لايكون تعليق الأم الزوجة لابنها سوى بكلمة «شلون» إذ أنها لم تدرك أبعاد الموقف . ولايوجد حولها من يساعدها على ذلك ، فالأبنة سناء مثلا تنفى كل شك تبدؤه أمها بتحليل للموقف أبعد مايكون عن المنطق والوعى . فلم يساور سناء أدنى شك فى حقيقة أمرها . فالابنة هنا سلبية إلى أبعد الحدود عكس الأم التى تتراوح بين الوعى والقصور ، فهى فى نهاية الحوار السابق لاتبدى سوى كيف يجلس معها فى الخلف ولا أكثر من ذلك . كذلك فإن الزوجة إذاً لم

تستطع أن تصل إلى نهاية شك أو ريبة إما بفكرها المحدود أو بآراء سناء التى تبطل هذه الشكوك . إلا أنها أى الزوجة لتهدأ ، فقد أصبحت محاصرة بين الشك واليقين ، وذلك يتبين فى الحوار الذى يدور بينها وبين الأب عندما يدخل وحده :

الأب : ( يدخل )

الأم : وين ودتها . وين راحت هالفوفو مالتك

الأب : أوه .. هالفوفو .. قطع الله إبليسك .. قطاوة وديتها الملحق بعد .. وين راحت .

الأم : الملحق .. شحقه الملحق وغرفتها شفيها عيونى

الأب : غرفة الخدامة .. ناوى أعملها علشان تصير حق القعدة .

تشعر لزوجة بأن الأحداث تتوالى فى غموض وهى لم توافق بالطبع ولكنها لم تصل إلى معنى صريح يمكن من خلاله أن تجد تفسيرا لما يحدث بهذا الشكل . فهى فى سؤالها للأب وقد نطقت باسم التدليل لم ينكر الأخير ذلك بل يضيف بأنه أسكنها الملحق ويبرر ذلك باحتياجه لغرفة الخادمة . إن سلوك الأب وتنازله أمام نفيسة التى تكون فى الحقيقة غير مذنبة . فهي تتصرف كزوجة وهذا من حقها . ولكن الذى لم يكن واضحا سواء لها أو لباقى أفراد الأسرة حقيقة تلك الوافدة من وجهة نظر كل منهم . إذ لم يحرك تصرف الأب فى شعور الأم شكا يقترب بها من حقيقة الوضع المريب .

وكذلك فى موقف سناء الفتاة المتعلمة المثقفة لم تستطع حتى هذه اللحظة أن تصل بفكرها إلى نقطة صحيحة تقترب بها نحو الصواب على أقل تقدير . فهى دائما تهدئ من ثورة أمها التى لو ساندتها لوصلتا إلى شئ .

ويستمر الحوار الذى تدور فيه الزوجة الأم فى دائرة مفرغة لتكرر رأيها الذى سبق أن نطقت به لأكثر من مرة بإعلان شكها فى سلوك زوجها ولا خطوة عملية بعد ذلك . ولو اتخذت الطريق الصحيح الذى بدأته فى كل مرة لقادها إلى تضييق الخناق والوصول إلى بداية الخيط . ففى موقف آخر يكون تأكيدا ذكر فى حوار بين الأم والابنة . يتكرر الشك من الأم الذى يمحوه تحليل الابنة أيضا :

الأم : أنا من عمرى ماشفت خدامة محمرة ومبدرة آخر موديل .

سناء : ولايهمك يامة من باكر فهميها عدل ومشيها على رأيك عدل

ترتاب الأم وتبدى استنكارها من هذه الخادمة ثم تهم فى هذا الحوار لأول مرة دون أن تلتمس لها العذر . ولكن الأبنة كعادتها لاتوافق الأم علي قولها بل يكون الرد تأييدا لموقف الأب الذى بدوره يستحسنه ولم تكن الأم فى أى من المواقف تكمل وجهة نظرها بعد إجابة الابنة . فهى تأخذ هذه الإجابة قضية تسلم بها دون نقاش . والأم من خلال هذا الحوار تنفى رؤيتها لخادمة بهذا المظهر والمنطق يؤيد هذا النفى . فمن وصف الأم أنها «آخر موديل» فإنه منذ اللحظة الأولى لرؤيتها يمكن التكهن إما بحقيقتها أو على الأقل باستنكار مظهرها الغريب المريب . فكان أحرى بسناء أن تتخذ هذه الخطوة العملية وهى الفتاة التى تقاربها في العمر والشباب ولكنها كانت تعانى من قصور الرؤية والإرادة لاتخاذ أية خطوة محددة .

وتتصاعد الأحداث التى لاتحتاج لتفسير للوصول إلي جزء من الحقيقة ويزداد معها استنكار الأم التى تكون فى نقطة أقرب إلى الغاية . ففى الحوار الذى تشترك فيه نفيسة مع الأم والأب تكاد الأم أن تشير دون قصد منها إلى الحقيقة :

الأم : أخذوا الفراش اللى بالدار الصغيرة ودوه لها حتى تنام بيه .

الأب : لأ .. أخذناه ودیناه .

الأم : خوش كلام .. قلبه طاير معاها ليش تخليها تنام معانا أحسن .

فى بداية الحوار تتصرف الأم وقد تلاشت تماما كل الشــكوك السابقة . فهى تطلب تزويد نفيسة بالفراش حتى يمكن أن تهيأ مكانا أمنا للمبيت . وقد وافقت على إقامتها بالدار الجديدة برغم كل شكوكها التى عبرت عنها من قبل .

ولو لم يرد الأب لكان الموقف قد مر عاديا . لكن باعتراف الأب أنه أتم ماطلبته الأم وذلك قبل أن تطلب ترى الزوجة في ذلك تصرفا مريبا حقا . وتعجب لكل هذا الاهتمام وتكاد تصل إلى نقطة الاكتشاف ، ولكنها أيضا تتهمه بتهكم يهدم ماسبق . فالوعى والقصور عند تلك المرحلة يتصارعان دون أن يتغلب أحدهما على الآخر ، وتظل الأم فى حالة عدم استقرار والابنة قاصرة عن بلوغ حقيقة الأمر الواقع .

ولكن الحوار يتصاعد إلي درجة التشابك بين الأم ونفيسة والأب لايحرك ساكنا ولايتخذ موقفا حاسما من كلتيهما وإن وجه حديثه لزوجته الثانية خوفا من وصول الأم إلى شئ وهو يفترض فيها القصور بل وفى أهل البيت جميعا .

وتقف سناء من الموقف المشتعل من خلال الحوار المتصاعد موقف المتعجب ولا أكثر . وهى ترى وتسمع رد نفيسة على أمها ، والأب لايقوى على اتخاذ موقف يحسم به الأمر ، وفى الحوار التالى يتبين مدى تفجر ذلك الموقف حينما يطلب الأب من نفيسة التوجه للنوم وترفض :

نفيسة : أنا مش عايزة أنام .. أنام الوقت اللى يعجبنى واللا إيه ياسى قاسم .

الأم : لا ياقليلة الحيا .. وتزداد بعد .. لاياعيونى اللى أولها بينعلف تاليها مانبيها .

نفيسة : الله الست الكحيانة دى .. تبهرز بتقول إيه .. ماتتكلم ياسى آسم .

الأب : يابنت الحلال إنتى روحى نامى وباكر نتفاهم .

نفيسه : لأ مش بكيفها .

سناء : عيب هالكلام .. انت توك جايه .. احترمى نفسك .

هنا يتجه الكاتب للتعسف ، مقدما موقفا افتراضيا لاتقوى طبائع البشر العادبين عل تحمله ، ولايقبل منطق العلاقات الإنسانية أن يجرى الموقف بين أطرافه على هذه الشاكلة .

فعلى مرأى ومسمع من الأم والابنة يكون توسل الرجل فى توجيه حواره لخادمة . وليت الأمر انتهى عند ذلك ، ولكن العجيب أنها لاتأبه بما يقال والرد يحمل فى معناه عدم المبالاة مع رفع التكليف والإصرار عل تنفيذ رغبتها . وبعد ذلك تشهد الأب على ماتقول وكأنها تعلم مسبقا موافقته . وقبل أن يرد الأب كعادته كى يتوسل . ترد عنه الأم . فهى ترى أن الموقف لايحتمل أكثر من ذلك بعدما يكون الزوج قد استنفد توسلاته وهى قد تعدت حدودها بمراحل .. ويكون الرد هذه المرة موجها من سيدة إلى خادمة وهى مازالت واثقة انها كذلك ، وتصل إلى حد التهديد بالطرد . ويكون رد الفعل من نفيسة التهكم على الأم ثم توجيه الحوار للأب ليقول كلمته فهى فى موقف قوى بالنسبة للأب الزوج فى نفس الوقت . ويضعف الأب ولايقوى على عمل شئ سوى التوسل أيضا لإنهاء هذا الموقف الذى يتصاعد وهو لايدرى كيف ينهيه . وأمام الجميع ترفض نفيسة مغادرة المكان إن كان فى ذلك رغبة الأم . ويصبح التحدى هو السلاح المشترك بين الزوجتين .

وإلى هذه الدرجة يكون القصور مسيطرا على الأم والابنة التى يكون تعليقها على الحدث توجيه اللوم مع طلب الاحترام من نفيسة . هذا كل ما أمكنها أن تفعله برغم أن الأحداث التى تمت تعكس تأويلا ينفى نفيا قاطعا بأن تلك الوافدة مجرد خادمة ، لأنها بتصرفاتها هذه فاقت كل الحدود المتعارف عليها سواء فى الكويت أو غيرها ، حتى أن الزوجة الكويتية نفسها لم تكن تجرؤ أن تتعالى هكذا . ومع ذلك فالابنة لاتتعدى حدود الاستنكار حتى هذه اللحظة وهى التى تنظر إليها كخادمة وافدة من مصر لبلد تدخله لأول مرة وفى سن كهذه . ومع ذلك يكون لها كل هذه السطوة . فلم تثر هذه المناقضات أى استنتاج من الابنة أو الأم وهى الأقوى بالنسبة للأب وهو يعنيها أكثر من سناء وخصوصا أمام كل هذه التنازلات التى رأتها منه ، وربما لم تنل هى نفسها منه مثل هذه المعاملة الكريمة وهي الزوجة ربة البيت . إن القصور منذ هذه اللحظة هو المسيطر نسبيا على الأم وكليا على الابنة .

ويتصاعد الحوار وخصوصا من طرف نفيسة التى ترى بدورها أن الأم وابنتها قد تطاولتا عليها ، وهى الزوجة الشرعية والحديثة التى تملك ماأفتقدته الزوجة الأولى وتفوق الابنة وتسيل لعاب الأب الذى كان موقفه من الأحداث الماضية منطقيا كزوج لها حتى أن الأمر لو استمر أكثر من ذلك لكانت الغلبة لها على باقى أفراد الأسرة كنتيجة طبيعية لاحتياج الأب فى هذه السن ، وأمام رغبة الاستمتاع لكن فى آخر اللوحة الثانية تصبح الأم والابنة أقرب ماتكونان للوصول إلى الحقيقة .

فقد وضع كل منهما أصبعه تجاه الهدف الذى كان عليهما اكتشافه منذ اللحظة الأولى لدخول نفيسة . وأمام التشابك الذي حدث فى الحوار السابق ومع التصاعد وإثبات الذات من الوافدة التى ترى أنها لو قدمت تنازلا واحدا فسوف يستمر إلى أن تصل للحضيض . فكان منها أن نهجت ذلك الأسلوب الذى تأمل من ورائه الوصول لمكانة السيادة ، وهذا من حقها في حين تصدم الأم من هذا الموقف ، وهو أيضا من حقها كسيدة للبيت ترى مايحدث من خادمة يصل بها الأمر إلى مرحلة التحدى لها منذ أول لقاء بينهما ، ثم يتصاعد تدريجيا .

ويكون التحدى من قبل الأم ردا علي نفيسة وبمنطق أقوى . فهى صاحبة البيت الذى أسس على يديها ، وهى أيضا أم للأولاد ، وهذا يعطيها قوة وطمأنينة ، وعلى ذلك تصدر الأمر موجها للأب :

الأم : أنا الليلة مابنام إلا وهذى بالشارع

نفيسة : إيه ياختى .. هيه قالت شارع ؟! أنا أنام بالشارع .. انت تطلعي إيه علشان ترمينى بالشارع .

الأم : أنا صاحبة البيت

نفيسة : وإيه يعنى

الأب : إنا لله .. هذى اللى بتفضحنا .. يابنات الحلال تعوذنا من إبليس روحى يانفيسة خلينا نتفاهم .

الأم : شنتفاهم عليه .. ماكو تفاهم .. هذى مانبيها فى بيتنا .. تطلع الحين يعنى تطلع .

نفيسة : طلعت روحك من مناخيرك ياست قشطة أنا قاعدة على قلبك .

سناء : أنا ما أصدق أن هذى خادمة .

الأم : شلون يعنى شنهو .

سناء: لو هيه خادمة كانت احترمت أبوى .. علي الأقل أشوف أبوى ساكت عنها .

تصل الأم إلى درجة رفضها لهذا الواقع الذى سبق أن ألحت فى طلبه مرارا وهاهو يفرض عليها . فقد كررت شكواها كثيرا من عدم وجود خادمة تساعدها فى ثقل هذا البيت الكبير .. وهاهو الأب يحقق لها ماأرادت . ثم هاهى مرة أخرى ترفض هذا العرض بإصرار وعناد كصاحبة بيت إلى أن تصل لحد تهديد الأب أو بمعنى آخر تضعه أمام خيار واحد إما هى وإما الخادمة وهى التى لم تصل إلي الآن للحقيقة . إنها تقدم هذا الإنذار وتعرف النتيجة أو أن المنطق يقول أن زوجها لايمكن أن يتخلى عن زوجته بسبب خادمة . هذا ماكانت الزوجة متأكدة منه . وقبل أن يعلق الأب على مطلب الأم الذى لايمكنه بالطبع تنفيذه ، ولإثبات الذات تكون نفيسة أسرع من الأب فى الرد الذى يكون بمثابة صفعة قوية على وجـه الأم والابنة معـــا . فهى تتحـداها صـــراحة بل تعبر عن احتقارها لهما ، ومازالت الأم والابنة فى دوامة لاتصل بهما إلى شىء . وبالرغم من عدم اعتراف نفيسة بالأم كصاحبة بيت تكون الصدمة الكبرى . خادمة لاتعترف بصاحبة البيت التى ماجاءت

إلا لخدمته . ثم موقف الأب من ذلك التشابك اللفظى الذى وصل منتهاه وهو لايقوى على حسم الأمر الذى يحمل معنيين أحدهما لصالح الأم الذى يكون فى صورة طرد نفيسة الخادمة التى لاتقبلها ، والآخر فى اعتراف الأب بالواقع الجديد الذى يعطى الحق للزوجة الثانية فى الإقامة بالتساوى مع الأم وإن فاقتها مع المعاملة حينئذ .

وبمواجهة الأم نفيسة صراحة أنها لا تريدها من منطلق ملكيتها لهذا البيت وهذا يعطيها الحق فى إقامة من تريد ، لايكون من الزوجة الثانية إلا أن تنكر عليها هذا الحق حتى يجد الأب في هذه المواجهة كشفا للساتر الذى أراد له أن يظل قائما حتى يتحين الفرصة لإزالته . فتهتز الأرض من تحت قدميه ليفقد قدرته على حل هذا اللغز وهو يرجو الطرفين الهدوء حتى يمكن أن يتم التفاهم الذى لاتقبله الأم التى لاترى مبررا فى الخوض فيه ومصرة على الطرد ، والابنة سناء مازالت تجمع شتات فكرها عسى أن تصل بعد كل ذلك إلى تفسير منطقى لما يحدث حتى يكون الهجوم على أشده من طرف نفيسة موجها للأم وبألفاظ جارحة وهي تحسم الأمر بالبقاء في هذا البيت رغما عنها . ومن هنا يتلاشى القصور الذى سيطر على سناء إبان تلك الأحداث الماضية والتى كانت من خلالها مساندة لنفيسة ضد شكوك الأم التى بدورها أخذت تفسيرها قضية مسلما بها .. من هذه النقطة يبدأ هذا القصور يتلاشى ليحل مكانه الوعي الذى جاء متأخرا كثيرا وقد تجسدت له مواقف عديدة كان واحد منها كفيلا بأن يبرزه . لتلقى باكتشافها أمام الجميع باستنكار كنية هذه الوافدة . والأم مازالت فى قمة التشتت الفكرى لتؤكد لها الابنة أسباب قولها . وذلك فى عدم احترامها ، أى نفيسة لأبيها هذا سبب ، والآخر ، صمت الأب الذى لايرى أن يتخذ موقفا ضدها ، إذن فهى ليست خادمة ، ولكن ماذا علي وجه التحديد ؟ هذا مالم يوضح فى آخر هذه اللوحة ، بل كانت تلك الجملة نهاية له ليستمر الحدث غامضا على ماهو عليه دون أن يصل هذا الاكتشاف إلى نهايته .

وتتخذ الابنة تساندها وتتحد معها الأم بداية هذا الخيط ركيزة تنطلق منها بلا تردد وقد تلاشت كل المبررات التى صاحبتها طوال مجموع الحوار السابق لمساندة نفيسة . تلاشت ليحل محلها التأكيد الذى تعمل لكى تخرجه إلي النور ، فقد بدأ الوعى لديها يفرض نفسه .

وفي الحوار التالي يتبين مدى التغيير بالنسبة للابنة :

سناء : يمه هذي شكلها مايطمن .. لاتسكتى عليها .

الأم : ولا على بالك .. أنا باسكت .. ما أخليها تقعد بالبيت دقيقة واحدة .. والله خوش .. للحين بنت البيه مامدت إديها علي شئ ماقاصر احنا اللى نخدمها .

لقد بدأت سناء تتحول تماما وتتنازل عن موقفها السابق بكل قصوره ويحل محله الوعى الذي تولد من مجموعة المواقف التى كانت نفيسة من خلالها بمثابة وحش كاد أن يلتهم الجميع . فهى هنا تنسحب من صف نفيسة لتقف بجوار الأم ، ويبدأ الحدس لديها يفرز التساؤلات التى تصل إلى حد كبير للحقيقة . وفي نفس الوقت تقترح عليها مايجب عمله . هكذا بدأ هذا الوعى ينشط راصدا كل حركة محللا إياها .. ومن هذا التحول تكون الأم أيضا قد تخلصت من مرحلة الصراع مابين الوعى الذى لايستمروالقصور الذى كان نهاية مطاف ، وذلك واضح تماما فى ردها علي ابنتها مؤيدة لكل ماقالت وكأنها تعتب علي الأبنة التى تأخرت في هذا الاعتراف مصرة على طردالخادمة . ثم تؤكد مرة ثانية الوعى الذي استقر داخلها في تحليلها لموقف نفيسة الذى ترى فيه لغزا أوشك أن ينكشف . وها هى بشائرها تطفو على السطح . فكيف تكون هذه خادمة وتستيقظ بعد مخدوميها إذن فهى تريد من يقوم على خدمتها هي .. هكذا تخرج الأم وابنتها من مرحلة القصور إلى عالم الوعي الذى يتوقف مرة ثانية . فربما بدهاء نفيسة والأب الذى سد كل منفذ يمكن أن يوصلهما للحقيقة ولكنهما مازالتا تشكان فى أمرها وإن استقر اعتقادهما على أنها خادمة :

الأم : وبعدين مع هالخادمة .. أنا مانى مرتاحة منها .. ما آمن على بيتى منها.

سناء : أنا وياك يمه .. بس هذا اللى موجود .. وين نلقى كل يوم خادمة إنت بس إعطيها العين الحمرة .. ليما تتصنع .

الأم : عيل قاعدة تلبس آخر موديل .. ولاتتحاكى .. وياويل اللى يأمر عليها .

من هذا الحوار يتضح أن الأم قد وصلت إلى طريق مسدود ، توقف الفكر عند نقطة يحيطها الغموض ، فهى لاتصدق أنها خادمة ولكنها لم تصل إلي حقيقة أو اقتراح يبرر مايحدث . والابنة توافقها فى كل ذلك . ليتغلب مرة ثانية القصور على الوعى الذى كان قد أوشك أن يتنزع الحقيقة .

وتتوالى الأحداث حتى يصل « عبد الله » خطيب سناء ويلتقى بنفيسة ويعجب بها

ويرى فيها مالايراه فى خطيبته ويقوم بمغازلتها فى دخول سناء التى تثور عليه وعليها فى دخول الأم أيضا ومعرفتها بما حدث . ويتطور الصراع وتصر الأم على الطرد الفورى فى دخول الأب ويتصاعد الموقف حتى ترى سوسن أنها قد حوصرت تماما فى حين عجز الأب عن أن يفعل شيئا سوى محاوله فك هذا الاشتباك دون أن يدافع عنها فتلقى سوسن بالحقيقة حتى تأمن هذ الموقف .

والكاتب هنا قد انتزع من المرأة خاصية أنوثية وهى الإحساس الغريزى لأقرب إنسان لديها وهو الزوج الذى يدخل الزوجة الثانية على أنها خادمة وتعيش معهم دون أن يصل أحدهم إلى حقيقتها . ومن تلك المواقف التى ذكرت تتضح الصورة التى تؤكد قصور المرأة عن إدراك أبسط الحقائق وألصقها بحياتها الخاصة .

ولتأكيد تلك الصورة من خلال مسرحية أخرى والتى يتجسد فيها الوعى أو القصور كما رسمها الكاتب .. والمسرحية هى عتيق الصوف ولاجديد البريسم ، لحسن الصالح الحداد ومثلت فى ١٩٦٧/٣/١٩ على مسرح كيفان .

وتتعرض المسرحية لقضية تناولها العديد من الكتاب وهى تكرار الزواج للرجل الكويتى بعد مرحلة انتقال مادية . وغالبا ماتكون الزوجة الأولى هى الدافع لزواج الرجل من امرأة أخرى تناسب حياته الجديدة والتى لم تستطع الزوجة الأولى ملء الفراغ والتجاوب مع ظروف المرحلة الجديدة .

والمسرحية تشتمل علي ثلاثة فصول يخصص الكاتب الفصل الأول منها لاستعراض الحياة البدائية «ماقبل ظهور النفط» لعائلة جاسم الذى يعيش مع زوجته «عائشة» وابنه «محمد» وابنته «منيرة» حياة رغم بساطتها نتيجة دخل الزوج المحدود لكنها متماسكة . تمثل فيها الزوجة العمود الفقرى فهى ترعى زوجها وأولادها بتفان لا حدود له حتى أن الأخ سالما « أخا الزوجة » يعتب عليها لكثرة تضحياتها رأفة بها وخوفا عليها .

وفى الفصل الثانى يترك جاسم الزوج الوظيفة التى حاصرته في دائرة محدودة ليعمل بالتجارة التى درت عليه ربحا طائلا . وأصبحت حياته تتطلب تغييرا فى كل شئ. وقد حدث بالفعل عدا استجابة الزوجة لهذا الواقع الجديد . فهى مازالت على عهدها مما أدى بالزوج إلى اللجوء لاختيار زوجة ثانية يرى فيها كل الصفات التى تناسب حياته الجديدة . وهى « ماجدة » الفتاة الصغيرة المتعلمة . وتعلم عايشة بذلك الزواج وتكون

تعليقاتها أن الرجل حر فيما يفعل بل ، وتبارك هذا الزواج ويطلبها أخوها سالم للإقامة فى بيته وتستجيب ، ويتم الزواج الثانى للزوج .

وفى الفصل الثالث والأخير يقوم الكاتب بإبراز الدرس المستفاد من هذه التصرفات حينما يصاب الزوج بمرض لم تتحمله الزوجة الثانية التى لاتريد سوى أن تعيش لنفسها وبأسلوبها الخاص الذى أعاقه مرض الزوج ، وتتخلص منه بإقامته فى مستشفى بعيدا عن البيت وترفض خروجه منها حتى لاتتحمل عبء خدمته .

ويستجيب سالم أخو الزوجة الأولى لتوسلات الزوج لخروجه ، الأمر الذى يغضب ماجدة الزوجة الثانية وتكون المواجهة التى يفيق الزوج بعدها معترفا بخطئه لتعود عايشة الزوجة الأولى بتمريض الزوج لكى تستمر التضحية مرة أخرى متناسية ماقد حدث .

هذا ملخص مختصر للمسرحية حتي يمكن من تتبع حوارها استخراج الصورة الدرامية للوعى أو القصور عند المرأة كما صورها الكاتب .

ففى الفصل الأول تكون الزوجة عايشة مسئولة عن خدمة الأسرة بتفان ورغم انشغالها بالعديد من مهام البيت يكون جاسم الزوج على وشك الذهاب إلى عمله وهو يراها تعمل . لكنها ما أن ترى ذلك حتى تترك ما بيدها كى تجهز له إفطاره :

عايشة : وى .. والله ما أخليك تروح بلا ريوق . الحين .. دقيقة واحدة .

جاسم : زين .. خل أروح اشرب ماى .. أشوف اليوم وياى حارج .

عايشة : اسم الله عليك من الحارج .. حارج فى جيد عدوك .

هذه صورة للمرأة الكويتية تبرز وعيها الناضج بمسئوليتها مثل إدارة البيت والقيام بواجباتها كزوجة لاتبخل بجهدها فى سبيل تهيئة الجو المناسب بالإضافة إلى الإحساس بالكلمة الموجهة من الزوج والرد السريع عليها بما يتناسب والموقف . والتى تتكرر كثيرا . وتتطور الأحداث مؤكدة وعى الزوجة وإحساسها العميق الذى لاتبخل بشئ فى سبيل استمرار الحياة . ثم مع أخيها سالم الذى يريدها أن تقوم بخطبة فتاة وهى «ليلى» ويدور الحوار بينهما حيث تشيد له بزوجها ومدى التضحية التى يقدمها للأسرة .

سالم : وانتى شلون ما سهرتى .

عايشة : أنا يهمنى .. لكن هالمسكين اللي يتعب بالنهار ويسهر بالليل . حتى ريوق ماتريق خاف يصيف على شغله .



مشهد من مسرحية ( للصبر حدود ) والتى عرضت عام ١٩٨٠
تأليف خالد رمضان

سالم : أقول تعجيبنى يم حمود ياليت كل الحريم متلك يحسون بإحساس رجالهم ويقاسمنهم السراء والضراء .

من هذا الحوار يتبين مدى تقدير المرأة للزوج وإحساسها العميق بكل دخائله فقد قبلت عن تراض جاسم زوجا لها ومن خلال هذا الاقتناع عاشت لبيتها ولسعادة الزوج والولد برغم الضغوط التي احتملتها عن طيب خاطر . فالوعى بتحمل المسئولية كان دافعا لها على الاستمرار فى هذه الحياة الصعبة والتى كان يحسها كل من حولها حتى أن الأخ يشيد بموقفها المثالى الذى يقدم صورة للوعى الإيجابى عند المرأة والذى يفرز حياة مستقرة . وعلى ذلك تكون عايشة برغم البساطة المعيشية لاتشعر حتى الأم أو الأخ بذلك الضيق المادى الذى يعيشون به ولم يصدر منها أية شكوى . بل إنها تعترف بمثالية الحياة مادام الزوج والولد فى خير . وبذلك الوعى تعبر مع زوجها سنين من الزواج والمسئولية دون أن يحس بهما أحد حتى الأقربون من الأهل .

وبالرغم من إعجاب الأخ سالم بالنهج الذى تسلكه عايشه في حياتها التي تعكس الصورة المشرقة بالأمل المتواصل ، والذى يعترف به بالقياس لما يشاهده في كثير من البيوتات التي تعيش حياة موسرة ومع ذلك محرومة من هذه الصورة فلا يكون من الأخت إلا أن تعترف هي الأخرى بحق الزوج وواجب المرأة الذى يعد جزءا أساسيا من تكوينها . وذلك من خلال الحوار المتواصل بينهما :

عايشة : ليش ياخوى .. المرة اللى ماتحس فى بيتها وعيالها شخانتها .. ريال شحقه ياخد المرة غير متعاونة على شقى الدنيا .. بروحك قادر وقتهم .

سالم : بصراحة اختي أنا أحسدكم على عيشتكم هذى ولو أن فيها شوية حرمان (ويستمر فى الحوار) تدرين أنا أشكتر أخرج كلما استمع بتغنى بكفاح جاسم واسهره وتنسين نفسك بينما انتى اللى سهرانة .. كل ما أشوف هالأشياء ما تتصورين شكتر أفرح.

هكذا يوضح سالم الصورة التى تجسد حياة الأخت المستقرة الراسخة . لأن الزوجة تعد بحق ربان أى بيت فبها يستمر ويستقيم وبها أيضا ينتهى ، وعلى ذلك فإن شخصية عايشة فى الفصل الأول تعكس مدى الوعى للزوجة ربة البيت التى استطاعت أن تتخطى صعاب الحياة مع الحرمان الذى ذكر على لسان الأخ وعدم إثارة أية مشاكل من منطلق دخل الزوج المحدود .

ولكن الفصل الثاني يصور انتقال الأسرة من بيتها الفقير إلى بيت حديث نتيجة اشتغال الزوج بالتجارة التى درت عليه دخلا كبيرا ودفعته إلي التفكير فى الزواج من أخرى .. تكون الزوجة عايشة ذات الوعى الناضج فيما مضى تثبت عكس صورتها الأولى حينما تتخذ موقفا سلبيا من هذا الزواج التي تباركه ولم تفكر لحظة واحدة لماذا أقدم زوجها على تلك الفكرة وماذا سيكون مصير أولادها ؟ فقد استسلمت تماما حتي أنها كانت تستعد للقاء الزوجة الثانية الجديدة وذلك في بيتها على أن يعيشا سويا تحت سقف واحد مع وجود الفوارق الكثيرة بل والمتناقضة مابين الزوجة الثانية الشابة المتعلمة الجميلة ومابينها التي قضت معظم شبابها فى خدمة زوج فقير وعاشت على أقل القليل فى الماضى .

أى أن أن البيت سيجمع الضدين في مكان واحد .

وتصير عايشة الزوجة الأولى مكتوفة الأيدى فى موقف كهذا دون أن تبدى رأيا وهى التى ظلت سنين تدير دفة سفينة فى أمواج متلاطمة . وذلك من خلال حوارها مع الخادم « حبيش » حول خبر زواج الزوج :

حبيش : عمتى إيش فيه .. عمى زين ولا ما فى رأسه .

عايشة : ايش علامه .

حبيش : ايش أزيد من هاليون .. فذر حياته وباع تدارينه وبالرهينة لاتنكتين .. واليوم حين نبت ريشه يبوز عليك .

عايشة : خليه يبوزعسى الديب يرعى الغنم .

حبيش : لا والله عمتى .. أنا ضايق خلقى لاتستاهلين من يأخذ على رأسك مرة عاد من يأخذ .

عايشة : كيفه .. ريال وكيفه .

فى هذا الحوار تتبين صورة مخالفة تماما عن التي وضحت من قبل والتى تميزت بالوعى والخبرة فى قيادة الحياة مع ضعف وقودها . فبعد أن تغيرت الأوضاع المالية ، وتحسنت الحياة المعيشية والتي كانت لابد أن تعطى دفعة وقوة إلى هذه الحياة للزوجة علي وجه الخصوص . تتحول وتتخلى عن ذلك الوعى ، ليحل مكانه القصور بأسلوب لم يكن

متوقعا على الإطلاق . فهى تشاهد الزوج يخطط لامتلاك امرأة ثانية تعلم عنها الكثير دون أن تتخذ خطوة إيجابية ليس لمنع هذا الزواج ولكن لمجرد مناقشة الزوج فى إقدامه على هذا التصرف . حتى أن الخادم يتولى نيابة عنها كشف هذه الحقائق التى عاشتها مع الزوج بكلمات قليلة عبرت فى الواقع عن سنوات طويلة من العمر . وقد بلغ بها القصور منتهاه حينما ترد على حبيش لسؤاله الاستنكارى الموجه إليها عن مدى سلامة القوى العقلية للزوج ، وهو يقصد من وراء ذلك إقدامه على الزواج بالطبع ويكون رد الزوجة ببساطة ساذجة وكأنها لاتعيش فى هذا البيت : ماذا حدث ؟! هكذا يكون رد الزوجة التى عزم زوجها على الزواج من امرأة ثانية ، وكأن عاطفة الغيرة والكبرياء قد ماتت داخلها . وحينما يتجاوز حبيش حده فى الهجوم على سيده لاتملك عايشة إلا أن ترفع من شأن زوجها حيث تهبه الحرية الكاملة فى فعل مايحلو له لأنه رجل .

تنتظر الزوجة عايشة إلى أن يأتى الزوج وبيده فتاة هى زوجته الثانية وشتان مابينهما .. ولكن الابن يستنكر ماأقدم عليه أبوه .. كما أن الابنة الطفلة رفضت أن تكون فى شرف استقبال زوجة أبيها وهى تحتل ذلك البيت ، هكذا الأولاد القصر يقتلهم الإحساس بالغيرة التى كانت الأم أحق بهذا الإحساس ويصر الابن على مصاحبة أمه كى لاتقع عيناها على مشهد من الصعب أن يحتمله طفل وتأبى طفلة المشاركة فيه .. وتتردد الأم ، بل يصل بها هذا التردد إلى درجة الخوف من الزوج .

إلى هذا الحد يسيطر عليها العجز والقصور تجاه هذا الموقف المصيرى . بل وتتعدى ذلك إلى الترحيب بالزوجة الثانية من أجل الرجل الذى لم يراع إحساسها وهى التى بدأت معه من الصفر إلى أن وصلا إلى هذا الحال . يستعطف الابن أمه كرغبة الخال حتى توافق أخيرا على مغادرة البيت :

عايشة : شعندك ياوليدى .. لصبرت إلي أن ييجى أبوك .

محمد : ماني صابر يمه يللى أخذى عباءتك .

عايشة : أوى وحيلتى لله .. شوف حبيش لمغانى عمك قوله بيت اخوها .

حبيش : على أمرج عمتى .

أن الابن يرفض ذلك الواقع الجديد الذى فرضه الأب لحاجته إلى من يأخذ بيده وسط هذه الحياة المستجدة كى يثبت من خلالها الوجود بين نظرائه .. حتى أن الأم لعدم

تقبل الابن البقاء ولو لوقت قصير تطلب منه الصبر حتى يعود الأب وبصحبته الزوجة الثانية ويأذن لها بمغادرة البيت .. إن الابناء اتخذوا موقفا من أبيهم معبرين عن استنكارهم لهذا الحدث الشاذ . هذا من وجهة نظرهم بالطبع .. ولم يكن صدى هذا الحدث بالنسبة للأم كذلك التى لم تعترض بكلمة . فهي تري الموقف وتعيشه على أنه حدث سعيد بالنسبة للرجل الزوج والأب الذى يجد بدوره فى هذا التغيير مشاركة من أخرى تعيش حياة عصرية هو فى حاجة لأن يعايشها بعد هذا التحول المادى . ويصر الابن على الانصراف الفورى حتى لايكون حوار آخر .. يريد أن ينهى هذا الحوار لعدم احتماله البقاء أكثر من ذلك .. هكذا يكون موقف الابن الذى لن يفقد شيئا بإتمام ذلك الزواج على العكس من الأم التى سوف تفقد زوجا مازال على قيد الحياة .

لذلك فهى تريد أن تنتظر لمجرد الحصول على موافقة الزوج . إلى هذا الحد يموت الوعى والإحساس بالواقع الذى يفرض نفسه على الآخرين كذلك فإنها تعد مسئولة إلى حد كبير عن هذا الاتجاه الذى لجأ إليه الزوج الذى يبغى التغيير فى كل شئ محيط بحياته وقد حقق ما أمكنه .. ابتداء من المسكن والأثاث إلى غير ذلك ، يريد الإنطلاق الذى ترفضه لبقاء الحاجز الذى أوجده الزمن الماضى بالظروف التى كانت مفروضة عليهم نتيجة الإمكانيات المحدودة ، ولو أنها بوعى للواقع وتغيراته تحركت فى ظله فربما تغيرت الصورة وظلت الأسرة على ماهى عليه .

أخيرا توافق الأم أن تغادر البيت بعد جدال طويل وتردد ممل وشبه أمر من الابن الذى أعد لها احتياجاتها ، أى أنها كانت مضطرة لذلك . وهى توافق بشرط هو رجاء إبلاغ الزوج بذلك وكأنها ترتكب جريمة . لقد عاشت مع زوجها حياة تغيير هائلة . وهى مازالت تعيش حياتها الأولى . هذا الموقف يوضح ركنا هاما من الصور الجديدة التى سيطرت على الأم بدلا من صورة الماضى التى عاشتها بوعى كامل والتى فقدتها مع التحول الجديد . أى أن هذا الوعى الذى عاشته فى الماضى كان يتحتم أن يستمر ، ولكن بشئ من التصور لمسايرة الواقع الجديد . ونتيجة لذلك فقد لجأ الزوج إلي الهروب من الأم التى لم يعد يرى فيها متطلباته الجديدة ، وهذه رؤية شخصية وإن كانت محدودة بالنسبة للرجل الأب .

إن عايشة قد وعت الحياة الأولى بكل مايحيط بها من بساطة العيش ومحدودية الدخل . وعلى ذلك كيفت الحياة واستطاعت أن توفق بين متطلبات البيت والزوج

واستقامت لها الحياة . ثم بعد أن تنكشف الغمة ويتحول الحال إلى يسر تظل رؤيتها محدودة دون أن تتطور مع الحياة الجديدة ولم تر متطلبات الزوج التى لابد أن تتغير وعلى ذلك تحول وعى الماضى وسط متغيرات الحاضر إلى قصور للرؤية .

وتمر الأحداث حيث تغادر عايشة بيت الزوجية بصحبة ولديها . ويتم زواج جاسم وماجدة الزوجة الثانية التى تختلف عنه تماما فى كل شئ وتسيطر على البيت ومن فيه وتتخلص من زوجها الذى يصاب بمرض وذلك بإيداعه مستشفى بعيدا عن البيت حتى لاتشاركه لحظات شدته ومرضه ، ويصل بها الأمر أن ترفض أن يغادر المستشفى رغم تماثله للشفاء . لتبرز صورة أخرى من خلالها يغلب عليها القصور متمثلا فى موقفها مع الزوج الذى يكون فى احتياج وقوفها بجانبه وهذا واجبها كزوجة ، ولكنها بعد أن حصلت منه علي ماتريد تتنكر له وتأبى أن تشاركه لحظات الضيق ، وإن لم يكن المادى فهو الصحى . يكون ذلك من خلال الحوار الذى يدور بينها وبين الزوج وسالم شقيق الزوجة الأولى الذى يتطوع ليخرجه من المستشفى إلى البيت بعدما رفضت زوجته ذلك :

( يدخل جاسم ممسكا به سالم )

جاسم : السلام عليكم

البنات : عليكم السلام .

ماجدة : اشحقه ياى أنا ماقلت لك اقعد بالمستشفى .. اسمع اقولك أنا مانى مستعدة أجابلك .. المريض يقعد بالمسشفى .

سالم : الله يهداج ياماجدة الريال تماثل للشفاء والطبيب ماعنده مانع من خروجه .. وإذا ماارتاح فى بيته .. وين يرتاح .

ماجدة : وانت شنكون تعدل على .. جانكم شفقانين عليه اخذوه عندكم (تم توجه الحوار للزوج ردا على عتابه لها باكيا ) بجيت ولا مابجيت أنا مانى مستعدة أخدمك ثم تنهى حديثها مع الجميع فى وجود أخيها ) يللى ياخوى احنا مالنا قعدة هنا .

هذه صورة أخري للزوجة الثانية الذى اختارها جاسم مضحيا بعايشه ، وولديه .. يتضح فى هذه الصورة قصور من الزوجة المتعلمة والتى قبلت هذا الزواج بمحض إرادتها . ربما طمعا فى ثروة جاسم . ولكنها عاشت معه بعد أن تخلص من أسرته ومع أول اختبار

عملى تتخلى عنه . فهى تريد الجانب المضىء فى هذا الزواج . أما المظلم فهى غير مسئولة عنه . وللوصول إلى صورة هذا القصور فإنه قد بدأ معها قبل إتمام هذا الزواج الذى لم يكن متكافئا في شئ وهي فتاة متعلمة ولم يأمرها أحد غصبا عنها . فهى قد اختارت هذا الزواج راضية مما يكشف قصور نظرتها أيضا لفشلها الذى أنهت به حياتها الزوجية .

ويبدو الفرق واضحا بين وعى عايشة فى الفصل الأول للحفاظ علي حياتها الزوجية المتمثل فى إدارة مسيرة الحياة بعقلية واعية مع وضع الزوج فى المكانة التى ترضى غروره كرجل دون النظر إلي دخله المادى . وبين ماجدة وقصورها الصارخ فى الفصل الثانى مع نفس الزوج حينما تلتقى به بعد خروجه من المستشفى متماثلا للشقاء . وبرغم رد البنات أقربائها السلام الذى وجه للجميع من جاسم تكون هى الوحيدة الذى لاترد هذا السلام ، ويكون ردها جافا مجردا من أى إحساس مع استنكارها لموقفه وشعور بداخلها يحمل فى طياته رفضها لاستقباله صراحة فى بيته . ورغم أن الزوج لم يستطع الدفاع عن نفسه وكأنه في موقف اتهام إلا أن أخا الزوجة الأولى ينوب عنه ملقنا إياها درسا قاسيا بطريقة مهذبة حيث يسألها فى إجابته عن المكان لذى يمكن للمرء أن يجد فيه راحته إن لم يجدها فى بيته .

ولمزيد من القصور تستمر فى الرد الجاف . وهى تؤكد من خلاله ما أثارته فى حوارها الأول والذى يوضح رفضها لقاءه فى البيت فهى تنهى كلامها الموجه لسالم لتضعه فى موقف اختيار بين إعادته للمستشفى أو القيام على تمريضه بعيدا عنها: أى بيت سالم، والذى تعيش فيه عاشة الزوجة الأولى . وتصر الزوجة الثانية على موقفها الذى لايتزعزع حينما يبكي الرجل من هول الرد الجاف عسى أن ترأف بحاله ولكنها تكرر ماسبق أن قررت : عدم قبوله فى البيت ، وحينما يضيق الخناق عليها من الجميع تواصل إصرارها فى عناد غريب وتفرض عليه ترك البيت نهائيا ، او تتركه هى ، والنتيجة فى كلتا الحالتين واحدة وهى عدم بقائها معه . هذه صورة للمرأة الزوجة الثانية التى تنهى حياتها الزوجية كما بدأت نتيجة ضيق أفق وقصور أيضا . لتعود إليه الزوجة الأولى لتملأ الفراغ الذى لم يكن بدأ بعد . بنفس الوعى الإنسانى الصادق الذى لمسه زوجها فيها من قبل . تعود عايشه بمجرد خروج الزوجة الثانية دون قيد ولاشرط وقد تناست مالقيت فى الماضى بسبب الزواج الثانى :

جاسم : ( يصرخ من كل قلبه ) عايشة .. عايشة .. سامحيني .. عايشة
أنا ظلمتج .. أنا جنيت عليج حطمت حياتج .. هدمت آمالج

عايشة : لاأبو محمد لاتقول اجذيه

هذه صورة أخيرة فى المسرحية تحمل معانى كثيرة في حوارها ، فرغم ماقام به الزوج من تصرفات ترقة محطمة لحياة الزوجة الأولى وطرد الأبناء وعدم الاتصال بهم طوال فترة زواجه الثانى وقبل المرض . فلابد أن تلك الفترة قد رسبت بداخله الحقد والكراهية والحسرة . فقد شيد البناء واكتمل وجاء آخر ليسكنه ويطرد صاحبه الأصلى . ولو امتنعت الزوجة عايشة تعززا منها مالامها أحد . ولكنها فى لحظة تأتي صارخة لذلك الموقف الذى لايحتمل وجود زوجها فيه. وقد تلاشت كل آلام الماضي مع أول لقاء تم ترفض مجرد اعتذار الرجل لها باعترافه عما بدر منه .. ترفض هذا الاعتذار بل وتعترف له صارخة أنها لم تنسه لحظة بل لم يكن هو المريض بل كانت تحس الألم وتشاركه المعاناة أى أنها كانت تعايشه برغم بعده عنها .

ويمكن في الختام أن نشير إلى بعض الملاحظات الفنية علي المسرحيتين معاً دون أن يعني هذا أنهما في مستوى فنى واحد . وأولى هذه الملاحظات أن المسرحيتين تنتميان إلي المسرح التعليمى الأخلاقى . فالهدف الاخلاقى منذ البداية كان هو الذى يصنع سلسلة الأحداث المتعاقبة ، ويختار أخلاق الشخصيات ، ليصل بها إلى النهاية التي يريدها الكاتب وهى نهاية أخلاقية تعليمية . تدفع إلى الاعتبار والتأمل فى حين أن النهاية الفنية ربما كانت تستدعى حلا مختلفا .

والملاحظة الثانية أن الكاتبين كليهما قد فرضا ضروبا من الغفلة أو الطيبة الزائدة . التي تتحول إلي طيبة زائفة علي شخصية المرأة وهي في الحالين الزوجة الأولى كى يصلا إلى النهاية الأخلاقية ، المفترضة أصلا ، وتعلمها هذا ينافى الطبائع البشرية . كما اتضح للنقد التفصيلى لمواقف من المسرحيتين ومقاطع من حوارهما - إنه يطيل في امتداد المسرحية ، لكنه لايؤدى إلى قوة الصراع بل يضعفه - فهاهي الزوجة الأم فى ( للصبر حدود ) تطيل أمد الشك وتؤجل لحظة الصدام المتوقع دون أسباب مقنعة . وهاهي الزوجة الأولى فى (عتيق الصوف ) ترى أن تبدو مثالية إلى درجة مناقضة طبعها والتنازل عن كل قيمة أخلاقية . إنها مجرد شئ هلامى لاشخصية لها .

هكذا أراد الكاتب متصورا أن هذه هى المثالية وأن عودة الحياة إلى مجاريها وترفع الزوجة عن المطالبة مجرد المطالبة ، يالاعتذار مما يحسب لها ، فى حين أن هذا السلوك ، بل هذه النهاية كلها إذا ماتأملناها بصدق وعمق ، تذهب بالمعنى الأخلاقى ، وتلغى الصراع وتحول المسرحية . إلى حكاية شعبية أو « خدوتة » يتراجع المخطئ في نهايتها عن خطئه ، راضيا أو كارها ، فيلقى كل القلوب جاهزة لبذل الغفران ، أو استئناف ماكان، وكأن لم يحدث شىء ليعيش الجميع – من جديد – في ثبات ونبات .

القصور فى المسرحيتين لم يكن مستمدا من طبيعة المرأة الكويتية لأنه ليس من طبيعة المرأة علي الإطلاق ، إنه قصور افترضه المؤلف أو فرضه علي شخصيته الرئيسية بتدبير يريد أن يصل من ورائه إلي تلقين المشاهدين درسا ، وهذه غاية لا اعتراض عليها على أية حال ، فالمسرح خير معلم ، ولكن للكتابة الدرامية أصول ومعايير ، وأولها القدرة علي الإقناع ويمكن للمرأة أن تكون قاصرة الوعى في تفكيرها أو فكرها ، أو التعبير عن حبها . ولكن حيث يمس الأمر نظام بيتها ، وخصوصية علاقتها المنفردة بزوجها ، فإنها تكتسب قوة خاصة ، قوة من تدافع عن صميم حياتها فتغلب من هو أكثر قوة منه ، ربما أضعافا ، ولايعني هذا أن تنكر وجود المرأة الضعيفة المستسلمة ، المرأة التي تعترف بأنها ضحية ، أو خلقت لتكون ضحية ، إنها موجودة أيضا ، موجودة بنفس النسبة التي توجد بها المرأة المستبدة ، التى ترى أن الرجل وجد ليخدمها ويحقق لها السعاة، ولكن هذه المرأة الضحية لاتستطيع أن تدير صراعا أو تكون طرفا في صراع ، لهذا كانت المسرحية ضعيفة متهافتة الإيقاع ، إلي أن ظهرت ماجدة بقوة تصميمها وشرها فأكسبتها شيئا من الحيوية ولكنها حيوية جاءت متأخرة كثيرا ، ولم يكن لها قدر تصارعه في الحقيقة ولهذا جاء الختام غير مقنع أيضا .

# الفصل الثانى

## ( العمـــل )

من أقدم عهود التنظير للمسـرح ، ونحـن نعـرف أنه السـمة الأساسـية للبناء المسرحى ،أنه يقوم على أناس يعملون وليس عن طريق الحكاية . وبهذا فرق أرسطو بين المسرحية والملحمة التى لم ترتق إلى مستوى المسرحية لتخلى شرط العمل ، ولا يزال التعبير مستخدما عند فنانى المسرح إلى اليوم ، وهو يعنى العمل ، كما يعنى الحركة ، وهما من دعائم النص الجيد الذى يعطى المخرج فرصه .. إظهار مهارته ، كما أنه النص الأكثر تأثيرا وجاذبية فى المشاهد ، وليس مستغربا أن نمهد لفصل عن علاقة المرأة بالعمل كما تبدو فى المسرحية الكويتية باشارة إلى أهمية العمل فى البناء المسرحى ، فالحق أن ثانيهما يعتمد كثيرا على أولهما، وحين لا تعمل المرأة فإنه لن يبقى لها إلا أن تتكلم !!

ومع هذا فإن إطلاق هذه الكلمة «العمل» سيتلوه أمر آخر ، هو نوع نشاط المرأة فى المجتمع ، وقد جرى عرف الدارسين على إطلاق هذه الكلمة عندما يكون نشاط المرأة خارج بيتها ، فى إحدى وحدات الإنتاج أو الإشراف أو الإدارة وما إلى ذلك . وهنا تظهر أهمية العمل ، مع أنه من وجهة قيمية وأخلاقية لن يكون عمل المرأة فى البيت أقل أهمية من عملها خارجه ، ولكن العمل فى جهات المجتمع ، وفى نظام وظيفى عام اكتسب أهمية أكبر لارتباطه ، أو بتعبيره عن حرية سلوكية نسبية هى تابعة بالضرورة بالقدرة على الكسب .

منذ القدم حددت مكانة الشخص بإنتاجه . بل هناك من يفسرالتاريخ من خلال علاقات الإنتاج . ومن هذه التقسيمات برزت المنزلة الهابطة للمرأة عبر العصور بأنها غير منتجة ، بأنها لا تعمل بيديها ، وتفرض ثمنا لما تعمل !! من هنا ارتبطت قضية العمل ،

فعليا ورمزيا ، بمكانة المرأة ، وما تتمتع به من حرية الشعور ، وحرية القرار ، من هنا أيضا كانت حرية العمل للمرأة مقارنة ، أوتتقدم قليلا حرية السفور ، وحرية الشعور وحرية الرأى للمرأة .. ومن هنا أخيرا وجدت قضية العمل مكانها في المضمون المسرحى، وبخاصة فى البلاد التى وصلت صميم القرن العشرين متأخرة حين انتصف أو كاد .قبل الكويت .

فى الكويت رائدات بذلن الكثير فى سبيل ما يعرف بقضايا المرأة ، وقصدهن أن تحتل المرأة مكانة جديرة بالاعتبار ، مستحقة لوصف الكرامة ، محققه للحرية ، وقد حاربن بقوة وشرف قضية العمل أولا . حتى أقرت فى كثير من الأنشطة الملائمة لطبيعة المرأة ، ووظيفتها الأسرية والاجتماعية ، ثم تلتها قضية السفور ، وقضية التحرر كاملة ، ولا تزال قضية الحقوق السياسية بين أخذ ورد بين مد وجزر إلى اليوم. فإلى أى مـدى كان المسرح وكتابه أمناء فى رصد الظاهرة ومبدعين فى إنزالها مكانها الصحيح فى تكوين المسرحية ، وصادقين فى تصوير العالم الداخلى ، الشعورى للمرأة والعالم الخارجى ، العملى والسلوكى ، لها حين تحصل أو تنفذ هذه القيمة الهامة .

فلا شك أن العمل هو أساس الوجود والحياة ، وبه كانت الاستمرارية التى وصلت إلى درجة كبيرة من الحضارة قديما وحديثا ، وبه أيضا وجد الإنسان واستمرت حياته ، وبدونه يكون الهلاك والعدم .

والعمل مهما اختلفت مسمياته ودروبه فى هذا الكون الواسع إنما ينصهر أخيرا ويتجمع نتاجه لتكون فى خدمة الإنسان فى شتى العصور ، وعلى قدر العمل الممزوج بالعلم الذى هو أحد دروب العمل فى مرحلة معينة يكون مقياس حضارة الشعوب ، وتوجد الفروق بين شعب وآخر . والعالم الحاضر لأكبر شاهد على ذلك . والفكرة الناضجة لا قيمة لها إن لم تترجم إلى عمل . والعلم لا معنى له إن لم يتحول إلى عمل يعطى الإنسان دفعة إلى واقع أفضل . وإذا قيل أن الحاجة أم الاختراع . فالحاجة هنا شئ محسوس ، والعمل هو أداة الوصول إلى الاختراع الذى يكون هو الملموس الذى به يحقق الإنسان بغيته .

وكذلك فإن الأديان السماوية أكدت ضرورة العمل وأهمية بل وأعطت العامل درجة أكبر من العابد . أو أقرب بأن العمل نوع من العبادة .

من ذلك التمهيد يكون موضوع الفصل الذى يتحدث عن صورة المرأة من خلال العمل فى المسرح الكويتى ... وقبل الخوض فى التفاصيل لا بد أن نشير إلى دور المرأة الكويتية فى الماضى القريب .. وما قبل ظهور النفط حيث كانت هى الركيزة الأولى فى البيت الذى قام عليها ، وبساعدها قادت دفة الحياة حيث كان الرجل غالبا فى سفر مستمر طويل من أجل الحصول على الرزق بالوسائل المختلفة تاركا بيته وأولاده للمرأة التى أثبتت وجودها على تحمل المسئولية . وكانت دائما تصل إلى بر الزمان . ولم يكن ذلك كله إلا بالحكمة والعمل المستمر أى أن المرأة قد شاركت الرجل جنبا إلى جنب هذه الحياة وتحمل كل منهما كامل المسئولية .

ويشهد الواقع المعاش الملموس اشتراك المرأة وإن تطور نوع العمل مع الرجل فى شتى ميادين العمل .

وعلى ذلك إذا تطرقنا للتعرف من خلال المسرح الكويتى على دور المرأة أو صورتها فى العمل ، ولن نقرر شيئا إلا من خلال وثنايا الحوار أو الأحداث التى أقام بها الكاتب بناءه الدرامى ... ففى مسرحية ضاع الديك لعبد العزيز السريع نجد نموذجا للمرأة المتمثل فى فاطمة المتعلمة والتى حصلت على شهادة . فهى من خلال المسرحية كلها لم يكن لها دور فعال والكل من حولها يعمل . واذا استثنينا الأم فهى ربة بيت وعملها ينحصر داخله رغم وجود خادمة . ولكن يمكن أن نلتمس لها العذر فهى من جيل سابق تلقى تعليمه وخبرته داخل الأسرة فى إطار البيت ولم يكتسب خبرة من الخارج فإن ظل على حاله فله عذره . ولكن الجيل الجديد الذى نشأ فى الكويت مع التقدم والازدهار ونال قسطا وافرا من العلم كان بالنسبة لبعض النساء لمجرد الشكليات والمظاهر البراقة بحصول الفتاة على الشهادة لكى تتفرغ لكافة الأنشطة ما عدا العمل الإيجابى ؟ هذا ما برز من خلال شخصية فاطمة التى كان لا بد أن تبدأ طريقها العملى من حيث أنهت فترة التعليم، ولكن الواقع كان غير ذلك ، فلقد ظلت طوال المسرحية مشاركة فى الرأى والنصح والتوجيه ، فهى تشترك مع الأب فى حل لغز الأخ الوافد من لندن حيث تتولى هى تعليمه أساسيات اللغة العربية واللهجة الكويتية ، وتكون مع الأم عاملا مهدئا بسبب اكتشاف زواج الأب من امرأة ثانية ، ثم تقف بجانب ابنة العم فى محنتها بعد اغتصاب يوسف لها ، وتسير الأمور بالحكمة التى تثبت وجودها فى كل موقف . فهى تعلمت لكى



مشهد من مسرحية ( ضاع الديك ) والتى عرضت عام ١٩٧٢

تأليف عبد العزيز السريع

يكون البيت لها موقعا تمارس فيه عملها من خلاله، فكانت كل مواقفها الإيجابية لا تزيد عن تلك الأحداث التى ذكرت .. تعلمت للبيت .. ثم الزواج وهو استمرار للبيت .

وهناك نموذج آخر للمرأة من خلال مسرحية (ضحية بيت العز) لسعد الفرج وحسين عبد الرضا ، فهذه المسرحية وإن عالجت أكثر من قضية مثل المراهقة وتربية المرأة وما زال بداخلها قضايا أخرى مثل التدين ، فإن العمل بالنسبة للمرأة يعتبر نموذجا صارخا وقضية تكاد تكون أساسية .

ولتوضيح ذلك لا بد أن نشير إلى شخصية الرجل «أبو طبر» الأب التاجر صاحب الشركات والمشروعات ، والذى يقوم بتوظيف فتاة غريبة عن الكويت وهى «عفت» وقد نسى أو تناسى أن لديه فى البيت ابنتين إحداهما طيبة والأخرى هيفاء .

يتضح من خلال سرد النص أن كلا من الفتاتين لا شاغل لهما إلا ممارسة الهواية التى لا عائد من ورائها . فالابنة طيبة يكون همها الشاغل هو رصد تحركات الأم التى لا توافق عليها من حيث النهج الدينى الذى ارتضته لنفسها فى بيت خلا تماما من هذا المفهوم . فكانت هى المثل الوحيد لهذا الاتجاه ، ثم مواصلة تأدية كافة الفروض بالإضافة إلى وقوفها ضد الأخت الصغرى هيفاء فى تصرفاتها التى لم تكن ترتضيها . وكأنها حصلت على شهادتها من أجل ذلك فقط ، فى حين أن أبواب العمل فى الكويت مفتوحة على مصراعيها . ترحب بالوافد الذى يملأ الفراغ وهى أى طيبة تعيش بين جدران أربعة ، بالإضافة إلى أعمال الأب التى تستوعب الكثير من العاملين فهل يكون مكانها البيت أم العمل ؟! ولا بد أن يتحمل الأب هنا المسئولية والذى كان رافضا لمبدأ مشاركة الابنتين العمل معه ، إنها صورة المرأة التى حرمت من فرصتها فى العمل داخل بلدها الذى يعد فى أشد الحاجة إلى كل ساعد كى يشيد فيه ، فهى لن تعمل من أجل الأجر فقط كهدف الوافد غير الكويتى بل ستضيف إلى هذا الأجر الانتماء . فهى إن عملت لن يكون الأجر وحده هو المحصلة النهائية ولكن لابد أن الشعور بالبناء فى بلدها سيكون هو الغاية والدافع على بذل المزيد ، بل التضحية التى لن تكون إلا من أبناء الوطن نفسه . ولا شاغل لها سوى قضاء الوقت مع الصديقات على اختلاف أشكالهن ولابد أن وجه الشبه كبير بينها وبين هؤلاء الصديقات ، وكان شاغلها الوحيد فى الحياة هو الشاب أكرم الذى اتخذته صديقا ، وكان لابد لهذه الصداقة أن تنمو وتتطور لتصل إلى نهاية غير

مرغوب فيها . ذلك أن عدم إعطاء الفرصة للعمل لمثل هذه الفتاة ومع يسر الحال الذى تتمتع به وسيولة المال الذى تجده .. لا بد أن يؤثر على مثلها وهى فى سن يكون العطاء فيه أكثر منه فى أى سن أخرى .

والعمل هنا هو المفهوم الوحيد الذى يمكن أن توجه هذا العطاء من خلاله . فهو هنا ذو فائدتين : أولهما بذل الطاقة الزائدة فى هذه السن وانتزاعها من داخلها وإلا كانت النتيجة توجيهها إلى مكان آخر غير مأمون العاقبة ، ثم إن الفائدة الثانية أن هذه الطاقة سوف يتولد عنها إنتاج بواسطته مع غيره تتكون نهضة البلاد . فالمرأة درع للحياة وتملك مثلما يملك الرجل وتعطى مثلما يعطى إن أتيحت لها الفرصة .وعلي ذلك نجد فى هذه المسرحية نموذجين للمرأة يتمثلان فى هيفاء وطيبة وقد حرمها الأب هذه الفرصة ويمكن أن يكون هو السبب كما هو واضح من خلال المواقف . فالأب يريد تعيين الفتاة عفت وهو أمل من وراء ذلك الحصول منها على ما يريد وهو شراء العاطفة بالمال الكثير الذى يحقق له ما أراد . فالأب هو العقبة التى حالت دون اشتراك الفتاتين فى أى عمل بالرغم من أن فرص العمل فى تزايد . والبناء والتشييد متصل . والمرأة تقف أمام ذلك كله وقد انصرفت إلى أعمال أخرى لا تفيد وإن أضرت فى أغلب الأحيان . ولا تلام المرأة فى موقفها هذا من العمل ، والدليل على ذلك المثال الموجود فى هذه المسرحية وكيف أن الأب لم يعط الفرصة لأى من ابنتيه للعمل والسبب هنا شخصى بالنسبة له . وحرمان المرأة من العمل يفوت على البلاد فرصة المشاركة الفعالة النابعة من داخل المواطن لبلده الذى لابد أن يعطيه قصارى الجهد . ثم إن هذا الحرمان لا بد أن يؤدى بالضرورة إلى شغل الفراغ مع وجود المال إلى سلوك طريق غير ذى فائدة . إذن فالنتيجة النهائية خسارة مزدوجة : للبلد وللمرأة.

ففى هذه المسرحية تم الكشف عن كيفية معاملة المرأة وكيف تستبعد من ميدان العمل رغم أنها نالت قسطا من التعليم .حتى ولو لم تتعلم فيمكن أن تعمل وتنتج إن هى أعطيت الفرصة .. وكانت النتيجة التى وصلت إليها كل من الابنتين التى سلكت كل واحدة طريقا يختلف تماما عن الأخرى وإن اتحدتا فى مسلك واحد وهو عاطفة الحب الذى نظرت إليه نظرة تتفق مع مكوناتها ، وثم أيضا النهاية المؤلمة التى تكون هى النتيجة الوحيدة لهذا الحب وهو فقد كل منهما لفارس الأحلام . كل ذلك أساسه وقت الفراغ الذى

احتواهما .وكان العمل الإيجابى المثمر هو الخلاص من هذا المأزق . واختارت كل واحدة نوع العمل الذى تؤديه .فهما قد حرمتا من العمل الإيجابى الذى يحقق للإنسان ذاته ويشعره بأهمية دوره فى المجتمع لأنه مشارك فعال فى حركة بناء ، ثم إن هذا العمل مستهلك جيد لوقت الفراغ القاتل .

هذه هى صورة المرأة كما جسدها وصورها الكاتب من خلال مسرحية (ضحية بيت العز) التى توضح موقفها من العمل والنظرة إليها كعنصر غير فعال وذلك لتعارضها ورغبة الرجل الذى يريد أن يمارس هوايته مع الجنس الآخر . وفرض عليها فى الوقت نفسه تقاليد عصر الحريم وقيمه البالية .

وإذا انتقلنا إلى عمل آخر تكون فيه صورة المرأة واضحة ولكن بشكل يختلف عن الصورة السابقة فسنجد ذلك فى مسرحية الدرجة الرابعة لعبد العزيز السريع . حيث تكون الزوجة «ثريا» لا شاغل لها سوى الانفصال المعيشى عن بيت والد الزوج حتى يمكنها أن تمارس نشاطها الذى يقتصر على تكوين نشاطات لصداقات يمكن من خلالها استهلاك وقتل أوقات الفراغ الذى يملأ حياتها ولو كان ذلك على حساب إرهاق ميزانية الزوج التى لا تكاد تكفى . وتضطره أحيانا إلى الاقتراض الذى يعجز عن سداده . فى حين أنها تطالبه بالمزيد من الإسراف ليمكنها مساواة صديقات اتخذتهن مثالا تحتذيه حتى لو كان ذلك على حساب عدم استقرار حياتها الزوجية . هذه الزوجة بالطبع لو أمكنها أن تجد عملا ولاسيما أنها متعلمة لملأ هذا العمل فراغها الذى استغلته لهدم حياتها التى ضحت بها حينما وضعت فى موقف اختيار بين الزوج والصديقات فاختارت الأخيرة . وقد أبرز الكاتب هذا النموذج السىء من المرأة التى يكون الفشل نهاية لحياتها دون التعرض لنموذج المرأة العاملة التى تشارك فى نهضة البلاد مثلا .

وبرغم تكرار ثريا فى رغبتها أن تعيش مثل صديقاتها اللاتى تزوجن فى أن تقضى معظم وقتها إن لم يكن كله فى السهرات ودور السينما والسفر للخارج .فهى ليست أقل منهن . ولا تعليق من الزوج ولو لمرة واحدة ، يلمح بعرض العمل كوسيلة لشغل الوقت الذى تريد إنفاقه على تلك العادات المرهقة للميزانية إن وجدت أصلا .كأن العمل بالنسبة للمرأة وصمة عار على جبين الرجل ، وقد نسى أو تناسى أنها تشكل نصف القوى البشرية حتى أنه يصل به الأمر بعد موافقته على اقتراح الزوجة باتخاذ بيت

مستقل بهما بعيدا عن منزل الأسرة التى لا تكلفهم شيئا ماديا يكون سؤاله لزوجته بعد تدبير أمر البيت «وماذا عن الخادم» أى أنه لا يفكر فى عمل الزوجة حتى داخل بيتها الذى يعد مملكتها الخاصة. فهو يعرض عليها لتكتمل الصورة خادما ينوب عنها فى عمل البيت . إلى هذا الحد يستنكر الرجل عمل المرأة . فالمرأة لا تعمل سواء خارج أو داخل البيت مماجعلها تتصرف فى ميزانية الأسرة غير حافلة فى إمكانية دخل الزوج . وإذا كان هذا حال المرأة لا عمل لها فى أى من الاتجاهين . فلا بد أن الوقت لديها سيشكل عقبة . كيف وفيم تقتله ، والحل الوحيد الذى يبادر إلى الذهن هو الاتصال بالأخريات حتى يتحدثن ويستطعن قتل هذا الفراغ . وعلى ذلك ستكون الحفلات والسفريات والثمن باهظا وغالبا ما يكون التضحية من الزوج الذى لا بد أن يبحث له عن أخرى يعوض معها ما فقده لدى الزوجة ، أو أن يكون الانفصال هو الحل الوحيد كما حدث مع ثريا وزوجها .فقد اعتادت ملء الفراغ بالارتباط مع الآخرين حتى أدمنت هذه الحياة واختارتها وضحت بالزوج .وهكذا تتضح الصورة للمرأة التى حرم عليها الخوض فى ميدان العمل الجاد . وكان الرجل وراء ذلك وهو الذى يجنى ثمار هذا الاختيار .

ولنتنقل إلى مسرحية أخرى وهى (الغلط فين) لعبد الرحمن الضويحى والنموذج الواضح فى هذا العمل هو «ليلى»الفتاة الجامعية التى حصلت على المؤهل وتعيش مع والدها الذى يعمل فراشا وأمرأة أبيها . تعلمت الفتاة حتى نهاية مراحل التعليم والأب الذى بلغ من العمر أرذله يعمل بمهنة تكلفه الكثير من الجهد نظير أجر محدود وامرأته لا يكفيها هذا الدخل والابنة تريد أن تعمل وتقولها صراحة كى تتحمل المسئولية التى أثقلت كاهل الأب .ويرفض الأخير بمرارة .فكيف تعمل المرأة والرجل مازال قادرا على الكسب . فهو يستنكر هذا العمل على ابنته لأن ذلك هو العرف السائد فى المجتمع رغم أن هذا العرف كان يحرم التعليم على الفتاة . وها هو العرف قد كسر أمام الرغبة القوية فى التعليم . ونهلت الفتاة من العلم وأثبتت جدارتها وتفوقها ولم يبق سوى تحطيم العرف مرة ثانية لكى تقتحم ميدان العمل . يرفض هذا الأب لابنته العمل بعد أن يرفض العرض الذى قدمه إليه «أبو وليد» صاحب العمل ليصبح عاطلا لا مورد رزق له . ورغم تهديد زوجته بطلب الطلاق إن لم تتزوج ليلى من أبى وليد.. إلا أن الأب يرفض كلا العرضين .. الزواج والتهديد ، وكذلك لايوافق على عمل الابنة. إذ أن العمل للمرأة فى نظره مهانة . برغم أن الابنة فتاة خرجت لتلقى العلم لسنوات طوال ونالت من الفكر والوعى القدر

الكبير . فهى قد وجدت لمجرد أن تكون متعة أو سلعة تباع لمن يدفع أكثر دون النظر للسن أو الثقافة . فالمرأة للبيت أولا ثم الزواج ثانيا ولا أكثر .

وبموت الأب وانتقال ليلى لبيت العم تتكرر المأساة حيث يلاحقها أبو وليد مصرا على زواجه منها بأى ثمن .. والعم يوافق وليلى ترفض وتتقدم بعرض مماثل للعم ، وهو أن تعمل إذا كانت تشكل عبئا عليهم ، ويرفض العم أيضا كما سبق أن رفض الأب . فهو يهددها إن هى لم تتزوج من هذا الرجل فسوف يزوجها لابنه المعتوه ويضعف المرأة التى لم تصل إلى ذروة الرفض إلى النهاية وأمام ذلك العم المصر على رأيه تتزوج ليلى من « أبى وليد » وتكون النهاية مأساة « القتل ».

من هذا التحليل تتضح صورة المرأة التى تحمل سلاحا حصلت عليه بعد عناء وكفاح سنين طويلة .. ليقف الأب ومن بعده العم أى المجتمع بأكمله رافضا استعمال هذا السلاح حتى وقت الحاجة إليه .

فزواج ليلى من هذا الرجل الذى بلغ من الكبر عتيا ، وعلاوة على ذلك فهو زير نساء لايملك أية مميزات سوى الثروة . هذا الزوج كان النهاية المأسوية لها . فقد قتل هذا الزوج الخادم ظنا منه أنه على علاقة بزوجته .

ومن خلال الحوار الذى يدور بين ليلى والأب وزوجته نرى كيف أن المجتمع وقف حائلا دون عمل المرأة حتى ولو كانت في حاجة إلى هذا العمل .. ففى حين يطلب الأب من ابنته رأيها فى الزواج من «بوحمد» صاحب الشركات التي يعمل هو بها فراشا ترفض الابنة وتصر الزوجة على إتمام هذا الزواج حيث إن بوحمد لن يبقيه فى العمل إن لم تتم هذه الزيجة وهو مصدر رزقهم . وأمام هذا التهديد وإنقاذا لموقف أبيها ومستقبلها تقترح أن تطرق ميدان العمل . فهى تحمل شهادة جامعية تؤهلها باعتلاء وظيفة محترمة ذات عائد لا بأس به . وتكون أيضا فى حرية وقرارها يصبح بيدها . وفي نفس الوقت تكون فرصة لكى يستريح الأب بعد أن بلغ هذه السن المتقدمة . ولكن الاقتراح يقابل بالرفض والاستنكار من زوجة الأب الذى يصدق عليه نتيجة لضعف موقفه فى البيت :

أم على : لكن لا تنسى أنه يوم يطرد أبوك بعدين أمنين نأكل ؟

ليلى : أنا مستعدة أشتغل .. وريحك يابه .. أنا أحمل شهادة عالية .. وأقدر أشتغل بأكبر وظيفة .

أم على : هذا اللى ناقص ياليلى .. تشتغلين ؟!!

ليلى : ليش عيب الشغل . اشحقه اتخلونى أكمل دراستى .

أم على : شفت يوم أن أقولك قبل طلعها من المدرسة تقول لأ .. أكلمها الحين .

أبو على : تعوذى من الشيطان مدام أن الله معافينى ماكو داعى تشتغلين ولاطاحت مطايحى يصير خير .

هكذا يقابل اقتراح الابنة التى تريد أن تعمل بالرفض والتعجب من قبل زوجة الأب . فهى لا تصدق أن ترى المرأة عاملة حيث إن العرف أنكره حتى الأب الذى وافق لها بالتعليم والخروج إلى أن وصلت الجامعة وصار اختلاط الجنسين مسموحا به من أجل العلم . واستطاعت الفتاة عن جدارة أن تثبت أقدامها من التجربة الأولى بعد رفع جدار الخوف الذي وضع حائلا بينهما ، ومع ذلك لايزال الأب يستنكر على ابنته حقا من حقوقها طالما هو قادر على اكتساب القوت الضرورى ولو كان المقابل الإهانة والتهديد .

وهنا تسلب هذه المرأة حقا مشروعا سبق لها أن مارسته فى الماضى ألا وهو العمل الإيجابى الذى ستجد فيه تنفسا كى تثبت أنها ليست عاجزة عن الخوض فى هذا الميدان حتى يتفرغ الرجل للبناء الضخم الذى لاتكون المرأة قادرة عليه ، هكذا يكون رد الأب على الابنة وهو فى موقف مهزوز . وإذا كانت الابنة قد رضخت هذه المرة فذلك لأنها تكن للأب احتراما وحبا بصفته حاميا لها .

كذلك نجد نفس الموقف يتكرر لكن مع فارق كبير هو وفاة الأب الذى كانت الابنة تجد فيه الأمان . حينما تنتقل الابنة لبيت العم وتستسلم لقراره الذى يزوجها ممن لاتحب ولا تستطيع أن تتخذ قرارا يحقق لها ما تريد فى الانطلاق إلى دنيا العمل والإنتاج . ولكن العرف السائد ينتصر ويقف حائلا دون تحقيق الرغبة فى العمل . كذلك العهد الذى أخذته وزميل لها على بناء حياة سويا ، ولكن العم يرفض ذلك الطلب سواء من ليلى أو من الرجل نفسه حينما يتقدم للعم خاطبا الفتاة ، وهو يفضل عليه أبا وليد الذى راح الأب ضحية له .

وفى هذه المسرحية تكون ليلى الفتاة التى تسلحت بالعلم الذى يعد التمهيد المنطقى لنقطة البداية العملية ، وخصوصا فى مجتمع يخوض معركة تشييد فى مختلف المجالات

حتى يمكنه اللحاق بالدول المتقدمة ، وهو فى حاجة إلى كل ساعد مدرب أو مزود بالعلم لكى تساهم فى إعلاء هذه النهضة . وليلى هنا تعد مثالا لهذه النوعية التى تريد أن تثبت ذاتها بعد رحلة علم شاقة وطويلة .

كذلك فإن الظروف المحيطة بها تجعلها في المقدمة لملء الفراغ بالعمل المثمر ذى العائد المادى ، وهى التى عاشت مع أب محدود الدخل والوظيفة . تشاركه زوجة ليست بأم يكون احتياجها للمادة كبيرا .

لكن الغريب أن زوجة الأب وهى التى تريد لنفسها حياة أفضل تكون أول من يرفض هذا العمل . أى أن السبب الذى أجمع الكل عليه هو استنكار المجتمع لخروج المرأة للعمل خارج البيت . يمكن أن يكون ذلك مقبولا فى الماضى ما قبل ظهور النفط ووسط سفر الرجال ورحلاتهم للصيد حيث كانت المرأة تعمل فى محيط الأسرة وفى أعمال محدودة حين كان التعليم آنذاك منعدما بالنسبة لها . ولكن هل تظل تتمسك بقانون وضع فى الماضى من خلال أوضاع كان فيها منطقيا والذى كانت له إمكانياته المحدودة فى كل شىء لكى يفرض علي هذا الحاضر الذى وصلت فيه الفتاة للجامعة ونالت أعلى المؤهلات لكى تمارس نشاطها داخل البيت ؟! . هذا فى الوقت الذى يكون فيه الأب فى أشد الحاجة إلى المال . أيضا إذا كان الأب موسرا فهى فى البيت تعبث بكل شىء حتى إذا كان هذا الثمن يساوى نهايتها كما سبق من خلال مسرحية ضحية بيت العز . تكون الفتاة للبيت وإلى البيت . فهى إذن مازال ينظر إليها كشىء ثمين يحفظ إلى أن يأتى من يقيمه ليحمله من مكان لإيداعه فى مكان آخر مشابه لتظل الدائرة مغلقة . هذا من خلال الابنة ليلى والتى لم يمكنها التشبث بقرار يحقق لها ما أرادت .

أما فى مسرحية الحاجز لصقر الرشود فإن نموذجين للمرأة متماثلين فى : عواطف الابنة الصغرى . موضى الابنة الكبرى ، الأب واسع الثراء ، فبرغم تحفظه تكون الابنة الصغرى التى تركت التعليم فى الصف الثانى الثانوى لا لشىء سوى لأن الأب ليس بحاجة إلى هذا التعليم . إذن فالأب هنا وهو واحد من أهل الكويت يعترف بأنه رجل ثرى وليس بحاجة إلى هذا التعليم إذن فمن الذى يكون بحاجة إليه ؟! هذا سؤال أجيب عليه فى النص السابق (غلط ياناس) حينما يكون الأب فى أشد الحاجة إلى المساعدة المادية والابنة تحمل مؤهلا عاليا ومع ذلك لم يعطها الفرصة . إن الأب يرفض لابنته أن تستمر فى التعليم لأنه ليس بحاجة إليه ، وذلك من خلال حوار الابنة عواطف وهى تخاطب شابا تبادله عاطفة الحب ويدور الحوار بينهما تليفونيا إلى أن تصل :

عواطف : علامك تنسى بسرعة .. قلت لك طلعت من ثانية ثانوى مانى مكملة ما احنا بحاجة . أبوى الحمد لله خير وايد وفلوسه تكفينا وتكفى عيال عيالنا .

إن الفتاة عواطف تكتفى بهذا القسط من التعليم والسبب أن الأب ليس بحاجة . إذن فلو كان العكس كانت لابد أن تستمر فى هذا الخط . وهى أيضا تذكر أن أموالهم كثيرة تكفيهم وتكفى أجيالا من بعدهم .

وقد اقتنعت الابنة أيضا بأنه إذا كان المال متوفرا فلا داعى للعلم فهى تقر العمل ولكن لذى حاجة فقط . والأب هنا يبارك هذا التصرف بل ويسانده ويرفض ماعداه وقد نسى أن عدم شغل الإنسان بعمل يستنفد جهده سوف يئول هذا الجهد إلى عمل آخر قد يكون مفسدا ومدمرا للقائم به .

وهذا ما يتضح فى بداية هذه المسرحية فى حديث الابنة مع شاب أرادت من خلاله أن تنفق الوقت وتثبت الذات وتعمل ما يحلو لها ما دام كل شئ مسخرا . ومع تتبع الأحداث فى المسرحية تبرز مواقف كثيرة وأحداث أساسها بسبب الملل وكثرة وقت الفراغ وتوفر المال . فالفتاة تريد أن تحيا حياة غربية فى بيت التزم فيه الأب بالعادات والتقاليد المتوارثة . فهل هذه الحياة التى تنشدها الابنة تتفق مع هذا المبدأ ؟! لا تتوقف عند حدود معينة بل تريد أن تتعلم الرقص الغربى وبمساعدة أخيها «فارس» . إن عدم شغل الفراغ يؤدى إلى سلوك أى طريق دون التفكير فى العاقبة . يتضح ذلك من خلال الحوار الذى يدور بين الابنة وأخيها فى وجود الأب حيث تقطع حديثها معه لتوجهه إلى الأخ :

عواطف : فارس ما شريت لى أسطوانة

فارس : إيه خليتهم عند راعى المحل .. فى رحت العصر أمر عليه وأجيبهم

عواطف : إنت على وعدك ليه

فارس: أى وعد

عواطف : تعلمنى الهاليجالى

فارس : بسيطة ..تالى

عواطف: أخاف تقص على .. احلف

الأب : اشحقه يحلف .. قالك تالى .. يعنى تالى

فقد أنهت عواطف الموقف الأول بعلاقة بين شاب لا يمكن التكهن بنهايتها وتخرج من الموقف السابق الذى لم ينته لتدخل فى موقف آخر . إنها تريد أن تتعلم الرقص وهى تعيش فى هذا البيت الذى يمثل فيه الأب والأم جدارا شامخا للعادات والتقاليد المتوارثة حتى أنها تطالب الأخ فى وجود الأب بالأسطوانات وتكرر مرة تانية «تعلمنى الهاليجالى» وهى تقصد بالطبع نوعا من الرقص الغربى .

من هذا الموقف يتكشف أن العمل بالنسبة للمرأة كان مجرد هامش . فالمرأة من هذا المفهوم قد وجدت للبيت والمتعة والنتيجة الحتمية خلق فراغ هائل فى حياة المرأة بوجه عام بوجه حسبما يرى الفكر ليكون التنفيذ فى الخفاء لأكثر من سبب . بل إن الفتاة تعرف تماما أن الذى تقدم عليه إنما هو خطأ بعينه وبالتالي فإنها تخشى أن ينكشف أوربما يكون صوابا ولكن العرف لا يقره .

ثم تكون الأخت الكبيرة موضى نموذجا آخر للفتاة التى نالت قسطا من التعليم حتى أنها حصلت على الشهادة التوجيهية . وربما أدرك الأب متأخرا أنه ليس بحاجة إلى التعليم ومن ثم إلى العمل . حتى أنه لم يعط الأخت الصغرى فرصة كى تحصل على الشهادة فى حين يوفر الفرصة كاملة لابنه فارس حتى أنهى تعليمه سواء فى الكويت أو فى الخارج ليحصل على أعلى مؤهل تجارى كى يكون ساعدا له فى تجارته بطريقة عصرية والتى لم تتح له . أما الابنة موضى فقد أتمت تعليمها فى الكويت ولم يشغل الأب فكره لملء الفراغ الذى نتج عن إنهاء الدراسة والتى كانت تشغل وقتها ، واقتنع بأن تظل فى البيت حتى يتم زواجها ، ولم يفكر كيف ستقضى هذه الابنة أوقات الفراغ داخل البيت . فلم يصل إلى فكره أدنى شك فى أن ابنته هذه يمكن أن تأتى بفعل مناف للعادات. ولكن غابت عنه الحقيقة التى تؤكد أن الفراغ يولد الفكر فى أى اتجاه . ومن حيث إن المفكر فتاة فى سن المراهقة تعيش فى عزلة وفى جو ممنوع فيه الاتصال بالآخرين. فلا بد أنها لن تعدم الحيلة فى أن تملأ فراغها بأية وسيلة ، ذلك الفراغ الذى سيطر على حياتها الموحشة كما جاء بحوار تلك المسرحية والذى يستهل الكاتب به عمله :

عادل:(دخل الحديقة وخلف الشباك الزجاجي وهو يطرقه) موضى.. هيه.. موضى،

موضى : (تلاحظه فتتوقف)

عادل : (يؤشر لها برسالة فى يده)

موضى : (تشير برأسها على أنها آتية ..«تدخل»)

عادل : (ينتظرها وهو يلتفت حذرا )

موضى : (تخرج من غرفة فارس وتتجه إلى عادل من الباب
المؤدى إلى الطرقات وعندما تصل)

عادل : (يعطيها الرسالة ويختفى)

موضى : (تفتحها بلهفة وتبدأ فى قراءتها بصوت غير مسموع )

وهكذا نرى موضى على علاقة بآخر عمرها عامان ، وكل هذه المدة والحوار متصل بينها وبين على ذلك الشاب الذى توصلت إليه بعد بحث وتفكير . ولكى تهرب من هذا الفراغ اختارت هذا الطريق . ومن قبلها سلكت الأخت نفس الدرب ولكلٍّ وسائله .فهى قد بنيت علاقتها من خلال تبادل الرسائل مع ذلك الصبى كوسيط ، وأيضا كان التليفون هو وسيط الأخت ، ويبارك الأب موقف الابنة الصغرى ولا يجد فى ذلك حرجا ما دامت هذه العلاقة الهاتفية سوف تؤدى إلى زواج يوافق هو عليه فلا ضرر . وعلي ذلك فهو يؤكد هنا أن المرأة متمثلة فى الفتاة ما هى إلا أمانة جميلة يحتفظ بها جيدا داخل جدران أربع حتى تظل نظيفة براقة إلى أن يجىء الوقت كى تنتقل من هذا المكان إلى مكان آخر ومن حكم رجل هو الأب إلى آخر وهو الزوج . فى حين يستنكر الأب على ابنته أن تعمل فهذا واجب الرجل فحسب .

ثم إن الابنة موضى لا تطالب في حقها بالعمل ، فقد غرسوا في داخلها أن العمل محرم على المرأة التى مصيرها الزواج والإنجاب ، لكى تظل الدائرة المغلقة فى دورانها بانتظام ودون خلل . وعلى ذلك فالابنة قد أيقنت واقتنعت بهذا الدور الذى رسم لها وعليها الآن أن تقوم بالتنفيذ . وهى هنا إذا كانت قد لجأت إلى البحث عن فارس

لأحلامها فهى تمارس شيئا أباحه المجتمع لها بل فرضه عليها ، ربما ليس بهذه الوسيلة ولكنه لابد واقع .أن يفرض عليها ، فهى تقوم باختياره حتى يناسب حياتها .

ثم إننا لا نجد فى موقف هذه الابنة طوال المسرحية سوى صراع بينها وبين الأب الذى يستجيب أحيانا ولكن الواقع يمنعه أن يبارك . فى حين يكون موقف الأم واحدا لا يتغير . فهى رافضة تماما لما أبدته الابنة حتى النهاية ، وكل ثابت على موقفه .الأب يصر على اختياره والابنة تتخذ القرار بالإضراب عن الزواج نهائيا وليس انتصارا على الأب بل للابقاء على اختيار وافقت عليه وأصبح جزءا من كيانها ، ولكن بالرغم من ذلك نجدأنها مازالت تحن للماضى الذى ارتضته .وأن الماضى ما زال يعيش سواء معها أومن الخارج حيث يكون الصبى عادل الذى يمثل الوسيط بينها وبين فارس أحلامها يظهر مرة أخرى حاملا الرسالة بعد أن تكون قد عاهدت الأب علي عدم الزواج . ربما قالت ذلك لكى تفوت عليه هذا العرض الذى ترفضه الذى لا يمثل قيمة بالنسبة لها بعد أن ارتضت عليا أن يقوم بهذا الدور فالصبى وهو يحاول أن يسلمها الرسالة :

عادل : (من وراء الشباك الزجاجى الكبير) هيه .. موضى ..هيه

موضى : (تلتفت إليه )

عادل :(يؤشرلها بالرسالة)

موضى : (تلتفت إلى آلة الحياكة وتستمر)

عادل:(يطرق تانية) هيه .. موضى ..هيه

موضى : (لاترد بل تستمر فى الحياكة بهدوء)

عادل : (يتوقف وهو ينظر إليها صامتا)

موضى : (تلتفت إليه)

عادل : موضى .. موضى (يدخل إلى الصالة بغير جرأة .. حذرا )

موضى : (تلتفت إليه).

عادل : (عن قرب منها يؤشر لها بالرسالة)

موضى : (تنتظر إليه بهدوء )

عادل : اخذى على بيسلم عليك

موضى : (تأخذها بدون تركيز عليها ويبقى فكرها شاردا)

عادل : شفعل له .

موضى : ما أدرى .

من هذا الموقف السابق الذى لا يكون للحوار فيه نصيب يذكر يثرى الكاتب الموقف بالوصف المسرحى حتى أننا نجد الحوار يبرز مابين كل انتقالة للصبى عادل وموضى . وهذا الموقف يمكن أن يكثف الفكرة وتكون الرسالة هى محور هذا الموقف .فبالرغم من أن موضى قد تخلصت من فكرة الزواج وهذا عهد قطعته على نفسها أمام الأب . تكون فى هذا الموقف ومن خلال الرسالة التى ارسلت من على وبتعدد التنقلات يتطور الموقف بالنسبة لها وكأنها تستعيد ماضيا طويلا قبل أن تتخذ قرارا . الصبى لا دخل له فى هذا التطور ولكنه موجه من قبل الغير . وعليها وحدها الوصول خلال لحظات إلى اختيار نابع من داخلها فهى أيضا قبل أن تقرر وتستعرض شريطا من المواقف يكون الأب فيه طرفا قويا وهى الطرف المقابل والضعيف .تحلل هذه المواقف سريعا حتى تصل إلى نقطة حاسمة فمعنى ترددها وعدم التقائها واهتمامها بالصبى وما يحمل ما هو إلا انتصار الطرف الأول عليها وهـــى ما زالت فى موقـف الدفاع لم تقـل كل ماتريد . حتى اذا وصـلت إلى دليل حاسم وعن اقتناع تتسلم الرسالة .فى هذه اللحظة تكون قد اتخذت القرار بالفعل ولكن تنفيذه ليس بعد . حتى أن الصبى حينما يسألها عن الرد لينقله يكون ردها الفورى «لا أدرى» ولكنها تسلمت الرسالة ولا رجعة . فاذا لم تكن راغبة فإن فى وسعها الرفض التام لتسلم هذه الرسالة .بل ويمكنها طرد هذا الوسيط . ولكن ذلك الموقف يدل على أن الموعد لم يحن بعد وأن الوعد الذى قطعته على نفسها أمام الأب لم يعش أكثر من ذلك بمجرد رؤيتها للحظات . ولو كان الفارس بدلا من الخطاب لما استغرق التفكير كل هذه اللحظات .

إن موضى بعد أن اتخذت قرارها بعدم الزواج تتخذ من آلة حياكة أداة لشغل وقت الفراغ الذى ظلت مدة عامين تشغله فى علاقة حب مع على . ولما حيل بينها وبينه لم تجد

الفتاة شاغلا يملأ فراغها . فكان لا بد أن تبحث عن أى شئ من واقع ثقافتها التى مكنتها للوصول إلى هدف . فكانت آلة الحياكة هى الهدف الذى يمكن من خلاله أن تنتج رغم أنها ليست بحاجة إلى عائد من وراء هذا العمل . ولكن العائد هنا هو شغل الفراغ . وقد اختارت هذه الحرفة لتقرر أن الحل لملء هذا الفراغ للمرأة هو العمل .والعمل المنتج كما تقرر هى .

من هذه المسرحية يمكن أن نصل إلى صورة واضحة لموقف المجتمع من قضية عمل المرأة حينما يحرم عليها ممارستها لهذا الحق .

أما الابنة الثانية التى وجدت غايتها مع فارس أحلامها بموافقة الأب فقد ارتضت هذه النهاية وكان يمكن لها إذا وفقت فى زواجها ممن أحبت أن تقر أيضا هذه النهاية . ولكن الموقف حينما يتعقد بالنسبة لها فلابد أن تفكر من جديد فى الطريق الصحيح الذى عليها أن تسلكه .وبدون أن تبذل جهدا كان الطريق ممهدا أمامها .

إن النظرة إلى المرأة فى هذا العصر قد تغيرت تماما عما كانت عليه فى الماضى وذلك لاستحداث متطلبات لم يكن لها وجود ، كذلك فقد سمح للفتاة بالخروج للتعليم حتى نهاية مراحله وبالتالى فالخروج للعمل لا يقل أهمية عنه فى التعليم .

ثم نتعرض لمسرحية أخرى لكى نكتشف صورة مختلفة للمرأة من خلال النص (زوجة من سوق المناخ) لإبراهيم العواد والتى عرضت بتاريخ ١٩٨٢/٨/٢٢ وهى صدى مباشر لما يعرف بأزمة المناخ الاقتصادية .

فى هذه المسرحية يمثل «أبو فهد» الرأسمالية المستغلة فى التجارة من خلال سوق المناخ الذى يسيطر عليه تماما جامعا كل خيوطه فى يده لكى يحركها كيفما ووقتما يشاء ولصالحه ، وإن كان المجموع هم الضحية .ثم انصراف مسئولى البلد للتعامل مع هذا السوق بمساعدة هذا الرجل الذى أصبحت الأقدار بين يديه ، ثم ابنته الوحيدة «حصة» التى تعلمت ووصلت إلى سن متقدمة جعلتها تشعر بخطورة موقفها من الزواج .ففكرت فى العمل على أمل أن تلتقى وفارس أحلامها الذى لم تجده من خلال التجارب العديدة فى معظم دواوين العمل مما جعلها تمل هذا العمل الذى لم يثمر . وتطلب من الأب أن يبحث لها عن مكان آخر عسى أن تجد فيه ضالتها ، وهذا كل ما تصبو إليه ، العمل من

أجل العثور على رجل يكون لها زوجا . وليس العمل من أجل العمل بمعناه الحقيقى . فالعمل تساوى فى أى مكان حيث إن الهدف هنا ليس العمل فى حد ذاته بل البحث عن الرجل الذى افتقدته طوال هذه السنين . وذلك من منطلق منطقها المالى والعائلى ولا يجد الأب فى هذا المطلب غرابة فيهيىء لها فرصة أخرى فى وزارة ثانية وتتسلم العمل على الفور بواسطة وكيل هذه الوزارة الذى تربطه مصالح عمل مع الأب فى سوق المناخ وتلتقى حصة بنمطين من الرجال تختار واحدا يروق لها ويتم الزواج ويتصاعد الحدث .

وإذا تعرضنا لبعض الحوار الذى يكون الصورة فسوف نصل إلى نظرة المرأة من خلال النص إلى قيمة العمل بالنسبة للطبقة الثرية التى ليست بحاجة إلى عائد هذا العمل . ومن خلال الحوار الذى يدور بين الأب وابنته التى تهيئ لنفسها فرصة للدخول فى موضوع العمل :

أبو فهد : أكيد تبين شئ .هالمجاملات مهى ببلاش .

حصة : (بدلع) يبه .

أبو فهد : ليش ما داومتى اليوم .

حصة : مليت من هالوزارة .. بعد مالى رايحه حقها .

أبو فهد : ليش شفيها .

حصة : تصدق ما ألقى مكان أوقف سيارتى (وفى مكان آخر) ويه مليت هالقسم كله بنات ماعندهم إلا قال وقيل . وتستمر فى حوار آخر ، أبى أنتقل يبه (بينها وبين نفسها )أيل قسم ما فيه رياييل طوق شايب وراس الشهر لاح يتقاعد

من هذا الحوار تبدأ ملامح الصورة فى التكوين .صورة الأب الذى ملك زمام الأمر فى السوق الكبير إلى حد أنه أصبحت له السطوة حتى على كبار المسئولين ، ومن هذا النفوذ تنطلق الابنة التى لم تتزوج بعد رغم ثرائها الواسع - ولكن ليس للمرء أن يحصل على كل شئ - فقد كانت واسعة الثراء دون المستوى فى الهيئة مما جعل الرجال

لا ينظرون إليها كزوجة ، وبالتالى بدأت هى عملية البحث عن الرجل الذى لو انتظرته فربما فاتها القطار .

ومن الحوار يتضح أن حصة وهى التى ليست بحاجة إطلاقا إلى عائد مادى من هذا العمل . ومكتب الأب زاخر بنوعيات كثيرة من العمل لا تفكر أن تساعده لأن بغيتها ليست عنده . وتجرب فى وزارة أملة أن تحقق حلمها ، ولكن المكان لسوء الحظ مشغول بالفتيات بالإضافة إلى أن الرجل الوحيد اختيار بلغ من العمر أرذله وبالتالى فهو لا يصلح لتلك الوظيفة كزوج ولا تنطبق عليه الشروط . وعلى ذلك فالمكان غير مرغوب فيه وبسهوله تتركه كى يجد لها الأب مكانا آخر ربما يتوفر فيه ما تريد ، وتعلل ذلك بعدم توفر مكان لسيارتها هذا هو السبب الظاهرى ولكنها تعترف لنفسها بالسبب الحقيقى لعدم وجود رجال يمكن أن تفوز بأحدهم قبل أن يتقدم بها العمر أكثر من ذلك . ثم تضيف لنفسها وهى آملة فى أن تجد فى المكان الجديد نوعية أخرى من العاملين غير هؤلاء البنات .وبرغم أن الأب يستجيب وبسهولة يحصل لها على وظيفة فى وزارة أخرى بالتليفون . ولكن المهم هنا موقف الابنة التى اختارت طريق العمل ليس لذاته ولكن لكى تصل إلى غاية تنشدها . وهذا يؤكد الصورة السابقة . فإذا فكرت المرأة فى العمل فسوف يكون وسيلة تحقق بها غاية ، فقد فكرت حصة فى العمل لمجرد الهروب من البيت المغلق التى لن تنال لقب زوجة طالما هى بداخله وعلى ذلك يكون التفكير فى العمل .. الذى يعد المكان المنفتح والذى من خلاله سوف ترى وتتعامل مع الكثيرين . وربما تفوز بأحدهم .. ولكن حينما رأت أن هؤلاء الكثيرين فتيات أصبح العمل غير ذي قيمة وها هى تبحث عن مكان آخر وليس عن عمل آخر، كذلك فإن من حوارها ما يؤكد أن المرأة لم تتخذ من العمل طريقا يحقق أزدهارا للبلد أو إنتاجا معينا فى مكان ما . فهى تحكى للأب عن زميلاتها الفتيات اللاتى ليس لديهن ما يعملنه سوى الحديث فى كل الأمور عدا الاهتمام بالعمل . إذن فهن على شاكلتها والكل تشابه فى الموقف بالنسبة للعمل فهو إما محرم على الكثيرات وإما يتخذ هواية كأى نشاط رياضى واجتماعى تحقق المرأة من خلالها ذاتها . يتضح هذا المفهوم من خلال الموقف الذى تكتمل فيه ملامح الصورة :

حصة : ماله يخالف (مع نفسها) على فيها ريال .. يمكن أجدلى ريال .

أبو فهد : انت لو الله يسهل عليك .. ويرزقك بولد الحلال اللى يتزوجك ويريحك.

حصة : يسمع منك ربنا .. آمين .. بس وينه .

أبو فهد : غير تدرين بالج .. ما بقت زارة بالكويت ما داومتى فيها .

حصة : شسوى ..إما متزوجين .. وإلا بيطالعون تقاعد شياب هذا حظى .

يكون من خلال حوار الأب تأكيد لما ذكر سابقا من أن الابنة لم تسع إلى العمل إلا لهدف معين ولم يتحقق بعد . وعلى ذلك فهى دائمة الانتقال من مكان لآخر وما زالت تمارس هوايتها هذه حتى تعثر على ما تريد .

ويتضح أيضا موقف الأب فى كثرة هذه التنقلات . فهوالذى يسعى دائما لإيجاد مكان جديد لها كما تأكدت أن المكان الحالى خال من فارس الاحلام . كذلك فهو أيضا لم يوافق على العمل لابنته إلا بسبب هذا الهدف بالذات ولا شئ غير ذلك .يؤكد هذا حديثه لابنته التى يتمنى لها اللقاء بالرجل الذى يتزوجها لكى يريحها أى أن بزواجها سوف تنتهى المهمة . مهمة العمل للبحث عن الزوج .فهذا هو مفهوم المرأة فى النص موضوع الدراسة. إذن فالعمل هنا ليس مطلوبا لذاته ولكنه لتحقيق رغبة خاصة والتى تتحقق فى الفصل الثانى حينما تذهب الابنة لكى تكتشف العمل الجديد ويرافقها الأب الذى يحدث وجوده ضجة هائلة وسط الموظفين .أيضا رئيس العمل الذى ما أن يراه حتى يعقد معه صفقة ، وتتفحص حصة الموجودين ليقع نظرها على «حامد» ويدور حوار تعرف من خلاله أنه غير متزوج فتترك الجميع وشأنهم ولا تدع هذه الفرصة تضيع من يديها وتبادره بالسؤال عن سبب عدم إقدامه على الزواج وتعلم أنه ليس غنيا :

حامد : عندى فلوس .. لكن للحين مالقيت بنت الحلال

حصة : بنات الحلال وايد (كمن تعرض نفسها) ..تقترب منه ويقترب منها ممسكين بيدى بعضهما البعض

ويستمر الحوار الذى يؤدى إلى أن حصة تجيب على كل سؤال يوجهه حامد وهى تذلل كل العقبات الذى يبديها فى حديثه معلنة موافقتها الفورية على الزواج وكأن الأمر فى يدها .وما يعنينا هنا هى تلك النهاية التى كانت فكرة العمل هى أساسها بعد طرق أبواب كافة الوزارات كما جاء على لسان الأب إلى أن عثرت أخيرا على بغيتها .

وبهذا يمكن أن نكون قد تعرضنا لأكثر من صورة للمرأة من خلال مواقف متعددة سواء من الناحية الاقتصادية للأسرة بالرغم من التناقض مثال ليلى فى مسرحية (غلط يا ناس) حصة فى مسرحية (زوجة من سوق المناخ) وكذلك طيبة فى (ضحية بيت العز) وهى نموذج يختلف عن السابقتين بالإضافة إلى شخصية ثريا فى مسرحية (الدرجة الرابعة) وهى تنويعة مختلفة عما سبق ، ولكن السمة المشتركة فى كل هذه الأعمال هى رفض الرجل الذى يمثل المجتمع بالطبع ، خوض المرأة ميدان العمل ، وهذا نابع من تقاليد راسخة من ماض لا يتفق والواقع الحاضر بالرغم من أن المرأة كما سبق أن ذكرنا كانت عاملة فى ذلك الماضى والذى تولد عنه هذا العرف .

لقد اتضح من خلال هذا العرض التحليلى لعددمن المسرحيات أن العمل كأداة إنتاج ليس مطلبا أساسيا بالنسبة للمرأة ، بل لعل الرجل ينظر إليه بريبة . لأنه يساعد المرأة على الاستقلال الفكرى والعملى . ولم نجد فى المسرحيات على كثرتها وتنوعها – امرأة تتمرد علي الواقع الاجتماعى المفروض ، حتى وإن كانت فى ضميرها تأباه . إننا نشير هنا إلى بعض آراء الاجتماعيين الذين يقررون أن المجتمعات البدوية تنطوى على احتقار العمل ، والعمل اليدوى بصفة خاصة ، البدوى يقدس أعمال السيادة ، أو ما اعتقد أنه عمل سادة ، كالحراسة والرعى ، لا يخضع فيه لأحد ،ولا يستخدم فيه يديه ، الأعمال اليدوية عنده تنتمى إلى العبيد ، ولعل هذا يفسر الانصراف عن الأعمال الفنية واليدوية فى المجتمعات الوارثة لقيم البداوة . وتلاحظ فى المسرحيات التى ذكرناها وأخرى لا تقل عنها أهمية بالنسبة للعمل ، مثل مسرحية (عنده شهادة) لعبد العزيز السريع ، أن كتاب المسرحيات يشيرون إلى تعلم شخصياتهم النسائية بوجه عام ، دون حرص على تحديد نوع التعليم ، ولكنه ما يشبه هذا ، فهى ليست طبيبة ولا زراعية ولا مهندسة .إن الفتاة عادة مؤهلة لوظيفة كتابية .

إنها فى أحسن الأحوال معلمة أى مدرسة وقد تجنبت المسرحيات ذكر المهن التى لا ترحب بها البيئة ذات الميراث البدوى فى مفهوم العمل ، لدلالتها على تدنى المنزلة الاجتماعية ولأنها مهن يدوية ، وكأنما يكفى أن يقال أن هذه الفتاة حاصلة على الثانوية العامة ، أو أنها تصلح لوظيفة ما بشكل عام ولعل الكاتب يهرب من التحديد أيضا لما يستلزمه التحديد من ضرورة اختيار أحداث درامية تتناسب وهذا النوع الخاص من التعليم. ولعل الكاتب المسرحى لم يتهيأ هو نفسه ثقافيا لرعاية هذا الجانب فى بناء

الشخصية المسرحية . وفى المسرحية الهزلية ذكرت أعمال شتى للمرأة بقصد الإضحاك . والكاتب الهزلى يريد أن يتوقع مثلما نجُد فى مسرحية كازينو أم عنبر ، فهذه المرأة قد افتتحت كازينو وهو نشاط مستحدث ، وشىء من هذا نجده فى مسرحية (روزنامة) لنفس المؤلف عبد الرحمن الضويحى ، ومع ذلك لا نستبعد أن المؤلف نظر نظرة ساخرة إلى تهافت نساء الكويت على التجارة استجلابا للمال، وشغلا للفراغ ، وهن فى سبيل ذلكَ لا يتوقفن عند حد ، بل يحصلن على تراخيص بأعمال قد تتنافى والموروث الأخلاقى ، وحدود الممكن أيضا ، فهذا محتمل لوجه السخرية فى مسرحية (كازينوأم عنبر) وإن كان هدف الضويحى فى مسرحياته الهزلية عامة. الإضحاك من خلال مواقف يظهر فيها الشخص فى موقع غير مألوف أو متوقع ، دون أن يكون لهذا الموقف دلالة اجتماعية فى أغلب الحالات .

# الفصل الثالث

## ( الدين والأخلاق )

حين كتب ( لاجوس أجرى ) دراسته الممتعة عن فن كتابة المسرحية عقد فصلا أساسيا عن الشخصية . وحدد لكل شخصية ثلاثة أبعاد : البعد المادى ، أى الأوصاف الجسدية ، والبعد الاجتماعى ، أى العوامل المحددة لعلاقة الفرد بالجماعة ، والبعد النفسى ، أى المزاج ، الذى جعله محصلة للبعدين السابقين ، ومن أهم العناصر المكونة للبعد الاجتماعى للشخصية : الدين والأخلاق وما يتفرع عنها من مفهوم للقيمة ، إن هذا يعنى أن الدين والأخلاق والقيم هى الوسائط والجسور االتى تربط الفرد بمجتمعه ، وتنظم رسائل التعامل من خلال وحدة القيم ، فى المسرح الكويتى بشكل عام . وقبل أن نتوقف عند شخصيات نسائية نلتمس من خلالها أهم الملامح التى تحدد صورة المرأة من زاوية القيم . نجد تيارا غالبا للقيم الأخلاقية . والأهداف الدينية دون أن يعنى هذا أن المؤلف الدرامى فى الكويت كتب مسرحيات دينية بالمعنى الحرفى أو التقليدى لهذا المصطلح . المجتمع الكويتى مجتمع مستقر إلى حد كبير . وهو إذا لم يكن قبليا فى شكله الظاهرى فإنه لايزال يخضع لجوهر النظام القبلى أو العشائرى ، فكلمة الكبار موضع تقدير خاص ، والفرد شديد الارتباط بجماعته « هذا يتضح تماما فى الانتخابات النيابية والنقابية » ولا تزال التقسيمات القديمة ما بين أصيل وبيسرى ، أو ابن القبيلة ، ومن لا ينتمى إلى قبيلة ، موضع إعتبار وذات أهمية فى أمور الزواج بخاصة ، ونحن فى غنى عن القول بأن الكويت ، عبر أربعين عاما هى على التقريب عمر النفط ، وعمر المسرح معا ، قد عانت تغيرات شتى أخذت شكل القفزات المتلاحقة الحادة أحيانا ، حتى لقد كتب حسين الصالح الحداد مسرحية قصيرة بعنوان (شرايكم ياجماعة) ناقش فيها مشكلة التطور

الطفرى ، رمزيا ، من خلال امرأة خرساء ، وكانت مسرحية (الكويت سنة ٢٠٠٠) صورة ساخرة وحزينة فى مراقبة هذه القفزات ، ورفضها أيضا ، ولا شك أن الأسرة الكويتية تعرضت مع هبوب الثروات السهلة وتغيير أنماط النشاط العملى ، وعوامل كثيرة أخرى ، تعرضت الأسرة لنوع من التفكك أو التباعد بين أفرادها ، حتى لم يعد عبثا الكلام عن صراع الأجيال كموضوع سائد فى كثير من المسرحيات ... وفى مسرحية (١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ ، بم) نجد مجموعة الشباب التى عاشت تجربة مجتمع النفط تتآمر للتخلص من أولئك الذين عادوا إلى الكويت وكانوا فارقوها قبل النفط وآثاره الاجتماعية ، هذا كله لا سبيل إلى إنكاره ، ومع هذا نستطيع أن نقول أن عوامل التفكك التى تهب كالرياح العاتية من الغرب بالذات قد تعرضت لمقاومة شديدة من قيم المجتمع القديم التى لاتزال متشبثة بالنفوس ، وهذا ينعكس جيدا على طريقة كتاب المسرح فى الكويت فى انتقاء موضوعاتهم ، وبناء شخصياتهم المسرحية ، واختيار النهاية التى لابد أن تكون إما درسا أخلاقيا ، أو عقابا رادعا للتدليل على استقامة القيمة الآخلاقية .

بصفة عامة يختار الكاتب المسرحى فى الكويت ما يسمى قضية اجتماعية مثل أثر الثروة على الأخلاق ، أو تعدد الزوجات ، أو حق المرأة فى اختيار شريك حياتها ، أو الأصيل والبيسرى ، أو زواج كبار السن من فتيات صغيرات وما إلى ذلك ، والطريف أن هذه الموضوعات مشتركة بين المسرحيات الاجتماعية ، والمسرحيات الهزلية ، ولا فرق إلا فى طريقة المعالجة الفنية ، وسواء كانت المسرحية اجتماعية مثل (الحاجز) أو (عنده شهادة) أو (غلط ياناس) أو هزلية مثل (انتخبونى) أو (كاوبوى فى الدبدبة) أو (بوصعرورة) فإننا نلاحظ عليها أنها لاتسرف فى تبنى التمرد أو الرفض الضرورى لإدارة الصراع حول الموضوع المسرحى .

فهذا التمرد أو الرفض لا يصل إلى أقصى مدى ، إنه ينتمى إلى نوع من المسالمة ، أو المهادنة ، أو الرضا بنصف حل ، أو الانتظار ، ولكنه لايصل أبدا إلى إعلان حرب نهائية تجاه أى شىء. إن « الانتظار » هو إحدى خصائص النفسية الكويتية، الصبر والترقب حتى تأتى ظروف ملائمة للتغيير ، دون الدخول فى مطاحنات الغالب فيها كالمغلوب ، كلاهما خاسر . لنتذكر مسرحية (الحاجز) أو مسرحية (عنده شهادة) أو مسرحية (زوجة من سوق المناخ) سنجد أن التحدى إلى اقصى نقطة . كما سنجد العقوبة تنتظر من يخل بالأصول كما أقرتها البيئة .

إن المجتمع الكويتى مجتمع مستقر ، والقيمة الدينية فيه تأخذ طابعها السلوكى العملى ، إلا فى حالات نادرة ، فكما نجد فى مسرحية (المخلب الكبير) الأب المتهوس دينيا يريد أن يزوج ابنته الشابة الجميلة من مؤذن المسجد العجوز القبيح ، كما يوصي بثروته للجمعيات الدينية ، وحين تحاول الاقتراب من دائرة الاهتمام : المرأة ، سنجد القيم الاجتماعية مؤثرة تماما فى تكوينها النفسى وتوجيهها العاطفى ، إنها دائما شديدة الارتباط بالأسرة راضية غالبا بالخضوع لأبيها ، وطاعته ، ثم لزوجها ، وهو خليفة الأب فى ولايتها ، وفتى الأحلام غالبا ابن عمها ، حسب التقاليد العربية حيث الأفضلية لابن العم ، والمرأة فى بيت أبيها ثم بيت زوجها يمكن تحت ظروف خاصة أو شاذة أن تتعرض للعسف والظلم ولكنها لا تصرخ ، إنها تحاور ، إنها تصبر وتناور وتراقب تغيير الظروف .

من هنا تكون لنا وقفة مع بعض المسرحيات التى أعطت اهتماما واضحا للشخصية النسائية ، وكانت القيمة الدينية أو الأخلاقية بصفة عامة المحرك بالسلب أو الإيجاب لتلك الشخصية ، وكان لها بذلك تأثير كبير على توجيه خطوط المسرحية . والبلوغ بها إلى نهاية معينة قد تتفق والقيمة الأخلاقية . وقد تكون إنكارا وتحديا لها .

والديانة بمعناها المباشر هى مجموعة الشرائع التى أنزلت من السماء لكى تفرق بين الخير والشر . وكان لابد للإنسان أن يختار عن اقتناع المسلك الذى يرتضيه بحرية كاملة. والأخلاق تعد ضربا من الديانة التى تشتمل على العبادات والتوحيد والسلوك . والسلوك هنا هو مايعنينا فى دراستنا هذه . فهى جزء من كل وهو الدين .

وسوف نتطرق لصورة المرأة فى المسرح الكويتى من الجانب الدينى والأخلاقى لكى نكتشف إلى أى مدى تصل المرأة بعيدا أو قريبا من هذا الفهوم .

ففى مسرحية (الطين صار اسمنث) لصقر الرشود والتى عرضت عام ١٩٦٥ فهى مزيج من الرمزية والواقعية تعرض الكاتب من خلالها إلى قضية فلسفية دار الصراع فيها بين المادة والروح ، المال والبشر ، وكيف أن المادة يكون لها السطوة والغلبة طوال المسرحية عدا النهاية ليتجسد عنصر الخير معلنا أن الغلبة له ولو فى الجولة الأخيرة ، ولكنها الجولة الفاصلة . يكون ذلك من خلال أسرة : الأب وزوجته ، ثم الابنة وزوجها فقط بالإضافة إلى خادم الأسرة وهو حفيد لعبد معتوق توارث المهنة من ماض بعيد فى

هذا البيت . الأب رجل مسن ذو ثروة كبيرة وزوجته « وفاء » شابة تقل فى العمر عن الابنة «مريم» حسناء استطاع الرجل الحصول عليها بالمقابل المادى لكى يحتفظ بها برغم فارق السن والطاقة والحيوية فإما أنها رضيت بذلك طمعا في الثروة أو رغما عنها بأوامر من الأب ذى السلطة والسلطان حيث إن العرف يبيح ذلك . ثم إن الابنة مريم لم تحظ بقسط وافر من الجمال الظاهرى أو الباطن على السواء .. تسلك نفس طريق الأب من حيث الزواج . فكما سبق للأب ان اختار زوجته نقيضا له وبمقياس وشروط يرتضيها ويجد فيها عوضا له عن السنين التى عاشها مع زوجته الأولى وهى الأم . هكذا يكون اختيار الابنة ذات الجمال المحدود تختار الزوج الذى لا يناسبها على الإطلاق إلا كصفقة رابحة وخاسرة فى وقت واحد لكل من الطرفين .

ففى موقف يجمع الابنة الزوجة مريم وخليفة زوجها بعد إتمام الزواج الذى خططت له مريم ونفذته كما أرادت تماما رغما عن أبيها حتى تباهى الصديقات بهذا الزوج النادر فى وسامته والذى يقبله الزوج طمعا فى الثروة برغم معارضة الأب عليه لأنه يعلم أن ذلك الزواج صفقة وليس بزواج من أجل الزواج فقط ولكن النصر يكون للابنة برغم ذلك !! يكون بريق العرس قد صدأ واستيقظت الابنة علي الحقيقة التى لم تكن تراها من قبل وهى أن الزوج بعيد عنها وبرغم أنها تعلم ذلك ولكنها قد اختارت وفازت وهى ليست مستعدة أن تخسر هذا الموقف بعد أن أصبح بين يديها ، ولعل الغير ينتظر ويراقب هذه النهاية حتى يقتنيه بدوره . وفى الحوار الذى يدور بينهما تنظر الحقيقة المرة :

مريم : أنا حلوة ولا لأ ؟

خليفة : ليش

مريم : سؤال جاوبنى عليه بمنتهى الصراحة

خليفة : أنا أحبك

مريم : هذا مو مهم

خليفة : ( صامت )

مريم : اشفيك سكت

خليفة : أنا أحبك

مريم : جاوبنى على لحظة من مليون ..فكنى من لحظة قتل

خليفة : فكينى من لحظة إحراج

إن هذا الزواج قد تم والهدف الوحيد من ورائه هو الطمع : فكلاهما ارتدى ما يحلو للآخر ان يراه وقد أخفى حقيقته فى نفسه أملا أن يظل هذا الرداء إلى الأبد . ولكن بالمعاشرة عن قرب يسقط القناع تلقائيا . ويعيش كل منهما الحقيقة عارية . فالزوجة تريد أن تحصل على اعتراف يقر الزوج فيه بجمالها . ولكن الزوج يتهرب من الإجابة ولا يعنى ذلك سوى الرفض ، ولكن بأسلوب غير مباشر وجارح وتكون الإجابة البديلة الاعتراف بحبها . ولكن أى نوع من الحب ؟! يحتفظ هو بسر النوع وينطق باللفظ الذى لا تقتنع به . فهى تعيش حقيقة ترفضها . تريد أن تسمع ولو نفاقا ما يقتل هذه الحقيقة ربما مثل ماكان قبل أن يتم الزواج .

وتصر مريم على سماع إجابة محددة لهذا السؤال القاتل بالنسبة لها والذى تكرر لمرات عدة .. وتكون الإجابة قاتلة أيضا بالرغم من أنه لم يصرح ولكن ثنايا الإجابة تقول «لا» هذا موقف وصورة تكونت خطوطها بكافة ألوان الطمع الذى لا يتفق مع الأخلاق فى شىء . كذلك رفض الابنة لنصيحة الأب الذى كان يرى جيدا ما خفى على الأبنة التأكد منه . فقد بنى هذا الزواج على أساس غير أخلاقى وبالتالى فإن تطوراته كلها سوف تنهج نفس المفهوم . فما بنى على خطأ فهو خطأ . وتوضح مريم الصورة فى الحوار نفسه بعد أن يتصاعد حتى تصل إلى نقطة التكشف للحقيقة التى يعرفها كل منهما ، ولكنه يحتفظ بها لنفسه مؤقتا . وخصوصا خليفة الذى يعيش على أمل الحصول على ثروة الأب وبعدها سوف ينتهى دوره معها أو بمعنى آخر تكون مهمته قد انتهت . وهى تعلم ذلك ... وتصرح له بمكنون نفسها قبل أن يفكر هو بالغدر بها :

مريم : قاعدة اتحسر

خليفة : اشعليه

مريم : على الصفقة

خليفة : أى صفقة

مريم : اللى بيننا

خليفة : مابيننا صفقة

مريم : تنكرها .. لأن مافيها أوراق

خليفة : أنكرها !!!!

مريم : كلنا خسرانين

لقد تزوجا بعيدا عن الهدف السامى للزواج . فلم تصمد الزوجة أمام تيار الزوج الذى فقدت أمامه ما أملت أن تحققه ولم تجد سوى الأسف والحسرة نهاية صفقتها الخاسرة كما اعترفت هى . والزوج يتفهم ما يحدث لها . ولكنه يتظاهر بالتنكر أحيانا مما يزيد من ثورتها . ففى الحوار الذى يصل إليه هذا الزوج إلى محاولة الهرب من حياتها التى لم يجد فيها ما يناسبه سوى الانتظار للحصول على الثروة والتى ربما يطول أمده . فإنه وبتركيبته النفسية والاجتماعية تنقصه متطلبات غير متوفرة فى هذه الزوجة مما جعلها تكشف عما بداخلها وتصف حالتها التى وصلت إليها بالحسرة والندم ولا سبيل غير ذلك. فما تملكه لا يتعدى هذا الإحساس حيث لا مفر ولا ملجأ يمكن أن تبادله به استفزازاته وإقدامه غير المشروع الذى سوف يكشف فى موقف لاحق . يرد عليها الزوج مستفسرا عن مصدر هذه الحسرة وهو العليم بها . وتكون الإجابة صريحة ومباشرة معترفة بذلك .. الهدف من الإقدام زواجها الذى لا يفسر إلا بالصفقة وهى حتى لم تقدم عليها إلا بعد حساب دقيق على أنها ورقة رابحة ، بالنسبة له ، ولم تعلم ماكان يخفيه هذا الزوج بداخله . فالحساب تم من طرف واحد ... ويستمر الزوج فى ممارسة هوايته فى عدم الفهم أيضا لتقرب له المعنى وتحاصره فى شخصين لا ثالث لهما وتتكلم بصيغة المثنى «بيننا» فلا مفر إذن من الاعتراف ، ولكنه أيضا يحاول من ناحيته التنكر حتى يفوت عليها ماترمى إليه . وتصل معه الزوجة إلى أن ينكر أمامها أية علاقة . فما بينهما هو زواج ولم ولن يؤدى إلى ازدهار فهو عقيم ويعترف لها بأنه لا صفقة بينهما ، ولكنها تختبره عندما تؤكد له أن الخسارة سوف تجتاحهما معا وعليه إعادة ترتيب أوراقه وحساباته إذا أراد المكسب . ولا يقتصر الموقف بين مريم وزوجها ، بل يتعداه ليكون الأب طرفا فى موقف آخر يتضح من خلاله انعدام الأخلاق التى تربط ابنة بأبيها المسن المريض . كان لابد أن يدفع ثمن تنشئته غير الاخلاقية لها . فهو يظل وحيدا مع خادم يبخل عليه بكلمات متبادلة حتى يحس بوجوده . وهاهى الابنة تفضل الابتعاد عنه ما استطاعت رغم أنها تعيش هى وزوجها فى بيته ومن عائد ربحه . وحينما تتجاهله وهو يبحث عن أحد يهون عليه وحدته بعد أن تركته زوجته الشابة لبعض شئونها التى لم يكن يعرف عنها شيئا :

فهد : ( يصرخ بها ) مريم

مريم : ( تتوقف دون أن تلتفت إليه )

فهد : أنا أبوك يامريم .. وفاء إلى الحين ما رجعت .. ليش ما تلتفتين لى

مريم : ( دون أن تتحرك ) نعم

إن بيتا كهذا بنيت علاقاته بعيدا عن أى صفقة أخلاقية : الكل بدون استثناء . حتى الخادم الذى يرى أن هذا البيت بما فيه ليس من حق أحد . فهو الوحيد الذى يئول إليه هذا الحق لأن أباه ومن قبله جده هم الذين أسسوا كل شىء دون أن يتعب أحد سواهم. ومن خلال هذه النظرة يترقب طوال المسرحية دون أن يتكلم وإذا اضطر فحواره قصير للغاية . فالأب الذى وصلت حالته إلى أدنى درجة لم يجد من يساعده أو يسانده من أقرب الناس إليه : فالخادم لا يعيره اهتماما ، والزوجة تتناساه ، وهاهى الابنة تتجاهله برغم وجودهما فى مكان واحد ، وهى ترقب ما يدور وترى كيف أن حالته النفسية تسوء وكأن لارابط بينهما حتى يضطر الأب أن يعبر جهرا عما بداخله بصراخ يائس وكأنه يستجدى الابنة : لكنها تتلقى الكلمات بآذان صماء حتى أنها لا تلتفت ناحيته رافضة لأى حوار . فيعرفها بنفسه وهذه وحدها لها مغزاها العميق «أنا أبوك يامريم » فهل وجه إليها هذا التعريف لمجرد التذكير ؟! إن هذه الجملة تعبر عن حقيقة مأساته . أى أنه الرجل الذى كان السبب فى وجودها فى هذا العالم وكان وراء أى فضل لها منذ ذلك الحين إلى هذه اللحظة التى تنكره فيها .

ثم ينتقل من هذه الجملة إلى السؤال عن زوجته التى خرجت دون أن يعلم عنها شيئا وهو موقف لا أخلاقى أيضا من قبل زوجته التى لا تحس بوجوده . إن الأب يريد أن يخمد الثورة التى اشتعلت بداخله ولو بكلمات لا تؤدى إلى أى شىء . فهو يريد من يبادله الحوار . كل ذلك والأبنة مازالت رافضة النظر إليه ولا تجيب إلا أخيرا وبكلمة واحدة « نعم » فكل منهما يعيش فى عالم بعيدا عن الآخر تفصلهم مسافات .. وعلى ذلك تكون الابنة غريبة عن الأب وحتى عن زوجها .. وربما يكون شخصان وحيدان تذوب المسافة بينهما : وهما خليفة زوج الابنة مريم ووفاء زوجة الأب اللذان تجمعهما علاقة محرمة داخل البيت ، وربما يكون على علم من الطرفين الآخرين : مريم والأب ولكنهما لا يملكان الدليل المادى على هذه الجريمة التى تتكرر كثيرا فى الليل .

فالرجل خليفة بما يملك من جمال المظهر والشباب قد ارتبط بمريم التى لا تناسبه شكلا .. ثم إن وفاء تلك المرأة الشابة التى ارتبطت أيضا بالأب وهو فى سن السبعين من

عمره وقد خارت قواه حتى أصبح لا يقوى على إشباع حاجة الزوجة التى لا تجد مفرا من أن تحصل عليها ممن يستطيع . ولم يكن أمامها بالطبع فى هذا المكان المغلق سوى خليفة ومرزوق الخادم فكان الأول هو المختار بالطبع :

خليفة : قولى لى ...

وفاء : أمس ليش قلت لبدرية على كل اللى صار بينا .

خليفة : أهى سألتنى بالتليفون أكثر من أمية مرة .

وفاء : شحق تقول لها .. ما تدرى أنها تنشر الخبر وتفضحنا .

وهكذا تتبين ملامح صورة الزوجة التى سلكت طريق الحرام بعيدا عن الدين والأخلاق مع رجل من شاكلتها وهى حينما تخوض هذا الطريق إنما تخشى افتضاح أمرها كامرأة متزوجة . وسوف يتكشف بأن وفاء هذه الزوجة لم تقتصر علاقتها المحرمة بهذا الزوج خليفة ولكنها تمتد لتشمل أكثر من رجل ممن عملوا لديهم كسائقين ، وذلك حينما يشك الزوج العجوز الذى لم يستطع أن يطفىء ظمأ الزوجة الشابة - وهذا بالطبع لا يبرر وقوعها فى هذه الخطيئة التى لا يقرها الدين والأخلاق مهما كانت الأسباب . فلم تكن العلاقات فى هذا البيت متكافئة مع أى من الأطراف التى لم تضع الدين والأخلاق فى اعتبارها . فالأب يتخلى عن زوجته وبناته ويبعدهن عن مسكنه ليتخذ من وفاء التى تصغر ابنته زوجة معللا هذا التصرف باحتياجه لإنجاب ولد يخلد اسمه . وهذا ما لم تستطع الزوجة الأولى تحقيقه وهذه نقطة لا يقرها أيضا الدين والأخلاق .فهو بفعلته هذه تسبب فى أكثر من جريمة . ظلمه لزوجته التى بدأت معه رحلة شقاء . ثم ظلمه للزوجة الثانية والتى لم تكن تناسبه فى شىء . هذا الظلم أدى إلى ارتكاب الحرام من قبل الزوجة الشابة وهى تجر معها فى هذا الطريق زوج الابنة واخرين . فالكل طامع فى الكل : خليفة يطمع فى الحصول على الثروة وأيضا فى وفاء وقد حقق واحدة وهو فى انتظار تحقيق الثانية وهى الثروة . ثم مريم تطمع فى المظهر الخارجى للزوج خليفة حتى تكمل به نقصا شعرت به بالاحتكاك مع الصديقات اللائى كن يرغبن أيضا فى الحصول عليه وأصبح الموقف تحديا بينهن . وهكذا تخرج من هذا التحدى منتصرة . كذلك لم تكن وفاء الزوجة الشابة أقل منهما طمعا .. فهى تنتظر وفاة الزوج حتى تئول لها الثروة أيضا بمشاركة خليفة الذى كان يخطط لأمر بالاتفاق معها ، والخادم أيضا لم يكن مجرد مراقب أو متفرج بل كان يرى أنه الوحيد الذى يجب أن يغنم بهذه الثروة وهو ينتظر الوقت

المناسب . ومن هذه العلاقات المتداخلة يتضح أن الأخلاق كانت بعيدة جدا عن مسرح الأحداث التى تتم حيث لا رقيب فكل شىء مباح .

ويستمر الحوار الطويل بين خليفة ووفاء إلى أن يصل صوت الأب لزوجته :

الأب : اشقاعدة تسوين .. ماناديتى مريم .. آبى مريم .. ناديها .. السايق طردته .. من عندك غيره بعد .. خليفة ينظرنى إلى أن أموت .

وفاء : وسلال اللى يقبض روحك .. موت .. فكنى .. أهى طلابة ( إلى خليفة ) كل ينازع ولا يموت .. روحه روح قطو ( ثم تضيف ردا على خليفة ) لو أكو بالدنيا انسانية ما صار هذا زوجى .

إن الأب الذى يقتله الشك دون أن يقوى على فعل شىء يقوم بطرد السائق الذى يكون على علاقة بزوجته وفاء . كما سبق له بطرد أكثر من سائق لنفس السبب . وتكون هى بذلك قد انكشف أمرها . فالأب يعلم بخيانة زوجته مع السائق ، ومريم تتأكد ايضا من خيانتها مع الزوج ولا يجرؤ أحدهما أن يعلن الحقيقة . الأب يخشى ابنته التى طالما ألحت عليه بالاستغناء عن وفاء وهو متمسك بها على أمل أن تنجب له الولد . فإن اعترف بالحقيقة فسوف تكون نقطة إذلال بالنسبة له . كذلك الابنة تعلم وتتمزق داخليا لعدم قدرتها على اتخاذ خطوة إيجابية . فهى أيضا تعلم مايكنه الأب لخليفة من حقد لعدم موافقته على هذا الزواج أصلا .فهى تخشى افتضاح الأمر ليس حبا لزوجها بل خوفا على أبيها الذى لم تكن تعرف أنه على علم بهذه الخيانة .

إلى هذا الحد تكون الزوجة قد ضربت بالدين والأخلاق عرض الحائط . فهى تخون الزوج مع أكثر من رجل . داخل نفس البيت . فالأمر إذن ليس إشباع رغبة بقدر ماهو انتقام من الواقع المر الذى أحسته فى صحبة الزوج . فهى تتمنى موته حتى ترتاح من شبحه الجاثم على أنفاسها ، بالإضافة إلى انتقامها انتظارا للثروة . تتمنى له النهاية المحتومة ولكنه يعود ثانية للحياة . وإنها حقا تكن له كل الكراهية وتصرح بذلك لخليفة دون أدنى حرج .

لكن الواقع المر لا يعطى الزوجة إطلاقا حق التصرف بهذا الشكل إذا امتزج بالدين والأخلاق . فالزوجة مهما كانت ظروفها السيئة فإن عليها واجبات يقرها الدين لابد أن التمسك بها واحترامها ، والنتيجة : خيانة من وفاء وخليفة ، وانتظار الموت لصاحب

الثروة ومشاهدة المنكر مع السكوت عليه . يتضح ذلك فى الحوار الذى يدرو بين مريم وخليفة وهى تكشف له الحقيقة :

مريم : روحى تحترق وأنا أشوفكم الاثنين تجتمعون .. صبرت علي كل شىء منك ياخليفة .. ركعت تحت رجولك .. دوست علىّ .. لكن إنها تخون أبوى وياك هذا اللى مانسكت عليه . ما حاجة تنكر .. أشوف بعيونى .. آخر الليل تنتظرها عند الحمام وأهى تترك آبوى المسكين بفراشه وتجيلك كل ليلة .. وتقوم من الفراش وتروح لها .. كل ليلة يصرخ هالبيت من خيانتكم الوسخة .

هكذا تقولها مريم وتعترف بعد أن فاض بها الإحساس القاتل وهى ترى زوجها يرتكب هذا الجرم محطما إياها بالاضافة إلى الأب . فبالرغم من أنها لم تكن تهتم به وتعيش عالمها بعيدا عنه لكنها تدافع عن شرفه الذى لوثه هذا الزوج . وربما كانت تدافع عن هذا الشرف بدافع الغيرة القاتلة . فهى ترى زوجها يهجر فراشها فى جوف الليل مفضلا عليها هذه الزوجة التى تعلم عنها كل شىء حيث سبق لها أن قامت بطرد أكثر من سائق بعد التأكد من أنها على علاقة بهم . وكم من مرة طلبت من الأب التخلص منها بالطرد دون أن تصرح له عن السبب . تكشف مريم للزوج وتؤكد له برغم محاولته الدفاع عن نفسه تكرار الخيانة التى عاشت لياليها وهى تنتظر أن يكف عن ذلك ولكن لم يحدث . ومن العجيب أن نرى مريم هذه وهى تستنكر هذه الخيانة من طرف واحد وهو الزوج ، فلا يهمها خيانه الزوجة وفاء فهى تعلم عنها ذلك ولكن الذى يعنيها هنا ان تصدر الخيانة من خليفة فحسب . تقول « لكن أنها تخون أبوى وياك » فهذا كل ما يعنيها من وراء تلك الخيانة « الزوج » ويستمر الحوار الذى من خلاله يحاول خليفة تبرئة ذمته فى حين ترفض مريم أى دفاع منه حيث إنها لم تعلم ذلك من أحد بل إنها شاهد عيان . ولا يتوقف الحوار إلا بموت الأب :

خليفة : وفاء

وفاء : ( تلتفت إليه )

خليفة : كان قلبى حاسس إنك بتسوينها .. عاندتى لكن ما قدرتى تقاومين فكرتى من مدة طويلة نفذتيها على طول زين سويتى

وفاء : بروحه انتحر

خليفة : ريحتو ريحتوا بالدوا .. لكن المفروض نقول انتحر

وفاء : أهوه اللى موت نفسه بإيده

هكذا تكون النهاية المنطقية لحياة أبعد ماتكون عن المنهج الدينى والأخلاقى . فقد هدمت كل الآمال التى شيدت سواء من قبل الأب الذى كانت نهايته مأساوية دون أن يحقق ما كان يصبو إليه من متعة أو إنجاب للولد بل عاش أيامه الأخيرة وقد تحطم لما رآه من خيانة الزوجة وطمع خليفة لثروته . وعقوق الابنة له . ويفوق ذلك كله اكتشافه ضعفه الجنسى الذى قضى على آخر آماله فى الحياة . وبرغم أن المسرحية لم تكشف صراحة عن القاتل حيث إن وفاء تعترف بأنه قد انتحر . فهذا وارد تماما بعد ما وصل إلى حالة اليأس من كل شىء . فلم تكن للحياة قيمة تنشد . ويمكن أن يكون القتل وراءه خليفة الذى كان ينتظر له هذه النهاية طوال حياته فى هذا البيت . بل أكثر من ذلك ؛ فإنه لم يقدم على الزواج من مريم إلا بعد أن أقام حساباته للحصول على ثروة الأب . ووفاء لم تكن بعيدة عن الاتهام . فهى التى طالما تمنت له الموت صراحة ونهجت طريق الخيانة مع أكثر من رجل وهى زوجته . كذلك كانت مريم تعلم تماما أن الزوج خليفة لم يكن يتحملها إلا انتظارا للحصـــول على الثـــروة .. وهاهى الثروة أصبحت مطمعا لمن تكون له الغلبة . وفاء من حقها وهى على علاقة بخليفة وسوف تكون الطامة الكبرى حينما يعلن خليفة طلاق مريم لتكون النهاية أيضا . ولابد أن يصل لوفاء لاقتسام الثروة والحياة فى نفس الوقت . ولكن القدر كان يخفى هذا الخادم الذى يفضح أمرهم جميعا ويهدد الكل لتخرج وفاء هاربة إلى بيت أبيها . ويطرد خليفة دون أن يحصل على شىء .

إن فى غياب الأخلاق والدين يمكن أن يباح كل محرم وتكون العاقبة هى الخسارة لكل شىء . ولذلك لم تنج شخصية من شخصيات المسرحية من السقوط حتى الهاوية . لأنها لم تكن تملك صمام الأمن الذى يتمثل فى الدين والأخلاق .

أما فى مسرحية (ضحية بيت العز) لسعد الفرج وحسين عبد الرضا فتبرز صورة المرأة على المستوى الدينى والأخلاقى من خلال ثلاث شخصيات وهما متناقضتان الأم وابنتاها (طيبة وهيفاء).

فى غياب الدين والأخلاق تسلك الأم طريقا يتنافى مع أى مبدأ أخلاقى بالإضافة إلى وجود ابنتين في سن المراهقة .. فهى قد كرست حياتها - وذلك بعد ثرائها الفاحش



مشهد من مسرحية ( الطين ) والتى عرضت عام ١٩٦٥

تأليف صقر الرشود

الذى كان مصدره غير شرعى - للسهر الليلى المتواصل إلى ساعات متأخرة إن لم يكن لبداية مبكرة من صباح اليوم التالى مع سديقات على شاكلتها للعب الورق الذى يكون نتيجته خسارة دائمة لمبالغ طائلة حتى أنها مع العودة لا يمكنها أن تفرق بين الأبيض والأسود . وإذا كان هذا شأن الليل .. إذن فالنهار لابد أن يكون للراحة من عناء السهرة والاستعداد لليل آخر .. وتكون النتيجة الطبيعية الخراب .. وإذا نظرنا إلى الزوج ومتطلباته المختلفة التى لن تستطيع أن توفيها له . كذلك ابنتاها .. حيث تسلك الابنة الصغرى طريقا يؤدى بها إلى الهاوية مع شاب تكون نهايته من أجلها الموت .

ثم الابنة الثانية وهى الشخصية المعتدلة فى هذا البيت والتى تختار جانب الدين والأخلاق ولكن لم تستطع أن تؤثر فى هذا الجو المشحون بالأخطار وهى ترى وتسمع . فمن خلال مكالمة تليفونية مع الأم وهى تحاكى إحدى صديقاتها فى حديث طويل تصل بالحوار إلى :

الأم : بتطلعون الشاليه هالجمعة .. ترى إحنا كلها أيام ومسافرين لا حتى بتطلعون نستعد زين .. هو موبالج لا ولله مغلوبة ألف دينار .. وهم تراهنت مع خالتج على سمج وغلبتنى .. لامو وايد ٥٠٠ دينار

هكذا تكون أول ملامح الصورة للأم التى يتنافى سلوكها مع مبدأ الدين والأخلاق فى كل شىء .. وإذا كانت المرأة الأم عموما مقياسا لاستقرار الأسرة ومعلما للسلوكيات بالنسبة للأبناء وسكنا للزوج . فإن هذين المقياسين ليسامتوفرين فى هذه المرأة فهى تقضى وقتها إما بالشاليه أو لعب الورق والمراهنات بالإضافة إلى السفر للخارج بمفردها ولا رقيب عليها، وكما جاء على لسانها فإنها تفقد مبلغ ١٥٠٠ دينار فى ليلة واحدة ويكون تعليقها «لآمووايد» أى أن الخسارة بسيطة .. وهذه التصرفات لابد أن تنعكس على الزوج الذى ينحرف كى يشبع رغباته التى لم تكن متوفرة فى بيته . وكيف لها أن تتوفر والزوجة إما فى سهراتها أو مع بعض صديقاتها ، أى أن البيت محروم من وجودها أكثر الأوقات مما جعل الزوج ينشد سعادته فى مكان آخر أو بيت آخر مع امرأة أخرى دون زواج . وقد ارتضى هذا السبيل فهو لم يكن أيضا يعبأ بمشروعية تلك الخطوات فى حياته عامة . إذن فالبيت قائم على جو خال من الأخلاقيات الكفيلة بتبديد سواء السبيل وبتماسكه الإنسانى .

أما الابنة هيفاء فتريد الحصول على المال من أجل شراء هدية للشاب أكرم الذى تصادقه بحرية كاملة والأم على علم بذلك وكذلك الأخت . يدور حوار بينها وبين الأم من أجل مائة دينار ، وبين طيبة الأخت الكبيرة التى تمثل فى هذا البيت جانب الاعتدال والأخلاق ينشأ صراع بينهما نتيجة هذا التصرف . وتريد طيبة أن تقنع أختها بأن هذا السلوك غير مقبول والأم تسمع وترى وهى صامته :

هيفاء : أنا حرة بكل تصرفاتى وما أحد له أمر على .

طيبة : ياهيفاء الحرية لها حدود .. أبوى وثق فنيا وأعطانا حرية كاملة واحنا لازم نكون عند حسن ظنه .

تقول هيفاء بصراحة لأختها الكبيرة وفى حضور الأم ، والأب يكون فى حجرة أخرى يمكن أن يصله الحوار الذى لابد أن يكون بصوت مسموع وخصوصا من هذه الابنة وتعلنها صراحة «أنا حرة» وهى أصغر من فى البيت . وبهذه الحرية تفعل ما يحلو لها بعيدا عن كل القيم الدينية والاخلاقية . كذلك فإنها لم تقل هذا الكلام من فراغ فهى تقلد الأم التى تحكى كثيرا لصديقاتها تليفونيا حتى يصل بها الأمر أن تتخذ تليفونا برقم سرى . فما وصلت إليه برغم سنها الصغير كان مكتسبا من الأم التى كانت تبوح بأسرارها علنا على مسمع من الفتاتين .

وإذا كان هذا السلوك أيضا لا أخلاقى إلا أنه يبدو العكس فى منطق الابنة طيبة التى تحاول جاهدة أن ترشد الأخت ولكن دون جدوى . بل والغريب أن الأم لم تكن تطمئن لأسلوب الابنة طيبة فهو أيضا يتنافى مع منطقها ، وينتصر الشر على الخير المتمثل فى طيبة . فهى وحدها تتخذ لنفسها طريقا غير مرغوب فيه سواء من الأم أو الأخت بالإضافة إلى الأب أيضا .

ومن منطق الحرية التى أعلنتها هيفاء تطلب أكرم تليفونيا لقضاء بعض الوقت فى البيت .. علما بأنها كانت تقضى أوقاتا فى المصبغة التى يعمل بها . وما دفعها إلى هذه الجرأة .. الأم التى لم تكن بالبيت حينذاك فقد ارتبطت مع صديقه لقضاء الليل فى لعب الورق .. والأب بشقته الثانية مع سكرتيرته «عفت» والأخت طيبة كما تذكر هيفاء قد صلت ونامت ولا يوجد فى البيت سوى الخادم الذى يكون أمره هينا . فالبيت خال تماما ومهيأ لاستقبال الرجل . يكون ذلك حوارها لأكرم من خلال التليفون :

هيفاء : (ترفع السماعة وتدير القرص وتتكلم بعد أن تطمئن أنه ليس بقربها أحد) آلوه أكرم .. أنت اللى دقيت تليفون .. أنا قلت أكيد أنت .. ياالله ليش تأخرت أنا كنت أنتظرك عند الباب لا ماكو أحد .. اللى رد عليك الخادم عنبر .. زين .. زين الحين اطرشه برة .. بس أنت تعال بسرعة .. لا أختى طيبة صلت ونامت .

فى هذا الحوار تتضح صورة صادقة للمرأة التى أبعدت الأخلاق جانبا والسلوك أيضا .. ومن خلاله يتكشف أن أكرم هذا الذى تصادقه هيفاء وجد منها استعدادا لاحدود له لإقامة هذه الصداقة وتطورها كيف يشاء لدرجة أنه يطلبها فى البيت عدة مرات ولكن الذى يرد يكون الخادم ، وعلى ذلك لاتتم المكالمة فهو يريدها هى حتى تفطن أن هذا التليفون الذى كان يدق لابد أنه منه . وهذا واضح من بداية حوارها معه . فلقد صرحت له بأن يتكلم معها فى البيت .. تطلبه هى بعد أن تصرف الخادم وتصل معه فى الحوار إلى دعوته للقائها داخل البيت فى لهفة . ثم تؤمن له الطريق فتعده بخروج الخادم عنبر حتى يكون البيت خاليا إلا من الأخت طيبة التى تتأكد أنها فى نوم عميق بعد أن أدت فريضة الصلاة .

هذه الصورة لم تكتمل حتى هذه اللحظة بل كانت بمثابة خطوط ينقصها وضع المعالم الرئيسية حى تبدو واضحة . ولكن إذا كانت هذه الفتاة التى لم تصل سن العشرين تنهج هذا الأسلوب فى ذلك المكان الذى من المفروض أن يكون له قدسيته فمرجعه الأسس التى وضعت دون مراعاة للأديان السماوية التى تنبثق منها الأخلاقيات ، فهى تتصرف دون أن تخشى أحدا ، وهى على علم مسبق أن مثل هذا اللقاء فى مكان آمن مغلق . كذلك يكون الدافع على سلوك مثل هذا ما تراه من الأم التى هى قدوتها والتى لاتجرؤ على محاسبتها حتى لايرتد هذا الحساب إليها من الابنة . كذلك الأب الذى لم يكن له مكان دائم فى هذا البيت لأنه أسس بيتا ثانيا وجد فيه نفسه بكل متطلباتها . فقد فعلت هيفاء هذا لأنها لم تجد من يرشدها سواء السبيل ، أو أن ترى فى هذا الوسط قدوة حسنة يمكن أن تقتدى بها .

فالأم تعود للبيت بعد أن تكون هيفاء قد استقدمت أكرم وقضيا وقتا بمفردهما . كذلك الأب قد عاد معترفا بأنه تأخر هذه الليلة أكثر من اللازم . تكون الأم منهكة القوى

من تأثير هذه السهرة حتى أنها لم تستطع أن تفرق بين الخادم ومدير أعمال الزوج «سيف»:

الأم : عنبر سوى لى جاى رأسى ترى بينط .. بسرعة .. اشفيكى منك ياأملوه .. الفين أولة امبارح .. وألفين وخمسائة الليلة - تنتبه لوجود سيف دون أن تنظر إليه - اشفيك واقف ياعنبر ما تروح تسوى لى جاى .

ومن الغريب أيضا أن الأب حينما يعود متأخرا باعترافه ، وقبل وصول الأم يجد هيفاء مازالت يقظة .. تعلل ذلك أنها تنتظره وهى فى الحقيقة مع أكرم الذى لم يستطع الخروج من البيت بعد أن حضروا . إن الأب لايسأل عن الزوجة ؟ مجرد سؤال ، فهو يعلم عن سهراتها كل شىء . تعود الأم مع الفجر ويفتح لها الباب سيف مدير أعمال الزوج الذى حضر معه لإنهاء بعض الأعمال فى البيت . وتدخل الأم دون أن تتعرف عليه . وتطلب منه بعضا من الشاى الذى يمكن أن يعيد لها اتزانها الذى فقدته خلال السهرة . فهذه السهرات متتالية ولابد أن تخرج منها خاسرة . إذن فالابنة تضيع من خلال هذا الطريق . والأم قد ضاعت بالفعل . والأب لم يكن أقل منهما ضياعاً . فلم يكن فى هذا البيت شخصية معتدلة سوى طيبة . ولكن هذا الاعتدال كان سلبيا لأنه لم يؤثر علي الغير . وإذا كانت هذه صورة المرأة فى مسرحية (ضحية بيت العز) والتى تكونت ووضحت تماما بعيدا عن الدين والأخلاق إلا من طيبة . فهى قد شملت الأم والابنة هيفاء التى تعد ضحية هذا الثراء الذى أسيىء فهمه . فقد فقدت سمعتها إلا أن الأم لم تتأثر بتلك الأحداث وتظل صورتها كما هى حتى النهاية . كذلك فإن الضحية الأخرى المأسوية وهى سيف الذى يقتل أكرم وربما يكون الأخير قد نال جزاءه العادل ولكن الضحية التى لاذنب لها تتمثل فى مدير أعمال الأب الذى يتهم بالقتل وكأنه مجرم حتى أن الأم تؤيد هذا الاتهام والأب لا يأبه بما حدث . بالإضافة إلى أنه قد تسبب فى وجود ضحية أخرى وهى عفت التى اغتصبها ليس رغما عنها ولكنه فعل ذلك حتى إذا أثمر هذا الاغتصاب ووجد فى ذلك تهديدا له يسند إليها اتهاما بسببه تطرد من البلاد ووسط كل هذه الكوارث والأحداث يكون الأب طبيعيا وكأن شيئا لم يكن :

الأب : (ينادى) طيبة .. هيفاء يللى يامرة يللى لايطوفنا موعد الطيارة .

هذا آخر حوار المسرحية .. وإذا فتشنا من خلال هذا الحوار فسنجد أن الأب

يتسبب فى ضحية ويتخلى عنها ، بل ويزيد فهو يطردها خارج الكويت بتهمة السرقة التى لم ترتكبها . ذلك فإن سيف حينما قتل أكرم الذى اعتدى على شرف العائلة .. قتله دفاعا عن كرامتهم وعن نفسه أيضا فإن لم يفعل فسوف يكون هو الضحية أو المقتول فى هذا الموقف . وبالرغم من ذلك يكون الأب - تؤيده الأم - ملقيا بالاتهام على مدير أعماله بأنه قاتل .. مجرم . والنتيجة المنطقية هى إبلاغ بالشرطة ليكون القضاء هو الحكم . وأمام كل هذه الكوارث نجد الأب لا يعبأ بما يدور . بل ويحث الأسرة على الإسراع فى إعداد ما يلزم السفر حتى يلحقوا بموعد الطائرة .

هكذا تكون الحياة فى وجود هذه الثروة الطائلة ذات المصدر الحرام وفى غياب الأخلاق وتكون النتيجة عدة ضحايا رغم أن الأم والأب لم يكونا من ضمن هؤلاء الضحايا وهما اللذان تسببا فى هذه الكوارث .

ونتعرض لصورة أخرى تختلف فى تكويناتها عن الصور السابقة ، ومع ذلك كان غياب الأخلاق عاملا رئيسيا فى إبرازها وذلك من خلال مسرحية (زوجة من سوق المناخ). فنجد شخصية الزوجة « حصة » تلك المرأة أو الفتاة التى بلغت من السن الحد الذى جعلها تصل لمرحلة اليأس لعدم زواجها برغم أن الأب من أغنى تجار الكويت إلا أن مظهرها الخارجى لم يغر أحدا للتقدم إليها . ولإحساسها بخطورة موقفها تتجه إلى العمل وهى ليست بحاجة لعائده ولكن الهدف لا يكون المال أو العمل فى حد ذاته . ولكن الهدف هذه المرة شخصـــى جدا فهى ترى فى بقائهـا فى البيت حائلا دون زواجها فلابد إن تسعى هى للبحث عن الرجل الذى يقبل الارتباط بها . وفعلا بمجهود ونفوذ الأب تتقلد عدة وظائف فى وزارات مختلفة . فهى كثيرة الانتقال لعدم وجود رجال فى هذه الأماكن تنطبق عليهم الشروط ، وهو شرط واحد لا غير ، رجل غير متزوج وهو ما لم تجده فى مجموع الوزارات حتى يجد الأب لها عملا آخر بل مكانا آخر فى وزارة أنشئت حديثا تجد فيه رجاءها . وهو الرجل « حامد » الذى يوافق على الارتباط بها . ويتم الزواج رغم التفاوت الكبير فى المكانة والمركز المالى والذى يكون عادة عقبة فى إتمام مثل هذه الزيجات لعدم التكافؤ ، ولو أدى فى هذه الحالة أن يزوج الرجل ابنته إلى رجل كهل ولكنه غنى .. ولكن الأب يقبل دون شروط وتسعد حصة بهذا الزواج الذى طال انتظاره .

تقيم حصة فى بيت الزوج الذى يكون شرطا لإتمام الزواج حيث تقيم أم الزوج

العجوز .. وبالطبع تقبل على الفور فليس أمامها سوى ذلك .. ولكن بمرور الوقت ينجبان طفلا وتبدأ الزوجة مرحلة الانقلاب بعد أن تكون قد رسخت أقدامها وفى الحوار التالى يتبين :

حصة : ( داخلة تتثاوب ) شها الصراخ .. شفيكم قالبين البيت صراخ من الفجر

حامد : الساعة عشرة ياصاحبة الجلالة

حصة : تتطير يعنى .. صارت الساعة عشرة .. خير يعنى اليوم جمعة

حامد : غير تقومين تفضين ولدك .. امى وراها طبخ وتنظيف

حصة : كل يوم أمك تمسك الياهل وتطبخ اشمعنى اليوم يعنى ؟!

حامد : كل يوم عندك عذر .. رايحة الدوام .. اليوم لاهية على الأقل

هكذا تتغير صورة حصة التى ظلت سنين طويلة تبحث عن هذا الزواج حتى يتم . لكنها تنحرف بعيدا عن الأخلاق التى من خلاله سوف تفقد الطريق . فهى قد ارتضت أن تقيم مع الزوج بإمكانياته المتواضعة ولم يكن أمامها غير ذلك ولم تكن أيضا على اســتعداد لضياع هذه الفرصــة التى لا يمكن أن تتكرر مرة أخرى . فمن الحوار يتضح أن كلا من الزوج والأم يعمل كل ما يستطيع حيث تتحمل الأم العجوز الكم الأكبر . فهى تقوم برعاية الطفل بالإضافة إلى باقى أعمال البيت وأمام كل ذلك تخرج الزوجة والكسل يملأها عاتبة عليهم الصوت الصاخب الصادر سواء من الزوج أو من الطفل الذى لم يكن سوى ابنها . وحينما يواجهها حامد بالواقع الذى لا تتقبله بل يكون حكمها هو إلزام الأم المسنة بتحمل كافة الأعباء بما فيها الابن وتتخلى هى عن أى عبء .

هكذا تتحول صورتها إلى صورة مهزوزة غير واضحة المعالم فبرغم أنها أم ترفض مجرد تحمل مسئولية الابن يوما واحدا فى الأسبوع وتلقيها على الأب الذى بدوره يريد الحياة أن تستمر بدون مشاكل . ويكون لها ماأرادت وهذه النتيجة لا تقرها أى أخلاق . حتى الدين برىء من مثل هذا التصرف فهو يحث على الرعاية الكاملة من الأم التى ترفض هذا المبدأ . ويكون هذا الموقف بداية لتصاعد الأحداث التى سنتعرض لها من خلال الحوار الذى يستمر بين ثلاثتهم : الأم وحصة وحامد حتى يصل إلى درجة المواجهة بين الزوج والزوجة التى تتصــل بوالدها تليفونيا أبا فهد لتدعوه على الغداء دون أن تخبر أحدا بحيث يوضع الزوج أمام الأمر الواقع مما يثير غضبه :

حامد : هاه .. حضرته بيشرف

حصة : أيوه .. موعاجبك

حامد : لا موعاجبنى .. تتصرفين بكيفك .. ماكو أحد تشاورينه .. بها البيت ماكوريال

حصة : وينو .. وينو

حامد : شنهو اللى وينه

حصة : الريال .. مانى شايفه ريابيل

يتجسد فى هذا الحوار موقف يشهد تحولا كبيرا على تصرفات الزوجة التى سبق أن ذكرنا أنها توصلت إلى هذا الزوج بعد معاناة دامت من الزمن سنوات ومن المنطق الأخلاقى كان لابد لها أن تحافظ علي علاقتها الأسرية اعترافا منها بفضل الزوج الذى حقق لها أملا كادت أن تفقده . ولكنها هنا تقابل معاملة الأم لها بجفاء وكأنها خادمة ، وكذلك تتعالى علىَ الزوج وتتصرف فى شئون البيت دون استشارة صاحبه مما يثير دهشة حامد وليس غضبه ، فهو يعاتبها لإغفالها وجوده فى بيته . ولم يصل الأمر إلى ثورة ولكنها تتخذ من هذا العتاب الهادىء ، لتثير بدورها تصاعدا فى الحوار يشتد من طرفها حيث يكون الهجوم المستمر الذى يقابله رد لا يخرج عن مفهوم العتاب أو الاستنكار المسبب حتى يصل بها الأمر إلى تجاهله تماما وعدم الاعتراف بوجوده . ويزيد على ذلك الطعنة القاتلة حينما تصرح له بعدم وجود رجل أمامها .. ثم تؤكد له مرة ثانية قولها حينما يستفسر عن إجابتها الأولى ردا عليه « وينه .. وينه » هذا التغيير من قبل حصة لم يصل إلى هذه الدرجة إلا بعيدا عن الأخلاق التى ترفض هذا السلوك وهذا التطاول الذى يهدر كرامة الرجل . فهى دائما فى موقف المهاجم سليط اللسان حيث تتخذ من موقف أبيها المالى نقطة تنطلق منها نحوه لكى تكشف حجمه الضئيل إذا ما قيس بثراء الأب اللامحدود :

حصة : فوق .. معاشك المحدود كم دينار - ٥٠٠ دينار .. ابوى قبل يومين ربح له صفقة واحدة خمس ملايين دينار .

( ثم تتهمه بالكسل الذى أدى به إلى هذه الوظيفة ذات الدخل المحدود )

حامد : انا كسلان أول واحد أداوم ..وآخر واحد أخرج

حصة : غبى

حامد : هاه

حصة : والله غبى

يظل الحوار فى تصاعد من جانب واحد وهى حصة الزوجة . والطرف الآخر لا يخرج عن حدود الأخلاق فى التعامل معها برغم اعتزازه الشديد بنفسه . ولكن الزوجة تتخذ من مكانتها الأسرية موقفا توجه من فوقه سهامها الجارحة . فهى هنا قد بدأت حوارها معه بعقد مقارنة مادية بينه وبين أبيها حتى تكشف له ضآلة مركزه المالى بالقياس بالأب . ثم تنتقل المقارنة إلى توجيه الاتهام وهو بداية التطاول الذى يواجهه حامد بدفاع هادىء ليتحول إلى إهانة وسب من جانبها .

إنها بداية سيطرتها واتخاذ أسلوب التعالى والتهكم .. فهى ترى فيه زوجا يختلف كثيرا عن الأب الذى تشعبت وتشبعت منه بحكم التربية وتريد أن يكون هذا الأب نموذجـا لهـذا الزوج .. ولكن حامد يعرف عن الأب حقيقته التى لا تريد حصة أن تقرها. وهى عمليات تجارية تتم وهميا من خلال سوق المناخ .. يخرج منها الأب دائما رابحا يقابل هذا الربح ضحايا يفقدون الكثير . يعلم حامد ذلك وترفض نفسه الأبية مجرد سماع الحديث عن ذلك الموضوع . والزوجة لا ترى الجانب السيىء فى تلك التجارة أكثر ما ترى الربح الذى يحقق لها ما تريد . ومن هذا المنطلق يكون الخلاف الذى يؤدى إلى صراع غير متكافىء - الحوار السابق يوصل إلى موقف آخر يتصاعد فيه الحديث إلى نهايته وذلك فى وجود الأب . ويدور الحوار بينه وبين حامد فى وجود حصة التى تشترك فى هذا الحوار حيث تتهم زوجها بالتقصير فى مطالبها حتى يصل الزوج إلى درجة لا يتمالك فيها أعصابه :

أبو فهد : ( بغضب ) ليش يبه .. ليش ناقصها شىء ؟؛

حامد : ها .. ناقصها شىء ؟؛ أكو شىء مو ناقصها .. أشوف لا تدير بالها على ريل ولا على ولد ولا على بيت حتى هدومها أمى تغسل لها .. هذى زوجة بالله عليك تقولى ناقصها ؟؛

أبو فهد : ماردينا والله .. أخاف ثبى لك خادمة

حامد : عاد مو خدامة .. ولا معزية

حصة : يبه ماابيه ( وعلى الطريقة المصرية بالأفلام ) باكرهك باكرهك .. يبه هذا جدامك جذيه .. لو تشوف من وراك شمسوى فينى .

حامد : عن الكذب عاد

حصة : أنا باكذب ياحمار

حامد : الحمار أبوج اللى ماعرف يربيج

هكذا نرى الزوجة وقد وصل بها الانفعال مداه حتى أنها توجه للزوج الفاظا غير مقبولة وفى وجود الأب الذى يوافقها فى كل ذلك بل ويحثها على ترك البيت . وإذا كانت حصة قد تغيرت تغيرا ملحوظا بعد الزواج فهذا مرجعه أن النشأة لم تكن أخلاقية وأنها لبست ثوب المثالية قبل الزواج حتى يتحقق لها ماتحقق أما ما بداخلها فلم يطف على السطح ويعلن عن نفسه إلا بعد ما حققت أمنيتها ، الأب يرفض أن تكون ابنته خادمة وهذا مفهومه الذى يتعامل به ويقيم به الموقف . فهو هنا يجعل من بيته - وهو التاجر الثرى - مقياسا لبيت حامد الموظف الذى يعتمد على دخله المحدود وكفى .. ويطلق على الزوجة التى ترعى شئون بيتها خادمة .. ثم تتصيد حصة فرصة اشتباك الأب والزوج لكى تستعطف الأب مرة أخرى وحينما يوجه الزوج اللوم لها لا تتوانى عن سبه علنا . وبرغم أن الأب فى نهاية المسرحية يعترف بخطئه وخطأ ابنته ويكون السبب فى عودة الحياة مرة ثانية إلا أن الصورة فى ذلك المشهد السابق تكون قد وصلت ذروتها من حيث التكوين ووضوح الرؤية لتقدم المرأة فى غياب الدين والأخلاق .

وهكذا تتضح الصورة للمرأة فى المسرح الكويتى من خلال المسرحيات الثلاث والتى تعرضنا لها ، فقد وصلت إلى درجة التكشف والرؤية . وقد تشابهت الصورة من خلال النصين : (الطين صار سميث) ، (ضحية بيت العز) .. وذلك فى أن نهاية المرأة كانت تجسيدا للضياع متمثلا فى مريم ووفاء فى الطين .. حيث تكون الأولى بعد وفاة الأب وقد أصبحت وحيدة بعد أن هرب الزوج .. والثانية تترك البيت هاربة أيضا إلى بيت أهلها خوفا من أن تتهم بقتل الزوج والنتيجة النهائية حرمان مريم من السعادة التى كانت تأمل فيها بزواجها الذى بنى على الطمع بهروب الزوج . ثم حرمان وفاء من الثروة التى كانت تطمع فيها بعد وفاة الزوج . وهذه النتيجة حتمية لطريق خلا تماما من مفهوم الدين والأخلاق . بالإضافة إلى موت الأب صاحب الثروة موتة غير طبيعية بعد عذاب حطم نفسيته تماما .

وكذلك الصور الثلاث للمرأة فى مسرحية (ضحية بيت العز) والتى وضحت تماما ،

وإن اختلف تكوين كل منها .. فالصورة الأولى للابنة هيفاء وضحت بأن فقدت عفافها وقتل فارس أحلامها وهذا تم فى غياب الدين والأخلاق بالإضافة إلى الاقتداء بالأم وأفعالها التى لا يقرها الدين رغم أن صورتها لم تهتز ولم تفقد شيئا يمكن ان تندم عليه وكأن الكاتب يريد هنا أن يبين أن الشر مازال قائما ولم ينته تماما وهو قائم مع البشر .

وأخيرا تكون صورة الابنة طيبة وهى الصورة الوحيدة الإيجابية التى التزمت طريق الدين والأخلاق رغم أنها لم تستطع الصمود أمام تيار الباقين الجارف الذى لا يتأثر . وهى وحدها ولكن أيضا رغم اكتمال هذه الصورة إلا أنها تكون أيضا ضحية لضياع من أحبت . وإذا كانت الأم وهى خاطئة لم تنل عقابا .. تكون فى المقابل الابنة طيبة التى لم ترتكب جرما واحدا تنال العقاب . وكأن الواقع المشوه يصيب الابنة بالسهم الذى تستحقه الأم . وهنا تكمن المأساه الحقيقية .

ثم تكون الصورة الأخيرة للمرأة فى مسرحية « زوجة من سوق المناخ » والتى وضحت من خلالها صورة حصة قبل وبعد الزواج بعيدا أيضا عن الأخلاق وكيف أن الضياع كان مصيرها أيضا حتى ان الأب بتدخله واعترافه بالحقيقة يحول دون هذا الضياع. ويكون الأب أيضا الذى وقف بجانب ابنته وساعدها على ترك بيت الزوجية واتهم الزوج بالتقصير فى حق الزوجة هو الذى يحول هذا الخلاف إلى وفاق ولو مؤقتا . فإن مصلحته الشخصية كانت وراء هذا التصرف حينما يهدد بأن الزوج سوف يلجأ للقضاء وسوف تهتز صورته ومركزه التجارى . ومن هذا المنطلق فقط كان تحرك الأب لإعادة الوضع لسابق عهده . وربما تعود الخلافات مرة ثانية ايضا لأن الأساس لم يكن طبيعيا من البداية .

مما سبق يتكشف ويتضح أن الدين والأخلاق فى حياة المرأة لازم كى تستقر الحياة الكريمة دون اعوجاج، وسوف تعبر بها بر الأمان بعيدا عن أى خطر . وأن العكس هو الصحيح فإنها لن تأمن النهاية فى غياب هذا المفهوم، وهذه النتيجة لم تكن إلا من خلال التحليل والدراسة لتلك النصوص السابق ذكرها .

# المراجع والمصادر

## أولا الكتب :


| | | | |
|---|---|---|---|
| ١ | إبراهيم حمادة | آفاق فى المسرح العالمى | القاهرة ١٩٨١ |
| ٢ | إبراهيم حمادة | طبيعة الدراما | القاهرة ١٩٧٧ |
| ٣ | إبراهيم حمادة | مقالات فى النقد الأدبى | القاهرة ١٩٨٢ |
| ٤ | إبراهيم عبدالله | المسرح والتغيير الاجتماعى فى الخليج | الكويت ١٩٨٠ |
| ٥ | أحمد المغازى | دراسات فى المسرح والسينما عند العرب | القاهرة ١٩٧٢ |
| ٦ | أرسطو طاليس | فن الشعر -ترجمة شكرى عياد | القاهرة ١٩٦٧ |
| ٧ | إسماعيل فهد | القصة العربية فى الكويت | بيروت ١٩٨٠ |
| ٨ | أمين أحمد | النقد الأدبى | بيروت ١٩٦٧ |
| ٩ | جورج طرابيش | قضية النساء | بيروت ١٩٨٦ |
| ١٠ | جميل نصيف | نظرية المسرح الملحمى | العراق ١٩٧٣ |
| ١١ | حسن أحمد | الإبداع فى الفن والعلم | الكويت ١٩٧٩ |
| ١٢ | حسين رامز | الدراما بين النظرية والتطبيق | القاهرة ١٩٨٢ |
| ١٣ | خالد سعود | مسرحيات يتيمة فى المجلات الكويتية | الكويت ١٩٨٢ |
| ١٤ | خليل أحمد | المرأة العربية فى قضية التغيير | بيروت ١٩٨٢ |
| ١٥ | راشد عبدالله | النظام الاجتماعى فى الإسلام بين الرجل والمرأة | الكويت ١٩٦٤ |
| ١٦ | راشد عبدالله | الأديان المعاصرة | الكويت ١٩٨٥ |
| ١٧ | رشا حمود | قضايا فكرية | الكويت ١٩٨٤ |
| ١٨ | رشاد رشدى | نظرية الدراما من أرسطو حتى الآن | القاهرة ١٩٧٧ |
| ١٩ | سعدية غنيم | أسس الإخراج المسرحى | القاهرة ١٩٨٣ |
| ٢٠ | سعود الزيدى | أختى وزوجتى | الكويت ١٩٧٢ |
| ٢١ | صلاح فضل | منهج الواقعية فى الإبداع الأدبى | القاهرة ١٩٨٠ |
| ٢٢ | عبدالرحمن ياغى | فى الجهود المسرحية | بيروت ١٩٨٢ |
| ٢٣ | عبدالسلام الترندينى | الزواج عند العرب | الكويت ١٩٨٤ |
| ٢٤ | عبدالعزيزحمودة | البناء الدرامى | القاهرة ١٩٨٢ |
| ٢٥ | عبدالمنعم الشيخ | مسرح الخليج العربى فى عقدين | الكويت ١٩٨٣ |
| ٢٦ | عبدالله النفيس | التراث وتحديات العصر | الكويت ١٩٨٦ |
| ٢٧ | عزالدين إسماعيل | التفسير النفسى للأدب | بيروت بدون |

| | | | |
|---|---|---|---|
| ٢٨ | عمر الدسوقى | المسرحية وأساسها وتاريخها وأصولها | القاهرة ١٩٧٠ |
| ٢٩ | على أحمد | الكوميديا والتراجيديا | الكويت ١٩٧٩ |
| ٣٠ | على الراعى | المسرح فى الوطن العربى | الكويت ١٩٨٠ |
| ٣١ | فقية أحمد | الخدمة الاجتماعية فى مدارس الكويت | الكويت ١٩٦٠ |
| ٣٢ | قاسم الحداد | المسرح البحرينى | الكويت ١٩٨٢ |
| ٣٣ | ليلى الصباغ | المرأة فى الخليج العربى | دمشق ١٩٧٥ |
| ٣٤ | مجاهد عبدالمنعم | سارتر بين الفلسفة والأدب | بيروت ١٩٨٣ |
| ٣٥ | محمد إبراهيم | طبائع النساء | القاهرة ١٩٨٥ |
| ٣٦ | محمد حسن | المسرح الكويتى بين الخشبة والرجاء | الكويت ١٩٧٨ |
| ٣٧ | محمد حسن | الحركة المسرحية فى الكويت | الكويت ١٩٨٦ |
| ٣٨ | محمد طاهر | مكانة المرأة فى الشئون الإدارية والبطولات القتالية | بيروت ١٩٧٩ |
| ٣٩ | محمد على | عمل المرأة فى الميزان | السعودية ١٩٨١ |
| ٤٠ | محمد مندور | فن الأدب والنقد | القاهرة ١٩٧٨ |
| ٤١ | محمود هاشم | مستقبل المرأة | سوريا ١٩٨٥ |
| ٤٢ | نبيل راغب | الاشتراكية والحب | القاهرة ١٩٨٠ |
| ٤٣ | نبيل راغب | دليل الناقد الفنى | القاهرة ١٩٨١ |
| ٤٤ | نبيل راغب | دليل الناقد الأدبى | القاهرة ١٩٨١ |
| ٤٥ | نهاد صليحة | المسرح بين الفن والفكر | القاهرة ١٩٨٦ |
| ٤٦ | نور الدين عتر | ماذا عن المرأة | دمشق ١٩٧٩ |
| ٤٧ | نورية السدانى | الحركة النسائية العربية فى القرن العشرين | الكويت ١٩٨٠ |
| ٤٨ | نورية السدانى | تاريخ المرأة الكويتية | الكويت ١٩٨٠ |
| ٤٩ | نورية السدانى | المسيرة التاريخية للحقوق السياسية للمرأة الكويتية | الكويت ١٩٨٣ |
| ٥٠ | نورية السدانى | تاريخ المرأة العمانية | الكويت ١٩٨٤ |
| ٥١ | هداية السلطان | نساء فى القرآن | الكويت بدون |
| ٥٢ | وليد أبوبكر | القضية الاجتماعية فى المسرح الكويتى | الكويت ١٩٨٥ |

## ثانيا : المسرحيات

| | | | |
|---|---|---|---|
| ١ | إبراهيم العواد | زوجة من سوق المناخ | الكويت ١٩٨٢ |
| ٢ | حسين الصالح | عنيج الصوف ولا جديد البرسيم | الكويت ١٩٦٧ |
| ٣ | خالد رمضان | للصبر حدود | الكويت ١٩٨٠ |
| ٤ | سعد الفرج | الكويت سنة ٢٠٠٠ | الكويت ١٩٦٦ |
| ٥ | سعد الفرج | ضحية بيت العز | الكويت ١٩٧٥ |
| ٦ | صقر الرشود | المخلب الكبير | الكويت ١٩٦٥ |
| ٧ | صقرالرشود | الطين صار أسمنت | الكويت ١٩٦٥ |
| ٨ | صقر الرشود | الحاجز | الكويت ١٩٦٦ |
| ٩ | عبد الحسين عبدالرضا | فرسان المناخ | الكويت ١٩٨٣ |
| ١٠ | عبد الرحمن الضويحى | غلط ياناس | الكويت ١٩٦٥ |
| ١١ | عبد العزيز السريع | الجوع | الكويت ١٩٦٥ |
| ١٢ | عبد العزيز السريع | ضاع الديك | الكويت ١٩٧٢ |
| ١٣ | عبد العزيز السريع | الدرجة الرابعة | الكويت ١٩٧٢ |

# شـــكر وتقـــدير

اتقدم بالشكر والعرفان لكل من زودنى بكم من المعرفة لكى يخرج هذا الكتاب إلى النور وأخص بالذكر الرواد والقائمين على الحركة الثقافية والفنية والمسرحية فى دولة الكويت ومنهم الدكاترة والأساتذة .

د . عبد العـزيز حسـين .

د . سـليمان الشـطى .

د . رشـا الصباح .

د . كافية رمضـان .

أ . فضـة الخـالد .

أ . خالد عبد اللطيف .

أ . سعاد عبد الله .

أ . خـــالد الريس .

أ. حيـــاة الفهـد .

أ . أمـل عبد الله .

أ . اسماعيل فهد اسماعيل .

أ . غـانم الصـالح .

أ . دلال الغـــانم .

د. فوزية مكاوى

ACADEMY OF ARTS
HIGHER INSTITUTE FOR ART-CRITICISM

# The Irrage of Worr an in Kwuaiti Drarra

By
FAUZIA MOHAMED EL-MEKAWY

# THE SUMMARY OF THE DISSERTATION

This dissertation deals with the woman question, both from the social and dramatic points of view and with regard to the sharp differences between woman's presence in Kuwaiti society and her image in Kuwaiti drama.

In fact, Kuwaiti woman has done great achievements in all fields in Kuwait, but Kuwaiti drame is still incapable of embodying such achievements. It kuwaiti plays, woman still plays a minor part either in public or private life. She books unable to fulfill the law of her own geing.

The present dissertation has aimed at analysing all the variations based on the woman theme as presented in both plays and eritical comments.

In the introduction, the writer casts light on the social life of Kuwaiti woman, especially before the discovery of oil when she was able to bear her historical sesponsibilities during the absence of her man earming his living away from home.

After the discovery of oil, the kuwaiti woman has been able to keep pace with the sudden social, economical and cultural change. The same change has happened to her due to the economic flouriahment of the country. She got the best kind of education, occupied many eminent jobs and met with the respect of Kuwaiti man.

At the end of the introduction, a comparison is made between the early beginnings of the Kuwaiti Theatre and those of other Arab Coun-

tries. The Kuwaiti-drama dealt with local themes to attract the attention of common audiences, in order to give a push to the newly - born theatre. Such themes are still dominant with the exception of some performances of foreign plays. The Kuwaiti critics were keen to analyse the seasons behined the drawbacks and obstracles in the way of the Kuwaiti Theatre.

After the introduction, a not is written on the early beginnings and aspects of Kuwaite arts in general, as a background for the early experiments in the field of dramatic arts started by pieneers like hammall Ar-Ragib. In the forties of this century, theatrical troupes were formed in schools; but the actual aspects of Kuwaite theatre began to form in the sixties. With the seventies the dramatic art in Kuwait was able to be orginal and gentime with sources, themes, conceptions and characters of its own.

The dissertation is divided into nine chapters. The first one deals with woman's education, showing Kuwaiti woman's image in the early stages of her life being influenced by traditions and customs in the period of economic flourishment.

The second chapter analyses woman's adolescence as an awkward stage in her life, having great influence on her carees and attitude towards society in general. The writer in this chapter traces the factors which may lead young women to tragic ends if she is not conscious of the way to save herself.

The third chapter casts lights on woman's cultural sources throughout some plays, in order to sort out the features of the image drawn by playwrights for her, showing their points of view towards her. Most of them look at her as a secondary element in the life of modern society, with no regard to the great part played by her in different fields.

The fourth chapter points out love as a problem in the Kuwaiti woman's life, forming the society's attitude towards her in general. Different types of love are analysed in the light of traditions and custams showing the reasens behind their tragic ends.

The fifth chapter interprets the conception for marriage as embodied in Kuwaiti drama. Some playwrights aim at documentary drama to present woman's life in the past when she was positive and influential, but in the present, playwrights show her as a nonentity.

The sixth chapter deals with the variation of intellectual independence as a weapen used by Kuwaiti woman to get rid of man's dominance or supremacy over her. She insists on having this right for good. Of course, the dramatic treatment of this variation differ from one playwright to another according to his diffrent conception.

The seventh chapter studies woman's maturity or immaturity in different plays. Most playwrights present her as an immature, narve and narrow - minded creature without soferring to her past as a fully mature and responsible pillar in the Kuwaiti family.

The eighth chapter criticizes the way playwrights deal with the conaption of woman as a working member in Kuwaiti society. In plays, woman does not take owrk as an aim in itself to fulfill the law of her being, but as a mere means to waste time or to find a husband. Unfortumately enough, man does not take her seriously because he regards her as an irresponsible crature.

The ninth chapter analyses the variation of religion and morality showing its influence or the behaviour of characters in plays, whether negative or positive.

In the condusion, the present writer concentrates on the results reached at in the dissertation, concerning the different aspects of woman's image as embodied in the plays studied and analysed in the nine chapters of the dissertation.

The appendix reviews the attitudes and points of view of some eminent kuwaiti figures, whether in the field of theatre or thought or culture or authority, as an intellectual background affecting or should affect dramatic arts in one way or another.

The biliography contains a list of references: plays critival studies, periodicals, Ph. D. or M.A. dissertations.

# الفهرس


| الموضوع | الصفحة |
|---|---|
| إهداء | ٥ |
| مقدمة | ١١ |
| **الباب الأول :** على الصعيد الاجتماعى | ١٣ |
| **الفصل الأول :** تربية المرأة | ١٥ |
| **الفصل الثانى :** المراهقة | ٣٧ |
| **الفصل الثالث :** ( التكوين الثقافى ) | ٦٥ |
| **الباب الثانى :** على الصعيد العاطفى | ٩٣ |
| **الفصل الأول :** الحب | ٩٥ |
| **الفصل الثانى :** الزواج | ١٢٧ |
| **الفصل الثالث :** ( الاستقلال الفكرى ) | ١٥٧ |
| **الباب الثالث :** على الصعيد الأخلاقى | ١٨٣ |
| **الفصل الأول :** ( الوعى والقصور ) | ١٨٥ |
| **الفصل الثانى :** العمل | ٢١١ |
| **الفصل الثالث :** ( الدين والأخلاق ) | ٢٣٣ |
| المراجع والمصادر | ٢٥٥ |
| شكر وتقدير | ٢٥٨ |
| ملخص باللغة الانجليزية | ٢٥٩ |



رقم الايداع ٧٥٩٨ / ١٩٩٣

دار غـريب للطبـاعة

١٢ شارع نوبار ( لاظوغلى ) القاهرة

ص . ب (٥٨) الدواوين تليفون ٣٥٤٢٠٧٩